الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية و آدابها

التأثيرات الأجنبية في روايات مولود فرعون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي
تخصص : الدراسات الأدبية المقارنة في الأدب الجزائري الحديث

إعداد الطالبة :
كنزة حاج براهيم

إشراف الأستاذ :
د/ عبد الله شطاح

السنة الجامعية :2011 – 2012

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية و آدابها

التأثيرات الأجنبية في روايات مولود فرعون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي
تخصص : الدراسات الأدبية المقارنة في الأدب الجزائري الحديث

إعداد الطالبة :
كنزة حاج براهيم

إشراف الأستاذ :
د/ عبد الله شطاح

أعضاء لجنة المناقشة :

1. أ.د علي ملاحي — من جامعة الجزائر — رئيسا
2. أ.د عبد الله شطاح — من المركز الجامعي خميس مليانة — مشرفا ومقررا
3. أ.د عبد القادر توزان — من جامعة الشلف — عضوا مناقشا
4. أ.د عبد القادر شارف — من جامعة الشلف — عضوا مناقشا
5. أ.د محمد عمور — من جامعة الشلف — عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2011 – 2012

إهداء

أهدي ثمرة مجهودي إليك أمي ...

أنت التي لم يكتب لك أن تشاركيني فرحتي ،

رحلتي من هذه الدنيا تاركة وراءك فراغا رهيبا لا يملؤه

سوى العيش على أمل لقائك في جنة الخلد .

كما أهديها أيضا إلى والدي العزيز وكل أفراد عائلتي

الأحباء وأساتذتي الكرام وأصدقائي الأوفياء .

كنزة حاج براهيم

مقدمة

إن تقصي التأثيرات الأدبية الأجنبية يعد مجالا مهما من مجالات البحث في الدرس المقارن ، فهو يعنى أساسا برصد العلاقات التي تتبادلها الآداب على الصعيد الدولي ، وتحليل طبيعتها الفنية والأيديولوجية . وأهمية هذا النوع من الدراسات إنما تفرضه مقاصدها الإستراتيجية ، و في مقدمتها تحقيق قدر من التقارب بين الشعوب والأمم بناء على وجود مثل هذه العلاقات ، والتقارب الأدبي من شأنه تفعيل التقارب على الأصعدة الأخرى .

و يعتبر الخطاب الأدبي في الجزائر من المتون التي يصلح الإشتغال عليها من منظور الدراسة الأدبية المقارنة ، خاصة ما كتب منه باللغة الفرنسية ؛ فالكتابة بلغة الأجنبي تعد من تجليات التأثير الأدبي .

و إذا كان اختيارنا قد وقع على روايات الكاتب الجزائري "مولود فرعون" في هذا السياق ، فلأننا قد اطلعنا على نصه "ابن الفقير" في محطة سابقة من محطات تعليمنا، ومنذ ذلك الحين بقيت صورة البطل "فوغولو" عالقة بأذهاننا ، و ها نحن اليوم نجد الفرصة المناسبة للتوسع أكثر في دراسة أعماله الروائية التي تثير جملة من التساؤلات على مستوى الكتابة في ضوء التأثيرات الأدبية الأجنبية التي تلقاها الكاتب .

فضلا عن كون الدراسات التي تناولت الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية قليلة مقارنة بما كتب عن نظيره المكتوب باللغة العربية ، بما في ذلك أدب مولود فرعون الذي قادنا البحث فيه إلى فكرة مفادها أن الرجل لم يستوف حقه من الدراسة خاصة في إطار الأدب المقارن .

وهكذا تعددت الأسباب لتدفعنا في نهاية المطاف إلى مقاربة روايات فرعون وتحليلها في ضوء التأثيرات الأجنبية ، واستنادا إلى ذلك حملت المقاربة عنوان «التأثيرات الأجنبية في روايات مولود فرعون»، أما عن المقاصد المعرفية التي نتوخاها من هذه الدراسة، فلعل صياغة العنوان قد أشارت إليها من قريب أو من بعيد، وفي مقدمتها تقصي هذه التأثيرات والكشف عنها، وهو من المكاسب التي عادة ما يسعى الباحث المقارن إلى الظفر بها وهو بصدد دراسة نص من النصوص الأدبية ضمن حقل التأثير والتأثر.

و قد تحددت هذه المقاصد انطلاقا من طرح إشكالية كبرى ارتأينا صياغتها على هذا النحو : كيف تأثر الأديب الجزائري "مولود فرعون" بالأجنبي في رواياته ؟

وقد أملت علينا طبيعة الموضوع تقسيم دراستنا إلى مدخل و فصلين للتنظير، و فصل أخير للتطبيق .

أما المدخل فقد خصصناه للحديث عن مفهوم التأثير الأدبي في الخطاب بين النقدين الغربي و العربي ، كما حاولنا ضبط حدود عملية التأثير الأدبي وهم المرسل و المتلقي و الوسيط بينهما ، و كذا الأنواع المختلفة لهذا التأثير سواء كان فكريا أو تقنيا أو فنيا أو شخصيا وما كان لنا أن نختم هذا المدخل دون طرح إشكالية الاختلاف اللغوي في سياق الممارسة الأدبية مؤثرة و متأثرة .

ثم انتقلنا إلى الفصل الأول الذي عنوناه بالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أثناء الاحتلال، حيث تناولنا هذا الأدب بالتركيز على الظروف التي ساعدت على ظهوره وتطوره، والخصوصيات التي تميزه عن الأدب الفرنسي الكولونيالي، ثم تطرقنا إلى رصد حضوره في الخطابين النقديين الفرنسي و العربي ، مع الإشارة إلى بعض القضايا المتعلقة بالأدب الخمسيني ، كالتسمية و الثقافة المزدوجة و لغة الكتابة والهوية .

أما الفصل الثاني الذي حمل عنوان " التأثيرات الأجنبية في حياة مولود فرعون "، فقد سلطنا الضوء من خلاله على نشأة هذا الكاتب و طبيعة التعليم الذي تلقاه في المدارس الفرنسية ، و المهنة التي مارسها ، والأعمال الأدبية و الفكرية التي أصدرها بدء من روايته "ابن الفقير"، وانتهاء بنصه " عيد الميلاد "، وأهم الرحلات التي قام بها، والأشخاص الأجانب الذين صادقهم، والنصوص الأدبية الفرنسية والروسية التي اطلع عليها ، دون أن يفوتنا الحديث عن موقفه من قضية بلاده، وكذا وفاته المحزنة .

أما الفصل الثالث والأخير الذي أفردناه للتطبيق، فقد حمل عنوان " التأثيرات الأجنبية في روايات مولود فرعون "، وأتاح لنا المجال لرصد أهم هذه التأثيرات في خطاب فرعون الروائي كالتأثير السياسي ، وتأثير التقدم الحضاري والبناء العمراني، وأثر الأجنبي في هذا الخطاب كالمعلم ، ورجل الدين ، والمرأة الفرنسية ، وكذا التأثير الديني، و تأثير الأيديولوجيات المختلفة ممثلا في جملة من المبادئ كالعلمنة ، والمساواة والاندماج ، والتشكك ، بالإضافة إلى التأثير الأدبي والفني الذي خلفه كل من الأدب

الفرنسي بشقيه الكلاسيكي و الحديث ، و الأدب الروسي في روايات فرعون ، ثم عمدنا إلى تحليل هذه الأخيرة لغة و موضوعا .

أما في الخاتمة فقد ذكرنا أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا هذه ، ثم قائمة المصادر و المراجع التي تنوعت بين مصادر و مراجع مكتوبة باللغة العربية ، و مترجمة إلى اللغة العربية ، و مكتوبة باللغة الفرنسية ، و كذا المجلات و الدوريات و الرسائل الجامعية ، و تجدر بنا الإشارة إلى أننا اتبعنا في ترتيبها الترتيب الأبجدي ، و نذكر من أهمها : « صورة الفرنسي في الرواية المغربية » للباحث "عبد المجيد حنون"، و« أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية » للباحث " حنفاوي بعلي " ،و كذلك رسالة ماجستير تحت عنوان « الجزائر في أدب ألبير كامو » للباحث "توزان عبد القادر"، بالإضافة إلى اعتمادنا على الأعمال الأدبية لمولود فرعون التي مكنتنا من الاطلاع على جوانب خفية من حياته ، استطعنا من خلالها تقصي مختلف التأثيرات الأجنبية في حياته وفي خطابه الروائي وهي : «يومياته» « Journal »، و«رسائله إلى أصدقائه » « Lettres a ses amis» و«عيد الميلاد » «L’Anniversaire» .

و فضلا عن اعتمادنا على المنهجين التحليلي و الوصفي ، اتبعنا المنهج المقارن الذي تبنته مدارس الأدب المقارن في دراستها لظاهرة التأثير الأدبي ، حيث سرنا على نهج المدرسة الفرنسية التي تشترط و جود صلات تاريخية تؤكد مصداقية هذا التأثير ، و لأن هذه المدرسة تشترط أيضا الاختلاف اللغوي كان لزاما علينا أن نسير على نهج المدرسة الأمريكية التي تسقط هذا الشرط و لا توليه أهمية كبرى ، لذا فهي تبيح لنا أن نقارن بين أدب "مولود فرعون" المكتوب باللغة الفرنسية و الأدب الفرنسي ، إضافة إلى اعتمادنا المنهج التاريخي في وضع ظاهرة الكتابة باللغة الفرنسية بالجزائر في سياقها التاريخي ، و رصد أهم المحطات في حياة فرعون ، و كذلك المنهج الأسلوبي في دراسة أسلوب فرعون الأدبي .

ومن الصعوبات التي اعترضت سبيلنا و نحن بصدد إعداد هذه الدراسة قلة المصادر و المراجع التي تتناول أدب فرعون ، و هذا ما اضطرنا إلى التنقل بحثا عنها ، الأمر الذي استنفذ جهدا و وقتا ، إضافة إلى الصعوبات المتعلقة بالترجمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ، و إذا كنا قد انقطعنا لفترة ما عن مواصلة البحث فبسبب ظرف صحي طارئ حتم علينا ذلك ، إلا أننا استطعنا بعون الله و حفظه إتمام العمل .

ولا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا الفاضل " شطاح عبد الله " الذي أشرف على انجاز هذه الدراسة ، و لم يبخل علينا بالنصح و التوجيه من بدايتها إلى نهايتها ، فجزاه الله عنا كل خير هو و كل هؤلاء الذين مدوا لنا يد العون حتى استقامت هذه المذكرة . كما لا يفوتنا أن نثني على أعضاء لجنة المناقشة الذين ساهموا بآرائهم في تقويم هذا العمل المتواضع .

مدخل

التأثير الأدبي

I- مفهوم التأثير الأدبي .
II- حدود عملية التأثير الأدبي .
III- إشكالية الإختلاف اللغوي .

I تحديد المفهوم :

1/ في النقد الغربي:

تعتبر دراسة التأثيرات الأدبية حقل من حقول الأدب المقارن ، الذي يعدّ من العلوم الحديثة نسبيا بالقياس إلى غيره من العلوم الإنسانية . وعلى الرغم من تأخر ظهوره ، إلا أنه عرف اختلافا في تحديد مفهومه ومناهجه واتجاهاته من بلد إلى بلد ، ومن مدرسة فكرية إلى مدرسة فكرية أخرى . وقد شمل هذا الإختلاف حتى تسميته ، فقد طرحت مصطلحات بديلة متعددة على هذا النوع من الدراسة ، نذكر منها : "الآداب الحديثة المقارنة" و "تاريخ الآداب المقارنة" و "التاريخ الأدبي المقارن" ، ولكن هذه المصطلحات وغيرها لم تنجح في فرض نفسها ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى شيوع مصطلح "الأدب المقارن" ، الشيء الذي صعب من مهمة وضع بديل أخر له[1] . فمتى ظهر هذا المصطلح؟ وما هي بقاع العالم التي شهدت ولادة هذا العلم ؟

يبدو بأن هذا المصطلح ولد واستقر مفهومه نسبيا « على المستوى العالمي إبتداء من القرن التاسع عشر »[2] ولقد كان الأوروبيون عامة ، والفرنسيون خاصة هم الأوائل الذين أخذوا على عاتقهم مهمة محاولة إرساء القواعد الأساسية لهذا العلم . وقد دفعهم اهتمامهم بالنظرية الحتمية ودور العرق والزمن في تشكيل الإبداع الإنساني إلى التوجه نحو بيان العلاقات التي تميز الآداب عن بعضها البعض ، ومحاولة رصد العلاقات المشتركة بين هذه الآداب .

وبدأت الدراسات الأدبية المقارنة ، وتوالت المؤلفات حول هذا العلم في فرنسا ، وخاصة في جامعة السربون ، أين ظهر كبار الأساتذة الذين شكلت آراؤهم المتفرقة مجموعة من الأسس والقواعد أصبحت تعرف "بالمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن" [3]،

---

[1] ينظر : الطاهر أحمد مكي ، الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ، مكتبة الآداب ، القاهرة، 2002م ، الطبعة الرابعة ، ص 194.

[2] سالم المعوش ، الأدب و حوار الحضارات (المنهج والمصطلح والنماذج)، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2007 ، الطبعة الأولى ، ص 28 .

[3] أحمد ياسين العرود ، محاضرات في الأدب المقارن ، المركز القومي للنشر ، إربد ، الأردن ، 2007م ، د.ع.ط ، ص 34 – 40 .

التي أولت عناية كبيرة في تحديد مجالات البحث في هذا النوع من الدراسات الأدبية المقارنة .

و يعتبر الباحث محمد التونجي "بول فان تيغم" "Paul Van Tieghem" أهم مفكّر فرنسي نظّر لهذه المدرسة [1]، فهو يعدّ أول من قدّم تعريفا للأدب المقارن في كتابه المنهجي التعليمي "الأدب المقارن" "La littérature comparée" ، الذي صدرت طبعته الأولى في باريس عام 1931، يقول : « إن الأدب المقارن البحت ، لا يدرس غالبا إلا العلاقات الثنائية بين عنصرين فقط . وهذان العنصران يمكن أن يكونا مؤلفات ، كتابا ، مجموعتين من الكتب أو الكتاب ، أو من الأدب ؛ وتلك العلاقات قد تكون كذلك متعلقة بمادة أو بصورة النتاج الفني».[2] كما يقول في موضع آخر بأن هذه العلاقات المتبادلة تكون «بمعنى أن شيئا أدبيا انتقل إلى خارج الحدود اللغوية ».[3]

يمكننا أن نقول بأن فان تيغم من خلال هذا التعريف ، يبين الحدود العامة لهذا النوع من الدراسات الأدبية المقارنة ، وتتمثل هذه الحدود حسب رأيه في :

- البحث عن العلاقات المتبادلة بين الآداب .
- البحث عن هذه العلاقات المتبادلة خارج حدود اللغة الواحدة .

ويعكس رأي "فان تغيم" بالإضافة إلى آراء كل من : غويار ، جان ماري كاري ، وبالدنسبرجر –خاصة في مجال العلاقات الدولية– مدى انحياز أصحاب المدرسة الفرنسية للأدب المقارن إلى تاريخ الأدب بدلا من النقد الأدبي .[4] والأدب المقارن عندهم يهتم بدراسة العلاقات التاريخية بين الآداب المختلفة ، فجاء تركيزهم على توفر شرط التأثير والتأثر ، بمعنى وجود علاقة تاريخية فعلية بين الآداب المكتوبة بلغات مختلفة ، وإذا ما انعدمت هذه العلاقة الفعلية رفضت المقارنة.

---

[1] ينظر : محمد التونجي ، الآداب المقارنة ، دار الجيل ، بيروت ، 1995 م ، الطبعة الأولى ، ص 03 .

[2] بول .فان تيغم ، الأدب المقارن ، ترجمة : سامي مصباح الحسامي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د.ع.ط ، ص 143.

[3] المرجع نفسه ، ص 61 .

[4] ينظر: الطاهر أحمد مكي ، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، مرجع سابق ، ص195.

ويمكننا ذكر عاملين أساسيين ، يبدو لنا بأنه كان لهما كبير الأثر في تحديد مفهوم المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن :

- **النزعة التاريخية:**

انتشرت هذه النزعة على نطاق واسع في فرنسا وأوروبا طيلة القرن التاسع عشر ، فعملت الدراسة المقارنة على إثبات وجود علاقات تأثير وتأثر بين الآداب القومية على أساس من السببية ؛ أي إثبات أن الأدبين اللذين نقارن بين إنتاجهما الأدبي ، قد اتّصل أحدهما بالآخر وتأثر به .[1] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن انتقال مادة أدبية من أدب إلى أدب آخر يكون عن طريق علاقة تاريخية قائمة على السببية ، هذه السببية التي تمثل « حجر الزاوية عند المدرسة الفرنسية التقليدية » [2]، ومن اتّبع نهجها في بقية البلاد الأخرى .وعليه فان الصلة التاريخية تعتبر عند أصحاب هذه المدرسة شرطا لاغنى عنه لصحة الدراسة المقارنة ، فهم يولون عناية كبيرة لإثبات أن الموضوعين أو الأدبين اللذين نقوم بدراستهما دراسة مقارنة قد قامت بينهما صلات تاريخية ، نتج عنها نوع من التأثير و التأثر.

أما عن التشابه الذي لا يكون قائما على شرط اللقاء التاريخي ، فلا يمكن أن يدخل في نطاق الدراسة المقارنة . وهذا و إن دل على شيء فإنما يدل على الدور المهم الذي تقوم به الصلة التاريخية في هذا النوع من الدراسات المقارنة عند أصحاب المدرسة الفرنسية .

و لعل ما سبق ذكره كان سببا في اهتمامهم بدراسة آداب أمم مختلفة دراسة مقارنة على أساس حدوث لقاء تاريخي بينهما

---

[1] ينظر: محمد عبد السلام كفافي، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر_القصصي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1971، الطبعة الأولى، ص25-26.

[2] الطاهر احمد مكي ، الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ، مرجع سابق ، ص 203 .

- **النزعة الوضعية:**

لقد تمكنت النزعة الوضعية التي كانت سائدة في هذه الفترة الزمنية أن تنتقل إلى الدراسات الأدبية ، محاولة تحويل هذه الأخيرة إلى علم موضوعي يقوم على أساس تجريبي كغيره من العلوم الأخرى . وتمثلت هذه النزعة في الأدب المقارن من خلال اعتماد أصحاب المدرسة الفرنسية التقليدية على المنهج التجريبي في دراسات التأثير والتأثر ، ويكون ذلك « بعدم الاكتفاء بتخمين وجود التأثير ، بل البرهنة على وجوده بالأدلة والوثائق الملموسة»[1]، فتكون بذلك النتائج المتوصل إليها دقيقة لا تدع مجالا للتخمين والشك [2].

وقد استطاع أصحاب المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن أن يسيطروا بآرائهم على الدراسات المقارنة ما يزيد عن قرن وربع قرن من الزمان . كما يبدو لنا بأن هؤلاء قد تمكنوا خلال هذه الفترة من حصر رقعة هذه الدراسات حول علاقات التأثير والتأثر بين الآداب القومية المختلفة .

2/ في النقد العربي:

استطاع علم الأدب المقارن أن يرسي دعائمه في الوطن العربي خلال القرن العشرين، فكانت دراسات التأثير التي وضعت أسسها المدرسة الفرنسية التقليدية للأدب المقارن ، هي المسيطرة على الساحة المقارنية العربية .

ويعتبر أوضح ما كتب في هذا المجال في الوطن العربي ، التعريف الذي قدمه الباحث "محمد غنيمي هلال" ، الذي يقول بأن «مدلول " الأدب المقارن" تاريخي ، ذلك أنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة ، وصلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر ، أيا كانت مظاهر

---

[1] عبده عبود ، الأدب المقارن مشكلات و أفاق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1999 ، ص 29 .

[2] ينظر : أحلام صغور ، واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي ، رسالة دكتوراه (مخطوطة) ، جامعة وهران ، 2008 /2009 ، ص 12.

ذلك التأثير أو التأثر : سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية ، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكى في الأدب ، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية والأفكار الجزئية في العمل الأدبي ، أو كانت خاصة بصور البلاد المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى ، بوصفها صلات فنية تربط مابين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصور والكتاب ، ثم ما يمت إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير والتأثر في أدب الرحالة من الكتاب».[1] فهو يشير من خلال هذا التعريف إلى أن علم الأدب المقارن يعنى بدراسة أدب وتأثره وتأثيره في أدب أو آداب أخرى ، مع تبيان المظاهر المختلفة لهذا التأثير والتأثر ، وفق منهج تاريخي ، مع وجوب وجود اختلاف في اللغة .

وعلى الرغم من تأصل هذا العلم ، وظهور مدارس عالمية جديدة تبنت مناهج حديثة في الدراسات الأدبية المقارنة ، إلا أن دراسات التأثير الأدبي لم تفقد مكانتها في الوطن العربي ، وإنما عرفت حديثا أوج ازدهارها في الوقت الذي تكاد تختفي فيه من العالم بأسره وحتى في فرنسا [2]، البلد الذي عرف نشأة هذا النوع من الدراسات . فهل يمكننا تفسير هذه الظاهرة ؟

يرى الدارسون بأن لهذه الظاهرة أسباب متعددة ، نجملها في نقطتين أساسيتين هما:

أ/ سهولة المنهج:

تعتبر دراسات التأثير الأدبي من أبسط حقول الأدب المقارن ، وأسهلها منهجيا وتطبيقيا ، فهي تقوم على جمع المادة التاريخية التي تثبت وجود علاقة التأثير والتأثر بين أدب قومي ما وأدب أو آداب قومية أخرى ، فهي بذلك تشبه العمل التوثيقي ، وهذا ما ذهب إليه "عبده عبود" الذي قال عن دراسات التأثير بأنها «أوضح المناهج وأسهلها إطلاقا»[3]. ويبدو لنا بأن ما سبق ذكره كان السبب في إقبال المقارن العربي على حقل

---

[1] محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار العودة، بيروت ، 1983، الطبعة الثالثة ، ص09

[2] ينظر : عبده عبود ، الأدب المقارن مشكلات وآفاق ، مرجع سابق، ص 35 .

[3] المرجع نفسه، ص35.

التأثيرات ، وابتعاده عن الحقول الأخرى التي تعتمد على استيعاب المناهج النقدية الحديثة والمتطورة مثل : نظرية الأدب المادية الجدلية ، ونظرية التلقي .

ب/ دقة النتائج:

يقوم المنهج التاريخي الذي تعتمده دراسات التأثير الأدبي على إثبات العلاقة السببية التي كانت وراء حدوث التأثير ، والبرهنة بصورة تجريبية مدعمة بالوثائق على مدى تأثر أدب قومي بأدب قومي آخر أو آداب قومية أخرى ، وبذلك تكون النتائج المتوصل إليها دقيقة ومؤكدة ، مما لا يدع مجالا للشك والإرتياب .

وعليه فقد اختار الباحث المقارن دراسات التأثير لأنها « يمكن أن توظف بسهولة في النقاشات والمعارك الأدبية والنقدية الدائرة في الوطن العربي حول قضايا أدبية كقضية الأصالة والتقليد والتبعية والمثاقفة في الأدب العربي الحديث »[1].

وتجدر الإشارة إلى أن دراسات التأثير الأدبي سلكت في الوطن العربي إتجاهين أساسيين هما :

- إتجاه يركز على تأثير الأدب العربي في الآداب الغربية (الأوروبية/ الشرقية).
- إتجاه يركز على تأثر الأدب العربي بالآداب الغربية .

ويبدو لنا من خلال ما سبق ذكره ، بأن الذين قعّدوا للأدب المقارن في الوطن العربي، قد راعوا في رسم مناهجه ما يمكن أن ينسجم مع أجوائهم الأدبية وظروفهم النفسية ، وما يمكن أن يخدم تراث أدبهم القديم والحديث ، فكانت دراسات التأثير الأدبي بالنسبة إليهم ، بمثابة مقياس للتدليل على مدى أصالة أو تقليد الأديب أو الأدب المتأثر .

II– حدود عملية التأثير الأدبي:

تعتمد دراسات التأثير الأدبي على حدود ثلاثة وهي : المرسل ، المتلقي ، ثم الوسيط، وتقوم هذه النظرية بالنظر إلى المرسل أو المؤثر بصفته أصلا ، والمتلقي أو

[1] عبده عبود ، الأدب المقارن مشكلات وآفاق ، مرجع سابق، ص 35 .

المتأثر بصفته الآخذ من ذلك الأصل[1] . وتتم هذه العملية بطريقة واضحة ؛ (أ) أثر في (ب) عن طريق وسيط .

والباحث المقارن لا يقصد بهذه العملية النيل من قدرة الكاتب أو الأدب المتأثر ومقدرته ، لأن التأثير الرشيد لا يمكنه أن « يمحو الطابع المحلي ، ولا يطغى على الأصالة القومية » .[2] وإنما يسعى للكشف عن مظاهر التأثير والتأثر وذلك من أجل تنمية الأصالة الفنية .

ونأتي الآن إلى الحديث عن هذه الحدود الثلاثة مع قليل من التفصيل :

1/ المرسل:

وهو ما يعرف بالمؤثر ، ويكون : أدبا ، أو نوعا ، أو تيارا ، أو كتابا، أو كاتبا وافدا ترك أثرا ما في أدب قومي آخر لأمة أخرى .

وقد حدد غويار تأثيرات المرسل في النقاط التالية :

أ/ التأثير الفكري:

يمكن للمرسل أن يؤثر بالموقف الفكري أو الفلسفي كروح التشاؤم أو التفاؤل ، أو بنظرته إلى المسائل الفكرية الكبرى التي شغلت المفكرين الكبار .

ب/ التأثير التقني الفني:

يمكن أن يكون تأثير المرسل تأثيرا فنيا ، يخضع للموضوع ، أو النوع ، أو الشكل الفني الذي يتخذه وسيلة للتعبير كالقصة أو المسرحية ، أو القصيدة أو المقالة.

ج/ التأثير الشخصي:

---

[1] ينظر: داود سلوم ، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،2003م، الطبعة الأولى ، ص19 .

[2] محمد غنيمي هلال ، في النقد التطبيقي والمقارن ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،2003 ، ص14.

ويبدو لنا بأن الشخصية تتكون بالدرجة الأولى من المشاعر والأحاسيس ، كمشاعر الحب أو الكراهية ، الأمل أو اليأس وغيرها .[1]

2/ المتلقي:

وهو الآخذ أو المرسل إليه ، ويقصد بذلك الأدب المتأثر ، ويكون أدبا أو أديبا أو كتابا تأثر بغيره ، أو لغة أمة تأثرت بلغة أمة أخرى ، على أن يكون هذا الآخذ قد وقع تاريخيا تحت تأثير أدب أمة ما غير أمته أو جزء منه. فيكون بذلك المتأثر « هو المتلقي من المرسل »[2] ، فالعمل الأدبي يكون عند استقباله نقاط تركيز لأفكار جمالية ، أخلاقية ، سياسية وفلسفية لذلك يختلف استقباله أو تلقيه من قارئ لآخر .[3] ولا يفوتنا أن نشير بأن نظرية جمالية التلقي الأدبي هي نظرية حديثة أحدثت أصداء واسعة على الدراسات المقارنة، وخصوصا على مفهوم التأثير ، إنما يبدو أن عملية التأثير هي حلقة لاحقة لفعل التلقي .

3/ الوسيط:

تعد عملية البحث عن قنوات التأثير التي تم من خلالها التواصل ، والتأثير بين المبدعين ، هي جوهر دراسات التأثير الأدبي ، وهذا ما ذهب إليه "سعيد علوش" الذي قال بأن « التأثير لا يقتضي فقط وجود "مرسل" فعال وحده ، أو "مرسل إليه" مستعد للاستقبال ومنفرد ، بل لابد من وجود وسيط يلعب دورا أساسيا في كل تأثير أنتروبولوجي ، يراعي وضعيات الثقافة التي تدفع إلى التأثير أو إلى التأثر في الثقافة "المرسلة" أو الثقافة "المرسل إليها" »[4] ففي قوله هذا إشارة إلى مدى أهمية الوسيط في قيام عملية الإنتقال .

يمكننا أن نوجز القنوات التي تصبح وسيطا في عملية الإنتقال فيما يلي :

---

[1] ماريوس فرنسوا غويار ، الأدب المقارن ، ترجمة :هنري زغيب ، منشورات عويدات ، المطبعة البوليسية، لبنان، 1978، الطبعة الأولى، ص25.

[2] داود سلوم ، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، مرجع سابق ، ص23-24.

[3] ينظر: دانييل هنري باجو ، الأدب العام والمقارن ، ترجمة : غسان السيد ، منشورات إتحاد الكتاب العرب،1997، ص78 و ما يليها .

[4] سعيد علوش ، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي (دراسة مقارنة)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1986م، الطبعة الأولى، ص123.

أ/ الكتب:

وتكمن أهميتها في إثبات الصلات الأدبية بين مختلف اللغات ، ويفضل الإطلاع على الكتب في لغتها الأصلية ، وإن تعذر ذلك نلجأ إلى الترجمة التي تعد وسيلة هامة من وسائل نقل الآداب من أمة إلى أخرى . ربما علينا أن نشير إلى أن الترجمة لا قيمة لها إذا لم تكن نقية وأمينة ، لكي تسهّل علينا معرفة الأعمال الأدبية ، أو الوقوف على أحوال الأمم التي لا نجيد لغتها ، ربما لأنه يستحيل علينا إتقان كل لغات العالم المهمة . بالإضافة إلى مراجعة الآثار النقدية والصحف والمجلات التي تعتبر وسيطا جيدا،[1] وخصوصا تلك التي تختص بالآداب الأجنبية ، ويمكننا أن نميز هنا بين المقالات التي تقدم الفكر الأجنبي، وأخرى تقدم نقدا لهذا الفكر .

ب/ الكتّاب:

يعتبر الدارسون بأن كل ما يمكن الوصول إليه في حياة الكاتب الذي يمثل موضوع الدراسة ، في جانب المؤثرات الأجنبية التي يمكن أن يكون لها الدور الصغير أو الكبير في تكوينه الإبداعي هي في دراسات التأثير الأدبي مادة للبحث ، ومادة مساعدة من أجل الوصول إلى إظهار وإثبات مدى التأثير والتأثر الذي يبحث عنه الباحث المقارن ، لذلك لابدّ لهذا الأخير أن يهتم بالكاتب ، ويتتبع« دراسة حياته و شخصيته وصلاته بالبلاد الأخرى»[2]، وغيرها من التفاصيل .

ج/ وسطاء البيئة الاجتماعية:

وأمثال هؤلاء : الجمعيات الأدبية ، والنوادي الثقافية التي تهتم بالآداب العالمية، بالإضافة إلى« الأصدقاء من الأجانب »[3] . وكثيرا ما يكون هؤلاء مسؤولين عن شيوع مذاهب فكرية ونقدية ، وآراء أدبية وفلسفية متكاملة، يمكنها إحداث تأثيرات كبيرة .

---

[1] ينظر: ماريوس فرونسوا غويار ، الأدب المقارن، ترجمة : هنري زعيب ، مرجع سابق ، ص30-34.

[2] محمد زكي العشماوي ، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1983، ص25.

[3] محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، مرجع سابق ، ص347.

د/ الأسفار:

وما طبع في الأذهان من أشياء مرئية ومسموعة . وقد لعبت هذه الأسفار دورا كبيرا في إخصاب الخيال الذي حفّــز القرائح على إنتاج أدب غزير قادر إلى حد كبير على تعريف الشعوب بعضها ببعض .[1] وبذلك يمكن أن تكون الأسفار التي قام بها الكاتب نفسه أو التي قرأ عنها في كتب الرحلات ذات تأثير كبير ، وهي بذلك تعتبر ناقلا أمينا لأساليب التعبير وطرائق التفكير للشعوب المختلفة .

III- إشكالية الاختلاف اللغوي أثناء الاحتلال :

يمكننا القول إن المدرسة الفرنسية للأدب المقارن تعنى بدراسة الآداب ؛ دون أن تتجاوز حدود الدراسة الأدبية دائرة الآداب إلى غيرها من الفنون ، فهي تهتم بمقارنة أدب معين بأدب آخر أو آداب أخرى .

وتعتمد دراسة الآداب دراسة مقارنة عند هذه المدرسة على شرطين أساسيين ، يتمثل أولهما في وجوب وجود صلة تاريخية قامت بين الأدبين اللذين نريد أن نقارن بينهما ، أما ثانيهما فيتمثل في الحدود اللغوية ، وتعتبر هذه المدرسة أن حد اللغة وخصوصيتها الحد الفاصل في فصل أي أدب عن غيره من الآداب ، أو ضمه إليها ، وتخرج عن نطاق دراسات الأدب المقارن أية دراسة تقارن بين أدبين تفصل بينهما الحدود الجغرافية ، مادامت اللغة التي كتبا بها هي لغة واحدة . فإذا كان الأمر كذلك فكيف نتعامل مع الأدبين الإنجليزي والأمريكي ؟ وهذا ينطبق أيضا على الأدب الفرنسي وآداب الأمم غير فرنسية وكتبت آدابها بلغة فرنسية كالأدب الكندي ، الأدب الأفريقي ، أدب شمال إفريقيا وخاصة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ؟

ويبدو لنا بأن صرامة شرط إختلاف اللغة ، كان سببا في احتدام المناقشات بين ممثلي هذه المدرسة وممثلي مدارس الأدب المقارن في العالم ، وخصوصا المدرسة الأمريكية التي جاءت في تنظيرها للأدب المقارن كردة فعل قوية على التنظير الذي جاءت به المدرسة الفرنسية .وهذا ما ذهب إليه محمد عبد السلام كفافي عندما قال بأن

---

[1] ينظر: بييربرونيل ، كلود بيشوا ، اندريه ميشيل روسو ، ما الأدب المقارن؟ ، ترجمة : غسان السيد ، منشورات دار علاء الدين ، د.ت ، ص40.

موقف المدرسة الأمريكية « بني على أساس أن الأدب المقارن يهتم بدراسة الأدب في صلاته التي تتعدى حدوده القومية . فالقومية وليست اللغة هي التي تحدد نوع الأدب »[1] بمعنى أن ممثلي المدرسة الأمريكية قد ألغوا شرط إختلاف اللغة ، وأجازوا قيام دراسات مقارنة تدخل في نطاق الأدب المقارن بين أدبين كتبا بلغة واحدة ، مادامت الأمم مختلفة ، كقيام دراسة مقارنة بين الأدبين الأمريكي والإنجليزي . فيبدو أمرا طبيعيا ألا يعتبر الأمريكيون أدبهم مجرد امتداد للأدب الإنجليزي ، على الرغم من أنهما كتبا بلغة واحدة هي "الإنجليزية " ، وهذا الإختلاف بين هذين الأدبين يشعر به القارئ في الثروة اللغوية ، وطرائق التفكير ، وتناول الموضوعات ، وأنماط الحياة .

والتساؤل الذي يشغل بالنا هو : ما هو موقف الدارسين المقارنين العرب من هذه المشكلة ؟

الملاحظ أنه منذ استقرار علم الأدب المقارن في الوطن العربي ، وجد الدارسون العرب أنفسهم مطالبين بأن تكون أبحاثهم المقارنة مجرد امتداد للمدرستين الفرنسية والأمريكية ، ولعل السبب الذي كان وراء ذلك هو افتراض أن الدولة القوية سياسيا هي بالضرورة الدولة القوية أدبيا– وذلك على خلفية أن بعض الدول العربية كانت وإلى وقت قريب مجرد مستعمرات أوروبية ترزخ تحت نير الإستعمار– فظهرت فئة من الدارسين المقارنين العرب تتبنى المفهوم والمنهج الفرنسي ، وهناك فئة أخرى تتبنى الآراء التي جاءت بها المدرسة الأمريكية ، وفئة ثالثة تتأرجح بين المدرستين ، وهذا ما ذهب إليه الطاهر أحمد مكي الذي رأى « بأن نلزم نهجا وسطا بين المدرسة الفرنسية المحافظة والمدرسة الأمريكية المتحررة » .[2] فهو يرى بأنه يمكننا الإفادة من تصورات كلا المدرستين ، وأن نكون حذرين من الوقوع في مغبة الخطأ أو التناقض .

تجدر الإشارة إلى أن منطقة الوطن العربي ، قد عرفت بعض المحاولات الجدية في هذا المجال ، نذكر منها ما جاء به عز الدين المناصرة الذي قال بأن « تطور المدرسة الفرنسية بطيء ومنهجها استطرادي ، في حين أن المدرسة الأمريكية تجزئ

[1] محمد عبد السلام كفافي ، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، مرجع سابق ، ص24.

[2] الطاهر أحمد مكي ، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه ، مرجع سابق ، ص194.

النص بإلغاء إشعاعاته الإجتماعية الممكنة » .[1] وفي كلامه هذا الإعتراض الذي وجّهه للمدرسة الفرنسية والمتمثل في إنشائية منهجها ، وتركيزها على التاريخ الخارجي الإستطرادي للنص ، بالإضافة إلى اعتراضه على النقد الإنشائي الغامض الذي جاءت به المدرسة الأمريكية والتي تركز على النص كأنه كل مغلق ملغية بذلك مختلف الإشعاعات الإجتماعية التي أحاطت بولادته . فما هو السبيل للخروج من هذه المشكلة ؟

يقول عز الدين المناصرة في هذا الصدد : « يكون الحل بتشجيع عملية الإبداع الأدبي مرتبطة بخصوصيتها النسبية في النص وبالمبدع ومرتبطة بالخارج الذي ولد فيه النص وأهم من ذلك دراسة العلاقة الديالكتيكية في العملية كلها »[2] ويبدو لنا بأنه يقصد بكلامه هذا ، أن الدراسة المقارنة تكون بالإعتماد على النص من الداخل ، ومن الخارج ؛ أي العوامل التاريخية والإجتماعية التي ساهمت في ولادته . والأهم من ذلك دراسة العلاقة الديالكتيكية التي تربط بين النص والمبدع والعوامل الخارجية التي شاركت في العملية الإبداعية .

وبالإضافة إلى عز الدين المناصرة ، نشير إلى الإقتراح الذي جاءت به الدارسة نسيمة عيلان عندما قالت: « إقتراحي يتمثل في تبني فكرة الإنتماء الحضاري في تحديد حدود الآداب التي تدرس دراسة مقارنة بدل من المقياس اللغوي ... وفي اعتقادي أن تبني هذا الإتجاه يمكّن من تجاوز المشكلة اللغوية التي طغت على المنهج كما يمكّنه أن يحوز على اتفاق بين الدارسين ذلك لأن تاريخ الحضارات يطلعنا على أن الحضارات تقرض بعضها وأن حضارة ما من الحضارات الإنسانية ما إن تتراجع حتى تخلفها حضارة أخرى تكون امتدادا لها ، فالصلة بين الحضارات التي تشكل تاريخ الإنسانية لا مجال لإنكارها إذ أن الحضارات سلسلة واحدة متصلة الحلقات » .[3] تقترح الدارسة استبدال توفر شرط إختلاف اللغة–الذي جاءت به المدرسة الفرنسية– لقيام دراسة مقارنة،

---

[1] عز الدين المناصرة ، بيان الأدب المقارن إشكاليات الحدود ،(أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول_موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح والمنهج)، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر، د.ت ، ص125.

[2] المرجع نفسه ، ص126.

[3] نسيمة عيلان ، من أجل مفهوم عربي للأدب المقارن ، أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح والمنهج ، مرجع سابق ، ص47.

بشرط توفر الإختلاف في الإنتماء الحضاري في الأدبين اللذين نود دراستهما دراسة مقارنة .

و على ضوء ما سبق ذكره ، يمكننا أن نقول بأن هناك اعتراضات جمة وجّهت من قبل الدارسين المقارنين إلى المنهج الفرنسي للأدب المقارن ، وما يهمنا من هذه الاعتراضات، هو الاعتراض الذي وجّه لشرط اختلاف اللغة لقيام دراسة مقارنة ، ويمكننا أن نقول بأن المدرسة الأمريكية تعتبر المعترض الأول لهذا الشرط ، حيث قامت بإلغائه مجيزة بذلك قيام دراسات مقارنة تدخل في نطاق الأدب المقارن بين أدبين كتبا بلغة واحدة . كما أن هناك مجهودات عربية فردية جادّة تحاول الإسهام في هذا المجال ، ونحن لا نرمي من وراء هذا العرض الموجز لأهم هذه المجهودات أن نضع قواعد تقيد هذا العلم ، وإنما نأمل أن تحظى هذه المحاولات وغيرها ، باهتمام المنظّرين للأدب المقارن في العالم العربي عموما، والجزائر خصوصا . هذه الأخيرة التي يتميز أدبها بخصوصية يندر توفرها في الدول العربية، تتمثل هذه الخصوصية في ظهور أدب كتب بلغة أخرى غير لغته الأصلية ، وهو ما عرف بالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية. فمتى ظهر هذا الأدب ؟ وما هي الظروف التي ساعدت على نموه وتطوره ؟ وما هي أهم القضايا التي أثيرت حوله؟

الفصل الأول

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أثناء الاحتلال

I- أدب ما قبل الخمسينيات

II- أدب الخمسينيات

III- قضايا الأدب الخمسيني

I - أدب ما قبل الخمسينيات (1920– 1949):

شهد النصف الأول من القرن الماضي ، و خاصة في السنوات التي تلت نهاية الحرب العالمية الأولى ، انفراجا في العلاقات الثنائية التي كانت قائمة بين الأهالي الجزائريين و المحتلين الفرنسيين ، و التي تميزت قبل هذه الفترة بعدائية طبعت العلاقة بينهما و بذلك كان أي تأثير حضاري أو تبادل ثقافي بينهما شبه معدوم . لعل ذلك يعود إلى نظرة الجزائريين إلى هذه الثقافة الفرنسية على أنها ثقافة العدو، و لا بد من توخي الحذر منها ، أما المحتلين الفرنسيين فقد كانت نظرتهم إلى ثقافة الأهالي الجزائريين نظرة احتقار.

عرف هذا الوضع إنفراجا عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ، و ربما كان هذا الإنفراج نتيجة للإجراءات السياسية و الإدارية التي اتخذتها الحكومة الفرنسية للتخفيف من حدة الوضع المشحون بالكراهية و الحقد المتبادلين بين الجزائريين و الفرنسيين . و هكذا أصبح في وسع الجزائريين إصدار الصحف ، و المشاركة في الإنتخابات و حق إنشاء الأحزاب السياسية . و هنا نطرح التساؤل التالي : هل كان من نتائج هذا الإنفراج أيضا ظهور أعمال أدبية لكتّاب جزائريين ؟ و هل كانت هذه الأعمال الأدبية مكتوبة بلغة عربية أم بلغة فرنسية؟

هكذا و بعد تسعين عاما من الإحتلال الفرنسي للجزائر، صدرت أعمال أدبية لجزائريين توسلوا اللغة الفرنسية كأداة للتعبير، و ربما كان اختيارهم للغة الفرنسية يعود إلى الظروف الإستثنائية التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة من انتشار الأمية بين الأهالي و اقتصار التعليم على اللغة الفرنسية .

و بذلك صدرت لأول مرة مجموعة شعرية بعنوان:" أساطير و أشعار الإسلام" "Contes et poèmes de L'Islam" سنة(1917) لصاحبها سالم القبي ، وتلتها مجموعة شعرية أخرى بعنوان "أنداء المشرق" ″ Rosées d'orient″ سنة(1920)، و كتب القايد بن الشريف (1879–1921) سيرته الذاتية و نشرها سنة 1920م ، عنوانها "أحمد بن مصطفى كومي" ″Ahmed ben Mostapha Goumier″ ثم تلتها عدة أعمال روائية نذكر منها : رواية "زهراء امرأة المنجمي" ″ Zohra, la femme du mineur ″ لعبد القادر حاج حمو (1891–1954) صدرت سنة(1925)، ثم نشر

شكري خوجة (1891 –1967) روايتين على التوالي هما : "مأمون بدايات مثل أعلى" « Mamoun , L'ébauche d'un idéal » سنة(1928)، ورواية "العلج أسير بربروسيا" « El-Euldj , captif des barbaresques » صدرت سنة(1929م).[1] و صدرت لمحمد ولد الشيخ (1906 – 1938) سنة 1934 رواية بعنوان "مريم ابنة النخيل" Myriem « dans les palmes » كما نشر رابح زناتي (1880 – 1952) رواية "بولنوار فتى جزائري" « Bou-el-Nouar , le jeune algérien » سنة(1945م).[2]

و يبدو لنا بأن الأعمال الأدبية لم تكن قصرا على الرجال فقد شهدت هذه الفترة بروز روائيتين اثنتين هما : الطاوس عمروش Taos Amrouche (1913 – 1976) التي نشرت رواية "الزنبقة السوداء" « Jacinthe noire » سنة(1947)، و جميلة دباش Djamila Debèche التي صدر لها سنة 1947 رواية بعنوان "ليلى فتاة الجزائر" « Leila, jeune fille d'Algérie » .[3]

و يرى بعض الدارسين بأن هناك عوامل ساعدت كتّاب هذه الفترة على الكتابة الأدبية باللغة الفرنسية و يمكن حصرها في عاملين اثنين هما :

1 – السياسة المقصودة من السلطات الإستعمارية بتشجيع الإنتاج الفكري للأهالي و ذلك تحسبا للإحتفال بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر . و بالفعل نجحت في إقناع بعض الكتاب الجزائريين في ذلك الوقت بالمشاركة في إحياء الذكرى المئوية للإحتلال سنة (1930)، بخطب أشادوا فيها بدور فرنسا الثقافي و الحضاري.

2 – الأعمال الأدبية التي نشرها الجزائريون طيلة ثلاثة عقود لم تكن مزعجة للسلطات و لا مقلقة لها على الصعيد السياسي .[4]

و قد سلك كتاب هذه الفترة في تناولهم للموضوعات إتجاهين مختلفين:

---

[1]. ينظر: احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007،د .ع .ط ، ص 94.

[2] ينظر : Jean Déjeux , La littérature algérienne contemporaine , Presses universitaires de France , France , 1975 , 1er édition , p60

[3].ينظر: احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه ،مرجع سابق ، ص 60.

[4] .ينظر: أحمد منور، ملامح أدبية دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل للنشر و التوزيع، 2008، د.ع.ط ص 29.

الاتجاه الأول :

كان لتناسي أصحاب هذا الإتجاه للوجود الإستعماري أثر على اختيارهم للموضوعات ، فاكتفوا بتناول المشاكل الإجتماعية الثانوية كموضوع لعب القمار و تعاطي الخمور، و أثرها على المسلمين .[1] مع العلم بأن هذه العادات تعتبر من المحرمات في الشريعة الإسلامية ، في حين أنها تعتبر جزء من الحياة اليومية للفرنسيين، فهي متعلقة بالحرية الشخصية للفرد في المجتمع الفرنسي . بالإضافة إلى تعاطيهم موضوع الزواج المختلط بين الجزائريين و الفرنسيات . ويبدو بأن تناولهم لهذا الموضوع قد نتج عن تبنيهم للفكر الإندماجي الذي كان شائعا في هذه الفترة التاريخية المحصورة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية .

الاتجاه الثاني:

و نلحظ تباشيره عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، ففي سنة(1948)، شهدت الساحة الأدبية صدور روايتين هما : " إدريس " لعلي الحمامي ، و " لبيك " لمالك بن نبي [2]، هاتين الروايتين كانتا في مضامينهما بعيدتين كل البعد عن الفكر الإندماجي ؛ الذي كان سائدا في الأعمال الروائية المكتوبة باللغة الفرنسية لأصحاب الإتجاه الأول . كانت الموضوعات في هاتين الروايتين ذات صلة وطيدة بالمجتمع الجزائري ، ومناهضة للوجود الإستعماري .

وقد اتفق الدارسون حول مضامين الأعمال الروائية التي صدرت في هذه الحقبة التاريخية. ومن بين هذه الآراء نذكر ما ذهبت إليه سعاد محمد خضر التي تقول عن المواقف التي اتخذها كتّاب هذه الفترة بأنهم كانوا: « ... أقرب إلى أولئك الكتّاب الفرنسيين الذين تعرضوا لقضايا جزائرية . فقد عكست مؤلفاتهم نفس تلك الميول التي لا تخدم إلا السلطات الحاكمة ، أي الاحتقار لواقعهم و الإعجاب بالثقافة الأوروبية » [3].

---

[1] ينظر: Jean Déjeux , La Littérature maghrébine de langue française , Edition Naaman Canada , p20-21

[2] ينظر :أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه ، مرجع سابق ، ص 104 .

[3] سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1997 ، د.ع.ط،ص 91 .

فهذه الروايات التي تمثل البدايات الأولى للأدب الجزائري ، تميزت على المستوى الجمالي بالضعف ، إنها أعمال أدبية مخيبة للآمال ، فكتّابها كانوا مجرد مقلدين للنصوص الأدبية الفرنسية ، و كان هدف هؤلاء الكتّاب من الكتابة هو الإثبات للأخر بأن النخبة المثقفة من الأهالي قادرة على الكتابة – وهي ظاهرة حضارية – بلغة فرنسية تخلو من الأخطاء النحوية و الإملائية ، ضمن أسلوب أكاديمي . بالإضافة إلى تمسكهم َبالسطحية التي لا تعبر عن أعماق الأنا [1]. وبذلك جاءت « ... كتاباتهم تتم عن تصنع مدرسي مقصود ، و عن فلسفة تشيد بالبؤس ، و أحلام تهفوا إلى الإندماج » [2].

يبدو لنا من خلال هذه الآراء المختلفة مدى سطحية هذه الأعمال الأدبية ، فكتابها لم يغوصوا في أعماق المجتمع الجزائري ، ولم يعبروا عن مشاكله الحقيقية ، و لعل هذا يعود لنظرتهم لمجتمعهم نظرة وافقت النظرة الكولونيالية ؛ تلك النظرة التي تنظر للإنسان الجزائري بعين غرائبية " إكزوتيكية". فجاءت أعمالهم مصبوغة بطابع فلكلوري بحت ، لأنها صورت الإنسان الجزائري غرائزيا و طيبا ساذجا ، و دمويا خبيثا ، فهو لا يتعدى أن يكون إطارا وموضوعا للتسلية و الفلكلور ، بمفهومه الإستهلاكي .

ونرى بأنه لا يمكننا تجاوز هذه الفترة ، دون أن نذكر الكاتب الجزائري " جون عمروش" "Jean Amrouche"[3] الذي تمكن من أن يتغنى بلغة فرنسية لا تشوبها شائبة ، فقد كان يتقن هذه اللغة ، على عكس اللغة العربية الفصحى أو العامية التي كان يجهلها. فكان هذا سببا في إحساسه بأنه فقد بعض المكونات الأساسية للشخصية الجزائرية الحقة، و قد انعكس إحساسه هذا في أعماله الشعرية المتكونة من مجموعتين شعريتين أولاهما " الرماد" "Cendres" نشرها سنة(1934)، أما ثانيهما فهي " النجمة السرية" " L'étoile secrète" التي نشرها سنة (1937) ، هاتين المجموعتين

---

[1] ينظر : Jean Déjeux , La littérature algérienne contemporaine , o.p.c , p60

[2] عبد الكبير الخطيبي ،الرواية المغربية ، ترجمة : محمد برادة ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، المطابع الفرنسية و المغربية ، الرباط ، 1971 ، ص44 .

[3] اسمه الكامل "**جون الموهوب عمروش**" "Jean El-Mouhoub Amrouche" ، ولد بالجزائر بمنطقة القبائل عام 1906 . شاعر و صحفي جزائري توسل اللغة الفرنسية أداة للتعبير ، لأنه لم يكن يتقن لغة غيرها، و ذلك لان "الآباء البيض" أخذوه إلى فرنسا صبيا ، أين تلقى تربية و ثقافة فرنسية بحتة . كان من أشدّ المدافعين عن القضية الوطنية الجزائرية ، إلا أن القدر لم يمهله رؤية استقلال وطنه الجزائر ، فقد توفي عام 1962 إثر إصابته بمرض السرطان ، و كان ذلك بعد أسابيع قليلة من توقيع إتفاقيات إيفيان .

اللتين كانتا تنبضان بشعور الحنين إلى وطنه الأم و هو الجزائر[1]. و لعل ما سبق ذكره كان سببا في اعتباره اكبر و أشهر اسم عرفته هذه الفترة المتقدمة من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية .

على الرغم من الإنتقادات التي وجّهت إلى الأعمال الأدبية التي كتبت في هذه الفترة ، فإن هناك من الدارسين من يرى بأنه لا يمكن تجاهل هذه الأعمال لأنها «جزء من الميراث الفني الوطني الجزائري » [2] . و عليه يمكننا اعتبار هذه الموجة من الأعمال الأدبية المتن الجزائري الأول ، و لبنة من اللبنات التي ساهمت في بناء الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية . السبب الذي نجده كافيا للإستزادة من الدراسات المتخصصة حول هذه المحاولات الأدبية التي شهدتها هذه المرحلة المتقدمة من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية .

II- أدب الخمسينيات:

1- ميزاته الفارقة :

إذا كانت المحاولات الأدبية الأولى المكتوبة باللغة الفرنسية قد أحاطتها الدراسات النقدية بهالة من الإرتياب وعدم الرضا ، فإن فترة الخمسينيات من القرن العشرين ، شهدت ظهور حركة أدبية جزائرية باللغة الفرنسية ، أسست لنفسها متنا هو مرآة لذاتها ، لطموح الإنسان في هذا البلد الغني بثرواته ، المحروم من حريته، الذي بدأت تهزه الحداثة على وقع أحداث الحرب العالمية الثانية ، و تأسس الحركات الوطنية، وسقوط النزعة القبلية والعشائرية أمام المفاهيم المعاصرة .

وقد عرفت فترة الخمسينيات ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، محاولة استبطان المجتمع الجزائري ، الذي كان يمر بفترة مخاض إجتماعي وسياسي عسير ، نتيجة تصاعد الوعي الوطني ، الذي خلفته مجازر 08 ماي 1945. و يرى جون ديجو بأن ظهور أول عمل روائي جزائري يستحق الإهتمام على المستوى

---

[1] ينظر : Jean Déjeux , La littérature maghrébine d’expression française , Presses universitaires de France , Paris , 1992 ,1ère édition , p15 .

[2] Ferenc Hardi , Le roman algérien de langue française de l’entre-deux- guerre , Discours idéologique et quête identitaire , L’Harmattan, France, 2005 , p 09 .

الجمالي ، كان في سنوات الخمسينيات[1] . حيث شهدت هذه الحقبة التاريخية ولادة نص روائي جديد ، يبشر بإنسان جديد ، و بعقل جديد ، قلب موازين البطولة الروائية . فإذا كان الإنسان الأهلي في النصوص الأولى هو الهامش ، ففي هذا النص الجديـد صـار هذا الأخير هو الأساس .

وتعتبر رواية " ابن الفقير " "Le fils du pauvre" للكاتـب الجزائـري "مولـود فرعون" والتي نشرت سنة 1950م ، أول رواية كتبها جزائري مـن الأهـالي بلغـة فرنسية لا تشوبها شائبة ، امتازت على المستوى الإبداعي بتوفرها على عاملي العقـدة والحدث ، إضافة إلى روح الكاتب وانفعاله مع النص . وسرعان ما تبعتها روايـة " الهضبة المنسية " "La colline oubliée " "لمولود معمري" صدرت سنة (1952م). ثم في نفس السنة نشر "محمد ديب" روايته الأولى " الـدار الكبيـرة " " La grande maison".[2]

اهتمت هذه الروايات بتصوير الفقر و البؤس والألم الذي عاش فيه الجزائريـون في ظل الإستعمار ، يقول أبو القاسم سعد الله : « كانت موضـوعات هـذه الأعمـال جزائرية ولكن محتواها كان إجتماعيا إقليميا في أغلبه . فالكتّاب كانوا يعبـرون عـن تجارب شخصية عاشوها في مساقط رؤوسهم تحت الإضطهاد والإستعمار البغيض» [3]. وهذا مما لا يدع مجالا للشك بأن مضامين روايات الخمسينيات تختلف عن مضـامين المحاولات الأدبية للفترة التي سبقتها . فقد حاول هؤلاء الكتّاب تبيان العادات والتقاليـد التي تميز الحياة الإجتماعية ، و صدامها مع الواقع الحضاري ، و ما نتج عـن هـذا الصدام من مشاكل نفسية مرتبطة بالبحث الفردي أو الجماعي عن الهوية[4] .

[1] ينظر : Jean Déjeux , La littérature maghrébine d'expression française , o.p.c , p 03 .

[2] ينظر : Jean Déjeux , La littérature maghrébine d'expression française , o.p.c, P 18 .

[3] أبو قاسم سعد الله ، أفكار جامحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988، د.ع.ط ، ص43.

[4] ينظر: Jacques Noiraye , littératures francophones, 1-Le Maghreb , Belin , Paris , p12 .

- **أدب ما قبل الثورة :**[1]

في هذه المرحلة عني الكتّاب الجزائريون بالحياة الاجتماعية الواقعية التي سادت مجتمعاتهم . فقد كان هدفهم هو الكتابة الجيدة ، من أجل إعطاء صورة حقيقيـــة عـــن أنفسهم. عرف أدب هذه المرحلة بأدب الحنين . و قد سادت في هذه الفتـــرة الروايـــة الإثنوغرافية ، والتي يقول عنها الباحث جاك نواراي بأنها: « أول شكل يأخذه أدب ما، في طور البحث عن نفسه ، ومحاولة إثبات ذاته المفقودة»[2]. و هذه النزعة الإثنوغرافية لا تزيد على وصف ما تراه العين يوميا ، فكانت واقعية أدب هـــذه المرحلـــة واقعيـــة إنتقادية . ومن أبرز الأعمال التي صدرت في هذه المرحلة : روايتي" ابن الفقير "سنة(1950) و"الأرض و الدم" La terre et le sang " سنة(1953)"لمولود فرعون"،رواية "الهضبة المنسية"سنة 1952 لمولود معمري[3] ، رواية " الدار الكبيـــرة " ســـنة(1952) لمحمد ديب [4].

و إلى جانب الرواية ، عرفت المرحلة الأولى مـــن تطـــور الأدب الجزائـــري المكتوب باللغة الفرنسية ، جنسا أدبيا أخر وهو الشعر . فنسجل صـــدور المجموعـــة الشعرية " زفرات الصحراء" "Souffles du désert" سنة(1951)، لصاحبها " أحمـــد شامي" ، كما نشر آيت جعفر مجموعة شعرية تحت عنوان " شكاوى المتسولين العرب بحي القصبة ، و ياسمينة الصغيرة قتيلـــة أبيهـــا " "Complainte des mendiants

---

[1] قسمت " جاكلنين أرنو" أدب هذه الفترة إلى مرحلتين ، واضعة تاريخ انطلاق حرب التحرير كحد فاصل بين هاتين الأخيرتين . و في هذا الصدد راجع : Jacqueline Arnaud ,La littérature maghrébine de langue française , Tome : 1 Origines et perspective , Publisud , France , 1986 , p47-48.

[2] Jacques Noiraye , littératures francophones , 1: Le Maghreb , o.p.c , P 41 .

[3] **مولود معمري** : ولد يوم 28 ديسمبر 1917 في قرية "ثاوريرث ميمون" إحدى قرى منطقة القبائل الكبرى ، زاول دراسته في المدرسة الفرنسية في مسقط رأسه ، ثم تابع دراسته في مدينة الرباط ، ثم الجزائر وبعدها باريس ، و درس الأدب في مدرسة "بن عكنون" . شارك في الحرب العالمية الثانية كمجند في الجيش الفرنسي . انضم إلى صف المؤيدين للثورة الجزائرية ابتداء من سنة 1956. بعد استقلال الجزائر كتب رواية "الأفيون والعصا" "L'opion et le bâton" سنة 1965، ثم توقف عن الكتابة باللغة الفرنسية ، وتحول إلى دراسة وتدريس اللغة البربرية ، إلى أن توفي إثر حادث سير سنة 1989.

[4] **محمد ديب** : ولد يوم21 جويلية 1920 بمدينة تلمسان ، أين تابع دراسته . تركت وفاة والده أثرا عميقا في نفسه. مارس وظائف مختلفة : معلم ، تاجر زرابي ، صحفي في جريدة "الجزائر جمهورية" من 1950إلى 1951 أين تعرف على كاتب ياسين . جسدت ثلاثيته مرحلة تشكل الوعي عند الشعب الجزائري ، ذلك لأنه كان روائي التزم بالدفاع عن القضية الوطنية الجزائرية . نفي من الجزائر سنة 1959، حيث استقر نهائيا في منطقة باريس . توفي سنة 2003 بسان كلو إحدى ضواحي باريس في فرنسا .

وكـــان ذلـــك arabes de la casbah et de la petite Yasmina tuée par son père" سنة1953 [1] . وقد اتسم شعر هذه المرحلة بطابـــعه الغنائي ونغمته الحزينـــة .

<u>أدب ما بعد الثورة:</u>

يرى أدب وطني النور في هذه المرحلة ، حيث أصبحت اللغة الفرنسية تســتعمل كسلاح وجّهه الكتّاب الجزائريون إلى صدر المستعمر ، ربمـــا لأنهـــا مفهومـــة مـــن الفرنسيين على عكس اللغة العربية . و أطلق على أدب هـــذه المرحلـــة اســـم " أدب مقاومة "[2] لأنه نبع من أعماق الجزائر ليندد بالسيطرة الإســتعمارية. امتـــازت هـــذه المرحلة بالتنمية الهائلة للرصيد الفني والثوري ، و الإستغلال المتقن لأحـــداث الثـــورة على مستوى الإبداع الأدبي . فقد التحم الكتّاب الجزائريون بالواقع الجزائري وبالشعب الثائر ، و أنتجوا أعمالا تميزت بالجرأة في الأشكال و المضامين على حد سواء .

الأعمال الروائية التـــي جســـدت هـــذه المرحلـــة : " الحريـــق" "L'Incendie" (1954م) و "النول" "Le métier à tisser" (1957م) لمحمد ديب ، " إغفـــاءة العـــادل" "Le sommeil du juste" (1955م) لمولود معمـــري ، "نجمـــة" "Nadjma" (1956م) لكاتب ياسين [3] ، " مـــن ذا يـــذكر البحـــر" "Qui se souvient de la mer" (1962) لمحمد ديب أيضا ، الإنطبـــاع الأخيـــر" "La dernière impression" (1958م) ، " سأهبك غزالة" "Je t'offrirai une gazelle" (1959م) ، " التلميذ و الدرس" "L'Elève et la leçon" (1960م) ، " رصيف الأزهار لا يجيـــب" "Le Quai aux fleurs ne répond pas" (1961م) لمالك حداد[4].

---

[1] ينظر: Jean Déjeux , La littérature maghrébine d'expression française , o.p.c , P 19 .

[2] عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجبل ، بيروت ، 1991م ، الطبعة الأولى ، ص67.

[3] **كاتب ياسين** : من مواليد عام 1929 في مدينة قسنطينة . زاول دراسته في المدرسة الفرنسية في مدينة سطيف، أين شهد انتفاضة 8 ماي 1945. التي تركت في نفسة أثرا عميقا لم تتمكن السنين من محوه . عمل في جريدة "الجزائر الجمهورية"، عاش لمدة طويلة في ظروف مالية قاسية . التزم بالدفاع عن قضية التحريـر الوطنية . وبعد الإستقلال وبالتحديد إبتداء من سنة 1971تحول كاتب عن الكتابة باللغة الفرنسية ، إلى الكتابة باللغة الدارجة . تحصل سنة 1987 على الجائزة الوطنية الكبرى للآداب على كل أعماله الأدبية . توفي سنة1989 بمدينة "غرينوبل".

[4] ينظر: Jean Déjeux , La littérature maghrébine d'expression française, o.p.c , P 21 .

بالإضافة إلى الروايات اللواتي أصدرتهن أسيا جبار[1] على التوالي : " العطش" "La Soif" (1957م) ، "القلقــون" "Les Impatients" (1958م) ، و "أطفــال العــالم الجديد" "Les Enfants du nouveau monde" (1962م) . وروايــة مولــود فرعــون "الدروب الوعرة" "Les chemins qui montent" (1957م)، هنري كريــا وروايتــه " جمال" "Djamel" (1961م)[2] . وغيرها من الأعمال الروائية .

أما عن المجموعات الشعرية ، فقد شهدت هذه المرحلة حركــة غيــر مســبوقة للشعر المكتوب باللغة الفرنسية لشعراء جزائريين ، من أمثلة ذلك : " الشقاء في خطر" "Le Malheur en danger" (1956) ، " أسمعني وأناديــك" "Ecoute et je t'appelle" (1961م) مجموعتين شعريتين نشرهما مالك حداد[3]. كما نشــر محمــد ديــب ســنة(1961) " الظل الحارس" "Ombre gardienne" ، ونشر"جون ســيناك" [4] مجموعــة شعرية تحت عنوان " قصائد" "Poèmes" سنة(1954).

بالإضافة إلى الشاعر هنري كريا[5] ، الذي أصدر مجموعتــه الشــعرية " فتــرة طويلة" "Longue durée" سنة(1955)، و " أكبر يوم" "Grand jour" سنة(1956). يضاف إلى هذه المجموعة من الشعراء كل من : مراد بوربون ، نور الــدين عبــة ، بشير حاج علي ، تيدافي ، نور الدين بوخوشة وغيرهم[6]. تعتبر هذه الأشعار تســجيلا

---

[1] **آسيا جبار**: ولدت يوم 4 أوت 1936 في عائلة تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة ، حرص والدها الذي كان معلما على مزاولتها لدراستها في المدرسة الفرنسية . وتمكنت بفضل اجتهادها من الالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة وكان ذلك سنة 1955 . عند تخرجها زاولت مهنة تدريس التاريخ . أعمالها الأدبية المكتوبة باللغة الفرنسية تناولت وضعية المرأة في فترة حرب التحرير والدور الرئيسي الذي قامت به من أجل نيل الحرية . و هكذا فتحت جبار على عالم المرأة أبوابا كانت مغلقة، لذلك اعتبرت من المدافعين عن حقوق المرأة .

[2] ينظر: Jean Déjeux , La littérature maghrébine d'expression française , o.p.c , 22 .

[3] **مالك حداد** : ولد عام 1927 بمدينة قسنطينة التي زاول فيها تعليمه في المدرسة الفرنسية ، و بعد تحصله على شهادة الحقوق من فرنسا ، عاد ليشتغل بمهنة التدريس . شهد انتفاضة 8 ماي 1945 التي أثرت فيه كثيرا ، كما ساهمت في إيقاظ ضميره القومي العربي . التزم بالقضية الوطنية ، وكرس نفسه للكتابة عن ثورة الجزائر شعرا ورواية حتى بعد نفيه من قبل السلطات الإستعمارية إلى أوروبا ، وبعد استقلال الوطن توقف عن الكتابة وتقلد عدة مناصب إدارية إلى أن وافته المنية سنة 1978.

[4] **جون سيناك** "Jean Sénac" : من أبرز الأدباء الجزائريين الفرنسي الأصل ، ولد سنة 1926 . عند اندلاع ثورة التحرير انضم سيناك إلى صفوفها ، وبعد الإستقلال اختار البقاء في الجزائر . أسس مجلتي "سطوح""Terrasses" و "شمس" "Soleil" . شغل عدة مناصب في الجزائر ،التي اغتيل فيها سنة 1973.

[5] **هنري كريا** : "Henri kréa" قضى شبابه بالجزائر التي ولد بها سنة 1933، من أب فرنسي و أم جزائرية . اختار بعد الاستقلال العيش في فرنسا .

[6] ينظر: Jean Déjeux , La littérature maghrébine d'expression française , o.p.c , P 23 .

للمعاناة النفسية الحادة ، التي يعاني منها هؤلاء الشعراء ، نتيجة الغربة التي يحسونها في التعبير عن معاناتهم بلغة فرنسية مفروضة عليهم .

عرف الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ، لونا آخر غير الرواية والشعر، وهو المسرحية . فقد ظهرت مسرحية "الكاهنة" "Al Kahina" للشاعر أحمد جلول سنة(1957)م، وهي مسرحية تاريخية تعنى بالتراث و تدعو إلى الجهاد. ثم أصدر كاتب ياسين ثلاث مسرحيات " الجثة المطوقة " "Le Cadavre encerclé" و "الأجداد يزدادون شراسة" "Les Ancêtres redoublent de férocité" و "مسحوق الذكاء" "La poudre de l'intelligence" تحت عنوان واحد وهو: " دائرة الإنتقام" "Le cercle des Représailles" سنة(1959م).

كما نشر هنري كريا مسرحية الزلزال "Le séisme" سنة(1958م). وأصدر محمد بودية مسرحية "ولادات " "Naissances" سنة (1962) ، بالإضافة إلى مسرحية " أصوات في القصبة" "Des voix dans la Casbah" التي نشرها حسين بوزاهر سنة (1960)[1].

وتعتبر مسرحيات كاتب ياسين ذات نزعة ثورية أكثر من غيرها ، وربما يعود ذلك إلى صراحتها أكثر من غيرها في التعبير عن نقمة الشعب الجزائري وتصميمه على تحقيق الإستقلال . و يبدو لنا بأن هذا ما جعل كاتب ياسين ينتزع من غيره لقب رائد المسرح الجزائري في مرحلة الخمسينيات .

و تجدر الإشارة إلى أن الجزائر في هذه الفترة كانت محرومة من دور الطباعة، لذلك اضطر الكتاب الجزائريون أن يبحثوا عن دور نشر خارج الجزائر ، على أن تتمتع هذه الدور بقسط من التفهّم و الشجاعة ، يسمحان لها بأن تجازف بنشر هذه الأعمال الأدبية . ومن أشهر دور النشر التي نشرت أعمال جيل الخمسينيات :

«Le seuil…Plon … Buchet - Chastel …Julliard , Denoël , Gallimard »[2]

وكان مقر كل دور النشر السابقة الذكر في مدينة باريس ، حيث تتوفر سائر التسهيلات الثقافية .وعليه فقد تمكن الكتّاب الجزائريون في فترة الخمسينيات من الفوز بجوائز

---

[1] ينظر:. Jean Déjeux , La littérature maghrébine d'expression française , o.p.c, 23-24

[2] Jacqueline Arnaud , La littérature maghrébine de langue française , Tome:1 Origines et perpectives , o.p.c, p46.

أدبية تشجيعية قدمتها لهم السلطات الإستعمارية ليس احتفاء وتقديرا لتفــوقهم ، ولكــن للدعاية وتشجيع الأدب الذي يكتبه هؤلاء بالفرنسية . وهذا ما عــرف وقتهــا بسياســة الجوائز الأدبية .

ولعل ما يهم في الأمر هو حصولهم على هذه الجوائز عن جــدارة واســتحقاق، كحصول محمد ديب على جائزة "Le Prix Fénéon" سنة(1953)، عن روايته" الدارة الكبيرة " . وكذا تحصل "مولود معمري" على جــائزة "Quatre Jurys" عــن روايتــه "الهضبة المنسية " ، لكنه لم يذهب لتسلمها[1] .وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الكتّاب الجزائريين الــذين توســلوا اللغــة الفرنســية كــأداة للتعبيــر اســتطاعوا أن ينافسوابأعمــــالهم الأدبية الكتّاب الكولونياليين في مجالهم ، و تمكنوا من انتزاع الجوائز الأدبية منهم عن جدارة .

2-الظروف التي ساعدت على ظهور أدب الخمسينيات و تطوره:

أ/–الظروف السياسية و الاجتماعية:

يمكن القول بأن الأدب الجزائري الفرنسي التعبير ، مدين إلى حد بعيد في نموه وتطوره للظروف السياسية والاجتماعية التي سادت البلاد في فترة ما بــين الحــربين العالمتين ، عندما بدأت « النهضة الوطنية والسياسية تثير حوارا بين الإدارة الفرنســية و الشعب الجزائري »[2] . حيث تركز الأدب حول المطالبات السياسية الهامة في ذلــك الوقت من دعوى إلى تحقيق سياسة الإندماج ، وحق المواطنة و الإنتخاب، وغيرها من المواضيع التي كانت السلطات الإستعمارية تحاول أن تتملص من الحديث عنها .

وتعتبر إنتفاضة 8 ماي 1945 بمثابة نقطة تحول على كافة الأصعدة السياســية والاجتماعية والثقافية . والتي يمكننا تلخيص أسباب قيامها في القهــر الــذي مارســه الإستعمار على الشعب الجزائري ، بالإضافة إلى القــوانين المجحفــة التــي كانــت تصدرها السلطات الإستعمارية ،ويرى وسيني الأعرج بأن هذه الأخيرة كانت تهــدف

---

[1] ينظر: . Jacqueline Arnaud , La littérature maghrébine de langue française , Tome:1 Origines et perpectives , o.p.c , p 46 .

[2] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، ترجمة: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ت ، ص 57.

من خلال هذه القوانين إلى « إركاع هذا الشعب للآلة الرأسمالية »[1] . ثم ما لحق هــذه الإنتفاضة من حركة قمع شديد وسياسة بطش ، سلكتها الإمبريالية الإستعمارية للتفريق بين الحركات الوطنية والجماهير الشعبية . لكنها هذه المرة لم تنجح إلا في إثارة موجة من السخط و الاستياء والغضب ، أدت إلى تصاعد الوعي الوطني ، وشحذ الهمم ، فانطلقت الألسنة المعقودة ، و أخذ الكتّاب ينادون باسترجاع الشخصية المفقــودة ، و استعادة الكيان الضائع، و يثورون على كل مظاهر التبعية للمســتعمر[2] . هــذا مــن جهة، و من جهة أخرى ثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة ، التي ربما تكون أهم حدث أسهم في بلورة الوعي الوطني و ما أسفرت عنه هذه الثورة من نزع للأقــنعة . و كنتيجة طبيعية لذلك أصبح كل جزائري يعرف أين هو مكانه و ما هي مهمتــه ، و بذلك أصبحت ثنائية الحرية و الإستقلال أنشودة يتغنى بها كل جزائري أيا كان أصله (قبائلي أو عربي) ، و دينه و طبقته الاجتماعية .

وهذا ما جسدته الأعمال الأدبية التي كتبها الأدباء الجزائريون في تلــك الحقبــة التاريخية . فقد كان وقع هذه الأحداث السياسية على الأدب الجزائري المكتوب باللغــة الفرنسية كبيرا ، و بالتالي فقد تجسد في هذا الأخير الوعي الوطني بالمنظور الفنــي ، وبذلك كان التحول على المستوى الإبداعي جذريا .

ب/- الظروف الثقافية:

أولا: التعليم الفرنسي:

حارب الإستعمار الفرنسي منذ احتلاله الجزائر ، الشخصية الجزائرية بكافة مميزاتها الذاتية و الموضوعية ، فقام بضرب مقدسات الشعب الجزائري « كاللغة و الثقافة و الدين وهو مجمل التاريخ الحضاري »[3] . و لنشر ثقافته ، عمل على القضاء على اللغة العربية بمنعها و اعتبارها لغة أجنبية ، فتم بذلك غلق أغلب المدارس

---

[1] واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1986 ، د.ع.ط ، ص35.

[2] ينظر: حنفي بن عيسى ، الرواية الجزائرية المعاصرة ، الثقافة ، تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة2 ، العدد 8-9، 1972، ص 63.

[3] عبد الله حمادي ، مساءلات في الفكر و الأدب ، محاضرات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1994،ص 295.

العربية إن لم نقل كلها ، و محاولة فرنسة و إدماج الشعب الجزائري . و بموجب قانون جول فيري –"Jules Ferry" الذي ينادي بإجبارية ومجانية التعليم، الذي تم إقراره في فرنسا سنة (1883)م، و تم تطبيقه في الجزائر إنطلاقا من سنة (1889)م– أخذت السلطات الإستعمارية تفتح أبواب المدارس الفرنسية في وجه أبناء الأهالي ، إلا أن برامج التدريس فيها كانت فرنسية بحتة ، فما اللغة إذن إلا لغة فرنسا و ما الأدب إلا أدبها و ما التاريخ إلا تاريخها وما الجغرافية إلا جغرافيتها[1] .كما يقول عبد المجيد حنون عن برنامج مادة التاريخ الذي كان يدرس في المدرسة الإبتدائية الفرنسية « كان تلاميذ المدارس الإبتدائية يجدون أول درس في التاريخ تحت هذا العنوان : "أجدادنا الغاليون" ثم تتوالى دروس التاريخ ذاكرة "يوليوس قيصر " و "فيرسان جيتوريكس" و "شارلمان" و "شارل مارتيل" و "جان دارك" (...) كان يقال للأطفال المغاربة ان أجدادهم الفرنسيون الذين يرجعون هم أيضا إلى الرومان ، ثم تقفز دروس التاريخ إلى 1830 (...) و تتحدث عن الأعمال البطولية التي قام بها ضباط فرنسا في إعادة الأمور إلى نصابها »[2] ولعل هذا البرنامج وغيره من برامج التدريس في المدرسة الفرنسية كانوا السبب في مقاطعة الجزائريين لهذه المدارس، ورضوا بالأمية والفقر دونها ، لذلك اقتصر التعليم في هذه الفترة على أبناء الذوات وعملاء فرنسا من أبناء الجزائر .

لكن مع بداية القرن العشرين و خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، و ما خلفته هذه الأخيرة من سوء للأحوال المعيشية ، وظهور للآفات الاجتماعية وعلى رأسها مشكلة الفقر ، دفع بالأهالي إلى إدخال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، و التي كان على الجزائريين أن يكافحوا في سبيل الدخول إليها ، و التي أصبح ارتيادها أمرا ضروريا من أجل الحصول على وظيفة ، و تحسين مستوى المعيشة.

كان جيل المؤسسين هو الجيل الأول الذي تلقى التعليم بالمدرسة الفرنسية ، لأنه وجد في نفسه حاجة إلى تعلم اللغة الفرنسية و تملكها والتحكم فيها ، الأمر الذي خوله الكتابة باللغة الفرنسية والمساهمة في الإنتاج الأدبي . وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد

---

[1] ينظر: Jacqueline Arnaud , la littérature maghrébine de langue française , Tome:1 Origines et perspectives , o.p.c , p36.

[2] عبد المجيد حنون ،صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 ، د.ع.ط ، ص 54 .

الله الذي قال عن المدرسة الفرنسية : « منذ سنة 1920 أثّرت في عدد من الجزائريين، فأخرجت منهم مجموعة تعاطت السياسة ووصلت إلى القيادة ، و مارست الأدب باللغة الفرنسية حتى أصبحوا من أعلامه »[1] .

ارتبطت أسماء جيل الخمسينيات بالكفاح المسلح ، ربما لأنهم استعملوا أدبهم ضد المستعمر الفرنسي ، منضمين بذلك إلى صف المطالبين بالحرية و الإستقلال لبلادهم .

ثانيا: الآداب الغربية:

- الأدب الفرنسي:

تأثر الأدب الجزائري الفرنسي التعبير كغيره من الآداب العربية ، بالحضارة الغربية الحديثة و بالفكر الإنساني عامة ، و بالأدب الفرنسي خاصة ، هذا ما رآه محمد الطمار حينما قال: « الأدب الفرنسي قد تأثر في تطوره بتجارب أمم وشعوب كثيرة اتصل بأدبها و ثقافتها على مر العصور ، و أدب الجزائريين قد اتصل اتصالا وثيقا بالأدب الفرنسي صانع ثورة (1789)م الفرنسية ، ومن ثم فقد اتصل بصفة غير مباشرة بالآداب الأخرى ، فاستفاد في موضوعاته و قيمه الفنية بموقف الأدب التقدمي من المشكلة الجزائرية »[2]. و بذلك ظهرت طائفة من المفكرين والأدباء والشعراء يقول ابو القاسم سعد الله بأن تجربتهم كانت «... جزائرية ، أما و سائلهم و اتجاهاتهم فكانت كلها غربية »[3] .

-الأدبان الأمريكي والروسي:

أثر كل من الأدبين الأمريكي والروسي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، فأثر الأدب الأمريكي في هذا الأدب كتب عنه الكثيرون كتأثير فولكنر في كتاب ياسين مثلا . لكن المظهر الأمريكي لهذا الأدب (أي الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية)

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، الشرق والغرب في ثقافة الجزائر الحديثة ، الثقافة ، دورية ثقافية إبداعية ، تصدر عن وزارة الثقافة ، العدد 09 ، الجزائر ، 2007، ص 34.

[2] محمد الطمار،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ،ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007، د.ع.ط ، ص 276.

[3] أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الآداب ، 1977، الطبعة الثانية(مزيدة) ، ص23.

يمكن تفسيره بسهولة وهذا ما ذهب إليه ابو القاسم سعد الله عندما قال بأنه« ربما يكون أفضل تفسيرا على أساس التشابه الكبير في الظروف التي أدت إلى تطور أدب وطني في أمريكا وفي شمال إفريقية »[1] .وفي كلامه هذا إشارة إلى أن الكتاب الجزائريين يشبهون الكتاب الأمريكيين إلى حد بعيد ، ربما لأنهم لم يمارسوا الأدب إلا بعد تجارب عديدة في مهن مختلفة بالإضافة إلى أن هذا الأدب الجزائري لا يختلف كثيرا عن أدب الكتاب الأمريكيين – أمثال فولكنر، و كادويل ، و همنغواي ، الذين استمدوا موضوعاتهم من تجاربهم الخاصة في الحياة– في الشكل و الروح .

أما عن أثر الأدب الروسي في هذا الأدب فلا يمكن معرفة مقداره ، ربما لأنه كما قال ابوالقاسم سعد الله « لا يكاد يوجد أديب لم يقرأ قصص " أنطوان تشيخوف" أو رواية " الحرب والسلام" أو "الإخوة كراما زوف" أو " الأم" »[2] ، و غيرها من روائع الأدب الروسي الكلاسيكي ، التي كانت و ما تزال تلقى إقبالا كبيرا من طرف القراء باختلاف جنسياتهم و انتماءاتهم الدينية و السياسية و الفكرية .

نستنتج مما سبق ، بأن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ، قد تزامن ظهوره وتطوره مع ظروف سياسية و إجتماعية و ثقافية ، ساهمت في إرساء قواعده و بلورة معانيه ومفاهيمه . فكان على الكاتب الجزائري أن يواجه ثقافة أجنبية عنه وهي ثقافة عدوه ، وفي نفس الوقت لا مفر له من تبنيها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان عليه أن يعبّر عن واقعه السياسي والإجتماعي ، الذي كان في هذه الحقبة التاريخية ، يمر بأهم مرحلة من مراحل تحوله .

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، هموم حضارية ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع ، الجزائر ، 1993، الطبعة الأولى ، ص 198.

[2] أبو القاسم سعد الله ، أفكار جامحة ، مرجع سابق ، ص45.

3- سمات أدب الخمسينيات:

أ- سماته الشكلية و الموضوعاتية :

* السمات الشكلية:

ظهر الأدب الجزائري أول مرة تقليدا لبعض النماذج الأدبية الفرنسية ، فقد استقى فنياته و أساليبه من الأدب الفرنسي . ولكن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ظهـرت موجة جديدة من الكتّاب الجزائريين تتوسل اللغة الفرنسية كأداة للتعبير . وتعبير هؤلاء الكتّاب بهذه اللغة جاء نتيجة لظروف نشأتهم وتعليمهم ، التـي جعلـتهم يتقنـون لغـة المحتل، فكانت بالنسبة لهم لغة كتابة أولى . مع ذلك لم تطمـس أبـدا فـيهم هـويتهم البربرية و العربية. انفصلت هذه الموجة عن الأدب الفرنسي الكولونيـالي ، و عرفت باسم " الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية"[1]. فما هي مظاهر اخـتلاف هذا الأدب عن الأدب الفرنسي الكولونيالى ؟

يرى بعض الدارسين بأن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يختلف عـن الأدب الفرنسي الكولونيالي في عدة نقاط أهمها :

- الروح التفاؤلية التي تشع في هذا الأدب ، على خلاف الأدب الفرنسـي الـذي تطغى عليه الروح التشاؤمية[2] ، ولعل هذا الإختلاف مرده إلى أن الكتّاب الجزائـريين ينظرون إلى الحياة والوجود بنظرة تفاؤلية تطمح إلى كسر قيود الإستعمار ، و الظفـر بالحرية والإنتصار ، معتمدين على ثقتهم في الطبيعة الإنسانية الخيرة . ويرى محمـد بوشحيط بأن هذه الرؤية الواضحة قد ساعدت «على تطـور أفكـارهم ضـمن أفـق إجتماعي محدد و من خلاله اكتسبت شخصياتهم عمقا و دلالة دون أيـة نمطيـة فـي

---

[1] Bénédicte Vauthier , Expressions maghrébines , Revue , Edition du Tell , Blida , Algérie,2004, p 176 .

[2] ينظر: عبد الله خليفة ركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس ، 1977م ، الطبعة الثالثة ، ص244.

الأداء»[1] . لذلك جاء أبطال أعمالهم الأدبية ، بسطاء عاديين من عامة الشعب ، فهم لا يمثلون أمثلة عليا، ولا نماذج خارقة تتجسد فيها فكرة أو مبدأ عام ، إنما هم أناس واقعيون فيهم كل ما في الواقع من صراحة و مأساة . أما الكتاب الفرنسيون فنظرتهم إلى الوجود هي نظرة " متعالية متكبرة "[2] يعتقد أصحابها بأن العالم كله مدين لهم و لأدبهم . و تتجسد نظرتهم هذه لدى أبطال كتاباتهم ، الذين هم أناس أخذوا من الثقافة قسطا وافرا ، وتكونت عندهم نظرة فلسفية معينة ، و لا يحتل الإنسان الأهلي في هذه الكتابات الأدبية سوى الهامش ، ويكون شخصية من نسج خيال هؤلاء الكتاب الفرنسيين .

– استطاع الكتاب الجزائريون أن يسيطروا على اللغة الفرنسية ، بدل أن تسيطر هي عليهم ، وأن يحولوها لدرجة جعلت من مؤلفاتهم أدبا يختلف عن الأدب الفرنسي من حيث الشكل ، فقد اتفق بعض الدارسين على أن إنتاج الأدباء الجزائريين لم يبق متوقفا عند حدود الجماليات ، بل تجاوزها إلى قضايا الفكر والسياسة والمجتمع ، لذلك جاءت لغتهم متسمة بالوضوح والعمق ، دون تكلف . فقد تمتع هؤلاء الأدباء بحرية اختيار الموضوعات والتقنيات الفنية ،وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله عندما قال عنهم بأنهم « ...خلافا للفرنسيين أقل ارتباطا بالتقاليد الأدبية »[3]. فما يميز الكتابات الأدبية للكتّاب الجزائريين ، تلك التعبيرات الفنية بذبذبات صوتها ، وكثافة صورتها الشعرية ، متأثرة بما يدور من صراع بين الشعب والمستعمر من أجل نيل الحرية ، وتحويل مفردات الواقع إلى علاقة فنية حيث يجد كل موقف معادله الفني[4] . بالإضافة إلى ظهور شيء من العنف والشدة في أساليب هذه الآثار الأدبية ، و الذي تحول بعد اندلاع حرب التحرير إلى جو مكهرب مشحون بالعواطف الجياشة النابعة من التجارب الأليمة[5] التي عاشها الكتّاب الجزائريون على غرار كل الشعب الجزائري في هذه الفترة التاريخية الحاسمة . و هذا ما دفع بهؤلاء الكتاب أن يعبروا عن تلك المرحلة بطرق مختلفة و أعمال مختلفة ، ف"محمد ديب " مثلا في روايته " من ذا يذكر

[1] محمد بوشحيط ، الكتابة لحظة وعي- مقالات نقدية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984،د.ع.ط ، ص83.
[2] أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب و الرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1983، د.ع.ط ، ص174.
[3] أبو قاسم سعد الله ، هموم حضارية ،مرجع سابق ، ص200.
[4] ينظر: Christiane Ndiaye , Introduction aux littératures francophones , AFRIQUE . CARAIBE . MAGHREB , Les Presses de l'Université de Montréal , p219.
[5] ينظر: حنفي بن عيسى ، الرواية الجزائرية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 71-72.

البحر " انتقل إلى رؤية جديدة للعالم و طريقة جديدة في الكتابة و يبدوا لنا بأن تأثره بالمدرسة الوجودية كان سببا في ذلك ، أما "مالك حداد " فقد تميزت كتاباته الواقعية عن من سبقه من الكتاب ، ربما لأن أعماله الأدبية تنقل واقعا جديدا تماما ، كما أنها مكرسة للعالم الداخلي للبطل المثقف و موضوعاته هي الحياة الروحية الشخصية بكل تناقضاتها .

* **السمات الموضوعاتية:**

المضمون الجديد الذي جاء به الأدب الجزائري بالفرنسية ، تمثل في رأي الباحث عبد العزيز شرف في اتخاذ هذا الأخير من ثنائية « المقاومة والحرية موضوعا أساسيا دارت حوله كل الأعمال الأدبية من شعر وقصة ومسرح »[1] . وهكذا استطاع الأدباء الجزائريون أن يجسدوا في أعمالهم الأدبية مقاومة الشعب الجزائري للإستعمار الفرنسي من أجل نيل الحرية في كل مجالات الحياة السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية و العسكرية.

و تجدر الإشارة إلى أن هناك موضوعات أخرى غير ثنائية المقاومة والحرية عالجها الأدباء الجزائريون في أعمالهم الأدبية المكتوبة بالغة الفرنسية في فترة الخمسينيات ، أهمها :

- **موضوعة الأرض:**

اعتبر موضوع الأرض من أهم الموضوعات التي تناولها الأدب الجزائري الفرنسي التعبير ، ويعود ذلك إلى مدى ارتباط الكاتب الجزائري ب « المكان الذي يكتب عنه و بالناس الذين يعيشون في هذا المكان »[2] لذلك كان همه الأول هو البيئة الجزائرية و ثقافاتها و عاداتها وتقاليدها . وقد ارتبط موضوع الأرض بثنائية الحب و المواجهة، حب كتاب الجيل الأول لأرض أجدادهم التي أصبح الإستعمار الفرنسي يعتبرها قطعة من فرنسا ، وهذا الحب يؤدي بالضرورة إلى مواجهة الإحتلال

[1] عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق ، ص 136.
[2] محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1996، د.ع.ط ، ص13-14.

، لتحقيق غاية نبيلة وهي تحرير أرض الوطن[1] . وهذا ما نلمسه في أغلــب الأعمــال الأدبية التي صدرت في فترة الخمسينيات .

- موضوعة الفقر:

انعكست ظاهرة الفقر على أثار جيل المؤسسين ، وتعتبر مشكلة الفقر فــي هــذه الحقبة التاريخية ، من أعقد المشاكل التي عانى منها الشعب الجزائري . وهذا ما ذهب إليه إبراهيم الكيلاني عندما قال بأنه ليس هناك شعب: «... على وجه الأرض عانى ما عاناه الشعب الجزائري من ألوان الحرمان ، والمنع والتقنين ، حتــى أصــبح الفقــر والجوع صفتين في طباعه الأصلية »[2] . ربما كانت مشكلة الفقر والجوع التي عــانى منها الشعب الجزائري أثناء الإحتلال الفرنسي ، نتيجة حتمية عن رغبة هــذا الأخيــر بإلحاق الذل و المهانة بهذا الشعب المغلوب على أمره ، حتى أصــبح مــن أفقــر شعوب العالم ، على الرغم من أنّ أرضه تعتبر من أغنى بقاع العالم من حيث الثروات الطبيعية . وقد اعتبرت مشكلة الفقر و ما خلفته من آثار سلبية على المجتمع الجزائري سببا من أسباب الإنتفاضة.

- موضوعة الهجرة:

اضطر الأهالي الجزائريون للهجرة إلى فرنسا بحثا عن العمل ، الذي لــم يكــن متوفرا في وطنهم المحتل إلا لنسبة ضئيلة من أبنائه الأصــليين و برواتــب زهيــدة . أضف إلى ذلك تيسير فرنسا الهجرة إليها ، لتوفير اليد العاملة لمناجم الفحم والمصانع ، وقد اعتبر الجزائريون هجرتهم خارج وطنهم ، منفى اقتصادي و جغرافــي ، لغــوي

---

[1] ينظر: Rabah Souhekal , Le roman algérien de langue française(1950-1990),Thématique , Edition Publisud , Paris, 2003, p.78.

[2] إبراهيم الكيلاني ، أدباء من الجزائر، دراسة تحليلية عن كبار أدباء الجزائر المعاصرين ، دار المعارف بمصر، القاهرة ، مصر ، 1958، د.ع.ط ، ص89.

وديني[1] .ونلاحظ بأن جيل الخمسينيات لم يهتم كثيرا بموضوع الهجرة ، وربما يعود ذلك ، إلى أنهم أعطوا الأولوية لمعركة التحرير و ظروفها ، و أبطالها .

ب/ واقعيته:

تميز الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في فترة الخمسينيات ، بواقعيته وقوميته وشدة ارتباطه بالأرض الجزائرية ، فقد حمل أدباء الجزائر على عواتقهم مهمة إثبات الشخصية الجزائرية ، وإبراز كيان المجتمع الذي عاش فيه شعب أنهكه الإستعمار، الذي أدخله في سبات عميق ، و ذلك منذ احتلاله للجزائر سنة (1830م).

وقد اختار هؤلاء الأدباء الواقعية ، ليس لما تحمله من تشاؤم ، و نظرات سوداء ، وما تزرعه من بذور الحقد و الطبقية ، بل لما فيها من وصف مادي للحياة الإجتماعية التي يحياها الجزائريون ، ولما فيها من إمكانيات التعبير الصريح عن تلك الحياة وأهلها[2]. هذه الواقعية التي تعكس الأشياء والحياة والتجارب الفردية والجماعية في إطار فني متميز. وتستمر هذه السمة بارزة في عشق الطبيعة والحب والموت وتمجيد الألم ، ويبقى واقع الحياة اليومية في تناقضاتها و بؤسها أغنى و أخصب مجال وجد فيه أدباء الجزائر غايتهم ، حيث أعطى أبطال أعمالهم الأدبية الواقعية « صورة حقيقية لواقع المجتمع الجزائري الحديث بجميع تناقضاته و مشاكله »[3]. فهذا الأدب أدب واقعي كتبه أناس من صميم الشعب ، عميقو النظرة إلى الوجود ، فهم ينتمون إلى النخبة المثقفة الواعية ، وربما يكون هذا السبب في معالجتهم لموضوعات تدخل في صميم الحياة الواقعية لذلك الشعب .

ج/ هيمنة جنس الرواية :

اتفق الدارسون على أن الجنس الأدبي الأكثر تناولا في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في فترة الخمسينيات هو الفن القصصي عموما ، والرواية

---

1 Mariannick Schöpfel , Les écrivains francophones du Maghreb , Les presses de Normandie, France ,2000, p86.

2 ينظر: أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، مرجع سابق ، ص58.

3 سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق ، ص149.

بشكل خاص ، بالإضافة إلى فن الشعر والمسرح بدرجات أقل . فلماذا فضل كتاب هذه الحقبة التاريخية جنس الرواية دون غيره من أشكال التعبير ؟

ترى الباحثة عايدة أديب بامية بأن اختيار كتّاب الجزائر باللغة الفرنسية للرواية كجنس أدبي يعود إلى الواقع «... الإجتماعي والسياسي الذي وجد في الجزائر في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، كان ملائما للرواية أكثر منه للقصيدة »[1] هذا من جهة ، ومن جهة أخرى اعتبرت الرواية الجنس الأدبي الطاغي في القرن العشرين ، الأمر الذي سهّل شيوع هذا الفن في الجزائر ، ولكنه منحه خصوصية و طعما خاصين من الناحية العددية ومن الناحية البنيوية وجرأة تجريب الأشكال السردية الجديدة[2] . بالإضافة إلى أن الرواية تعتبر أحسن وسيلة للتعبير عن كفاح الشعوب تعبيرا أدبيا، وهذا الفن يوفر للكاتب مجالا كبيرا و إمكانيات واسعة للتجربة . كما أنها تتميز فنيا برؤية الفنان وتجربته ، حيث لجأت بعض الأعمال الفنية في فترة الخمسينيات ، في تقشف و اقتضاب إلى رموز أسطورية تنسبك دلالتها إلى تداعيات لا تجد نسقها إلا في هذا الفضاء القصصي و الروائي المتجانس ، و لا نستطيع اكتشافه إلا بإضاءة المداخل والزوايا والضفاف المعتمة في هذه الإبداعات[3] .

و استنادا إلى ما سبق ذكره ، يبدو لنا بأن الفن الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ، كان متطورا نسبيا ، خصوصا إذا ما قيس بالفن الروائي الجزائري المكتوب باللغة العربية ، وهذا يرجع إلى ظروف مختلفة ساهمت في إغنائه ، فاستطاع هذا الفن من أداء المهمة التاريخية التي سطرت له في هذه الحقبة الزمنية . و هكذا أصبح الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ذا بعد إنساني ، وسبب ذلك كما يذكر واسيني الأعرج هو اتخاذه من المسألة الوطنية المضمون الإنساني و الاجتماعي لأعماله الأدبية[4] . و تأكيدا لهذا البعد الإنساني ، صدرت هذه الأعمال الأدبية للأدباء الجزائريين عن اعتقاد منهم بأن حرب التحرير كانت حربا عادلة من أجل المدنية ومن أجل الحضارة .

---

[1] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925 – 1967 ، ترجمة : محمد صقر ، مرجع سابق، ص60.

[2] ينظر: واسيني الأعرج ، مجمع النصوص الغائبة انطولوجيا الرواية الجزائرية التأسيسية ، 1- محنة التأسيس ، مطبعة النخلة ، دار النشر" الفضاء الحر" ، الجزائر ،2007،ص06.

[3] ينظر: محمد بوشحيط ، الكتابة لحظة وعي - مقالات نقدية ، مرجع سابق ، ص80.

[4] وسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، مرجع سابق ، ص69.

لذلك استطاع الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في فترة الخمسينيات ، أن يؤثر في الفكر الإنساني ، عن طريق قيمه الثورية التقدمية و روحه الإنسانية المنفتحة[1]. فتمكن هذا الأدب الذي أرسى تقاليده ذات النزعة الإنسانية جيل من الكتّاب الجزائريين أن يثري الأدب العالمي بتجاربه و أفكاره العظيمة .

4 – أدب الخمسينيات في الخطاب النقدي :

أ/– في الخطاب النقدي الفرنسي:

أقبل القارئ الفرنسي على قراءة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في فترة الخمسينيات ، لما وجد فيه من أنماط مختلفة من التفكير والشعور ، وهذا ما ذهب إليه عبد الله خليفة ركيبي عندما قال : بأن إقبال الفرنسيين على قراءة هذا الأدب يرجع إلى « ما وجدوا فيه من جديد في أسلوبه وشكله وموضوعه ... ويكاد الباحثون يتفقون على أن إقبال الفرنسيين على هذا الأدب إنما يرجع إلى أنه كتب بلغتهم أولا وثانيا لما يتميز به من أسلوب ملحمي وشاعرية »[2]. فهل هذا يعني بأن الكتّاب الجزائريين توجّهوا بأعمالهم إلى القارئ الفرنسي ؟

يرى ألبير ميمي بأن الكتاب الجزائريين « إذا ما تجرؤا على الحديث مع هذا الجمهور بالذات ، ماذا لهم أن يقولوا سوى ضيقهم و تمردهم»[3] . فلمن كان يكتب هؤلاء الكتاب إذن ؟

كان هؤلاء الكتاب يكتبون للخاصة من الجزائريين المثقفين ، وكتبوا أيضا للخاصة والعامة في سائر الأقطار وخاصة فرنسا وإفريقيا . فقد مكن الكفاح ضد الإستعمار هؤلاء الكتّاب من توسيع دائرة قرّائهم[4] . فهو أدب مجنّد للدفاع عن القضية الوطنية ، وهي تحرير الجزائر .

---

[1] ينظر: عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق ، ص133.
[2] عبد الله خليفة ركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة ، مرجع سابق ، ص245-246.
[3] ألبير ميمي ، صورة المستعمر، ترجمة: ميشال سطوف ، منشورات ANEP ، 2007، د.ع.ط ، ص113.
[4] ينظر: حنفي بن عيسى ، الرواية الجزائرية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص65.

أما عن صدى الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في فترة الخمسينيات عند جمهور النقاد الفرنسيين ، فلم يهتموا كثيرا بهذا الأدب . وقد وضعوا هذه الأعمال الأدبية في مصاف الأعمال الغرائبية الإكزوتيكية ، ويعود هذا إلى سببين اثنين :

أولا: كونها أعمال كتبها كتّاب من الأهالي في مستعمرة فرنسية .

ثانيا: هذه الأعمال الأدبية المكتوبة باللغة الفرنسية هي أقل درجة من الأعمال الأدبية الفرنسية[1] .

ب/- في الخطاب النقدي العربي:

امتاز الأدب الجزائري المعاصر ، بخاصية يندر وجودها في الوطن العربي، وهي ظاهرة الكتابة باللغة الفرنسية ، وهذه الخاصية هي التي جعلت النقاد العرب يقبلون على هذا الأدب بالدراسة والتحليل ، دون الإهتمام بالأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية . ولعل هناك ظروفا كثيرة أسهمت في التعريف بمن يكتب باللغة الفرنسية في الجزائر . فقد ترجمت هذه الأعمال الأدبية إلى عدة لغات لكي « تعرّف العالم بالمأساة التي خلقها الإستعمار في الجزائر»[2] .

فأقبل القارئ العربي على هذه الأعمال الروائية المكتوبة باللغة الفرنسية في الأصل، والتي ترجمت إلى اللغة العربية من طرف مترجمين مشارقة ، وبات الناس يعرفون أسماء كتّابها ، ويردّدونها . أما عن اهتمام النقاد العرب بهذا الأدب، فلا شك بأنهم نظروا إليه من زاوية فنية وقومية في آن واحد . ذلك لما وجدوا فيه من تفرد في أسلوبه وشكله وطريقة التعبير فيه هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لما وجدوا فيه من نضج وتميز ، بالإضافة إلى أن هذا الأدب « ينطلق من نظرة وطنية تدين الإستعمار وتشهر به ، قصة وشعرا »[3] .وعليه فقد أصبح الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ينتسب إلى حلقات التطور الطبيعي و حركات التجديد في الأدب الجزائري على مدى تاريخه . وعلى الرغم من تأثره بالأدب الفرنسي ، إلا أنه لا يمت بصلة إلى

[1] ينظر: Rabah Souhekal, Le roman algérien de langue française(1950-1990), o.c p13-14.

[2] عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، مرجع سابق ، ص51.

[3] عبد الله ركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث1830 -1974، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس ، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1978م، د.ع.ط ، ص199.

هذا الأدب إلا من حيث الأداة التي صيغ بها ، فهو أدب فرانكو فوني[1] في غير بيئتـه الأصلية[2] . ثم إن هذا الأدب ظل ملتزما بقضية التحرر الوطنيـة ، وحـاملا للهويـة النضالية التي يتصف بها نظيره أي الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربيـة . فهـو يكشف عن المعاناة النفسية و الجسمانية التي عانى منها الشعب الجزائري منذ أكثر من قرن في ظل الإحتلال .

وهكذا أدى هذا الأدب دورا تاريخيا مهمّا ، فهو لم يكتف بتصوير ظلم الفرنسيين و بطشهم ، إنما حارب التعذيب والإدماج ، وصور الفقر و البؤس والألم الذي عـاش فيه هذا الشعب . وهذا ما ذهب إليه عبد العزيز شرف حينما قـال: « أعطـى الأدب الجزائري المعبر بالفرنسية للرأي العام الأدبي في العالم قيمة إنسانية قوبلت بـاحترام شديد ، تتمثل هذه القيمة الإنسانية في أن أدباء الجزائر لم يبحثوا عن مفهوم الحرية في المعاجم وإنما بحثوا عنها في منحدرات جبال (الأوراس) وفي شوارع القصـبة وفـي مدينة الجزائر ، وفي ضواحي قسنطينة ، تلك الأماكن التي وقفت تدافع عن الحرية كما وقفت سدّا ضدّ الهجوم البربري الذي قام به ضدنا عالم يدّعي بأنه حر»[3]. فقد قام هـذا الأدب بتعريف الرأي العام الدولي بالقضية الوطنية ، وكذا التعبير عن تطلـع الكتـاب الجزائريين إلى الحرية والاستقلال . وهكذا أصبح الأدب الجزائري المكتـوب باللغـة الفرنسية من « أكثر آداب المنطقة العربية تقدما ومن أعمقها بلورة للحس القـومي »[4]، هذا الأخير الذي تجيش به قلوب هؤلاء الكتّاب الجزائريين .

III قضايا الأدب الخمسيني :

1- إشكالية التسمية :

أطلق الدارسون على هذا الجيل من الكتّاب عـدة ألقـاب أهمهـا لقـب "جيـل الخمسينيات" أو "جيل المؤسسين" أو "الجيل الأول" ، أي جيـل الأدب الـوطني ، هـذا

[1] الفرنسي "Onésime Reclus" (1837-1916) هو أول من استعمل كلمة " فرانكو فونية" "francophonie"في كتابه "La France et ses colonies"
[2] ينظر: عبد الله ركيبي ، الفرانكوفونية مشرقا ومغربا ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر ،د.ت ، ص93.
[3] عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، مرجع سابق ، ص70.
[4] المرجع نفسه ، ص59.

الجيل ارتبط بشيء واحد ، وهو وضعية الإنسان الجزائري في لحظة تاريخية محددة و هي « لحظة النظام الكولونيالي وهو الصراع مع المستعمر»[1] .

ولد هذا الجيل في سنوات العشرينيات من القرن العشرين ، أكبرهم سنا هو "مولود فرعون الذي ولد سنة 1913، و أصغرهم سنا كاتب ياسين الذي ولد سنة 1929. ومن أشهر كتابه : "مولود فرعون" "Mouloud Feraoun" (1913، 1962) ، "مولود معمري" "Mouloud Mammeri" (1917–1989) ، "محمد ديب" "Mohamed Dib" (1920-2003) ، "مالك حداد" "Malek Haddad" (1926–1978) ، "كاتب ياسين" "Kateb Yacine" (1929–1989) ، و "آسيا جبار" "Assia Djebar" .[2]

ارتاد هذا الجيل المدارس الفرنسية ، وتغذى من الثقافة الفرنسية ، جعل من الكتابة –الكتابة باللغة الفرنسية– وسيلة من أجل الثورة ، ومن أجل إثبات الذات .

يختلف هؤلاء الكتّاب في الأصل ، وفي اللغة الأم ، ففرعون ومعمري رغم أنهما قبائليان إلا أنهما لا يشتركان في عدة نقاط كأسلوب التعبير مثلا ، وهذا ينطبق على ديب، وياسين ،و حداد وجبار ، الذين ينتمون إلى الأصل العربي[3] . فلكل واحد منهم أسلوبه الخاص ، و لغته الفنية التي تميزه عن غيره من أبناء جيله. فما الذي يوحد بينهم؟

يرى الباحث جاك نواراي بأن ما يوحد أدباء هذه الفترة « هو ذلك الوجود المشترك الذي يمكن أن نطلق عليه اسم " الإحساس الحقيقي" ، هذا الإحساس بالإنتماء إلى وطن معرض لتهديد خارجي يحاول النيل منه . هذا التهديد تجسده فرنسا »[4] . لذلك طالب هؤلاء الكتاب بالحرية السياسية والثقافية .

كتب جيل الخمسينيات أعمالا أدبية كانت ومازالت الأعمال الأكثر تأثيرا ، والأكثر مقروئية . وقد جاءت موضوعات هذه الأعمال ، تعبر عن خبرة شخصية بالمشاكل اليومية ، ربما لأنهم لم يمارسوا الأدب إلا بعد تجارب مختلفة في مهن متنوعة ، كمهنة التعليم مثلا التي مارسها كل من فرعون وديب ، بالإضافة إلى مهنة

---

[1] واسيني الأعرج ،_حوار ، واسيني الأعرج أجراس من ذهب ، الثقافة ، دورية ثقافية إبداعية تصدر عن وزارة الثقافة ، العدد 10 ،الجزائر،2007، ص62.

[2] ينظر: محمد بن عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،ص381.

[3] ينظر: Jacques Noiray, Littératures francophone ,1-Le Maghreb , o.p.c , p10 .

[4] المرجع نفسه ، ص 10 .

الصحافة التي منحتهم فرصا لكي يروا العالم حولهم ، ويشعروا به . فقد نشر كل من ديب ، فرعون ، معمري و كاتب مقالات أدبية في مجلات ثقافية وأدبية ، أنشأها فرنسيون في مدينتي الجزائر ووهران . ومن أبرز هذه المجلات : "سطوح" "Terrasses"، "الشمس" "Soleil" ،"فورج" "Forge" ، "سيمون" "Simoun"[1] . ومع مرور الوقت وتطوّر الأوضاع السياسية توقف هؤلاء الكتّاب عن النشر في هذه المجلات الأدبية ، لكنهم أبقوا على علاقات الصداقة التي ربطتهم بالكتاب الفرنسيين .

2- إشكالية الإزدواج الثقافي :

اختلفت وجهات نظر الدارسين حول ثقافة الكتّاب الجزائريين ، ومن بين هذه الآراء المتباينة نذكر وجهة نظر عبد الملك مرتاض الذي يقول: « ظل هؤلاء الكتاب الجزائريون، بالفرنسية ، في معظمهم ، معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية بوجه خاص ، والحضارة الغربية بوجه عام ، جاهلين بالتاريخ العربي... فقد كانت هذه الحضارة العربية ومعطياتها ، بالقياس إلى كتابنا بالفرنسية ، في بيت مغلق وهم لا يملكون مفتاحه، ولم يكن لهم السبيل ليملكوه ، لسنا نتهمهم بغير هذا ، فلم تكن تنقصهم الروح الوطنية ، ولم يكن ينقصهم الشعور بالمسؤولية ...»[2]. ولعل رأيه هذا يعود إلى أن هؤلاء الكتّاب ينتمون إلى حضارة بحكم البيئة والتاريخ والمنبت وهي الحضارة البربرية العربية الإسلامية، وإلى أخرى بحكم الواقع والثقافة وربما الحياة وهي الثقافة الفرنسية . وبما أنه لا يمكننا نفي تأثير الثقافة الفرنسية خاصة والغربية عامة في هؤلاء الكتّاب ، إلا أنه لا يمكننا أيضا نفي إلمام هؤلاء الكتاب بالثقافة العربية الإسلامية ، فهذا أمر ، لاشك يصعب الجزم فيه . و هذا ما ذهب إليه واسيني الأعرج حينما قال : « أحكاما مثل هذه ، هي في الحقيقة أحكاما سابقة لأوانها . وإن دلت على شيء فإنما تدل على غياب الإطلاع الواعي على الكتابات الأدبية الجزائرية باللغة الفرنسية . فمسحة صغيرة لأعمال محمد ديب و كاتب ياسين (خصوصا روايته نجمة) ، ومالك

---

[1] ينظر: Jacqueline Arnaud , La littérature maghrébine de langue française ,Tome : 1Origine et perspective, o.p.c , p45.

[2] عبد الملك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925-1954 النهضة الفكرية النهضة الصحفية ، النهضة التاريخية ،ا لشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، د.ت ، الطبعة الثانية ، ص26.

حداد، وآسيا جبار وغيرهم تثبت عكس هذه المزاعم»[1]. فعندما نطلع على رواية نجمة مثلا ، نلاحظ منذ الوهلة الأولى هذا التفعيل الرائع للتراث العربي الإسلامي. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أدباء الجزائر الذين توسلوا اللغة الفرنسية كأداة للتعبير، قد استنتجوا بأنهم يكتبون بلغة فرنسية، لا بجنسية فرنسية. لهذا جاء أدبهم ميدانا لمعرفة الهوية المتمثلة في اللغة والأصول العرقية والعلاقة مع الآخر[2]. ولاشك بأن هذا الإستنتاج كان هو السبب في الإهتمام الكبير الذي أولاه الدارسون للأدباء الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية .

IV- الهويةو الإنتماء :

الكتابة بلغة ما هي غير لغة القوم ، ظاهرة موجودة في العالم أجمع ، لكنها غير طبيعية ، ربما لأنها غالبا ما تكون نابعة من وضع غير عادي ، أو في أحسن الأحوال تنبع من ثقافة إضافية شخصية لدى كاتب ما .

لقد شكل الأدب الذي كتبه جزائريون باللغة الفرنسية في الفترة الإستعمارية ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة ، أثارت بذلك حولها قضايا و تساؤلات كثيرة . ومن أبرز هذه الإشكاليات هي إشكالية هوية وانتماء هذا الأدب ، فإلى أي جهة ينبغي أن ينسب ؟ فهل يعد أدبا فرنسيا ، نظرا إلى اللغة التي كتب بها ؟ أم هل يعد أدبا جزائريا باعتبار مضامينه الفكرية والإجتماعية أو "الروح" التي كتب بها ؟

لذا فنحن حينما نقف عند هذه الظاهرة المميزة ، والتي عدها الباحثون طفرة أدبية، فإننا لا نفعل أكثر من تبيين الجدل القائم بين الدارسين حول هذه الإشكالية ، والتي مهما تكون الإجابة عنها ، فإنها ربما تثير إشكالات جديدة ، تطرح تساؤلات جديدة، يصعب الإجابة عنها .

لقد انقسم الدارسون في تحديد إنتماء هذا الأدب إلى مجموعتين ، فالمجموعة الأولى اعتبرته أدبا فرنسيا ، لأنه كتب باللغة الفرنسية ، وبذلك فهو مجرد امتداد للأدب الفرنسي، وهذا ما ذهب إليه إدريس الخوري حينما قال: « كل مرحلة إستعمارية في

---

[1] واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص70.

[2] ينظر: أبو القاسم سعد الله ، مجادلة الآخر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،2006، الطبعة الأولى ، ص259.

بلد ما، تنتج كتّابها المخلصين لها والقابلين للتدجين وتقديم القـرابين مثـل :... كاتـب ياسين ، محمد ديب، مولود فرعون ...»[1] و يوافقه في هذا الرأي الروائي إدوارد خرّاط الذي قال بأن : «الأدب الذي يكتبه عرب باللغة الفرنسـية ، هـو فـي النهايـة ، أدب فرنسي، أيا كانت الحساسية الكامنة العميقة فيه ، أيا كان دوره الإجتماعي ، أيـا كـان مضمونه الذي يعالج هموما ومشاكل ومشاهد وشخصيات عربية »[2]. ولعل السبب فـي نسبهما هذا الأدب إلى الأدب الفرنسي ، هو كون المراجع والقواميس التي تشـير إلـى الكتاب الجزائريين ذوي التعبير الفرنسي، تصنفهم « ضمن الكتّاب الفرنسـيين أصـلا خاصة قبل سنة 1962 وحتى بعدها»[3].

فأصحاب هذا الرأي يرون بأن لغة النص هي هويته ، وإذا كان الأدب الذي كتبه أدباء من الأهالي باللغة الفرنسية ، حتى وإن كان يعبر عن الواقع الإجتماعي والسياسي للجزائر ، فإن هذا الأدب لا محالة ينسب إلى الأدب الفرنسي . ولا يمكنه أن يكون أدبا جزائريا لأن اللغة الوطنية في الجزائر هي اللغة العربية . والموقـف نفسـه اتخذتـه المدرسة الفرنسية للأدب المقارن . التي لا تعترف بالحدود السياسية في ميدان الأدب ، ولا تنظر إلى الآداب التي كتبت بلغة واحدة إلا باعتبارها آدابا إقليمية في داخل الأدب الواحد[4] . وبالتالي فإن النتيجة التي سنصل إليها من الناحية النظريـة هـي أنـه أدب فرنسي .

ولعل من الضروري بأن نشير إلى أن مسألة نسبة الأدب وانتمائه ، قـد أثـارت دارسي الأدب المقارن وحفزتهم على البحث المتواصل ، وقد خلـص بعـض هـؤلاء الدارسين بأنه لا يمكن اعتبار اللغة وحدها فيصلا في نسبة الأدب وهويته ، لأن ذلـك سيؤدي إلى إنكار آداب أمم استعارت لغة غيرها لظروف خاصة ، واتخـذتها وسـيلة للتعبير عن أفكارها ومشاعرها ، وهي أفكار ومشاعر أمة ، تختلف عن أفكـار الأمـة التي استعارت منها لغتها[5] . وهذا ما ذهبت إليه المجموعة الثانية ، التي تنفي نسبة هذا الأدب إلى الأدب الفرنسي ، بل تعتبره أدبا جزائريا قوميا ، وهـذا مـا ذهبـت إليـه

---

[1] نقلا عن : عز الدين المناصرة ، الهويات و التعددية اللغوية قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،2004، الطبعة الأولى ، ص380.

[2] نقلا عن : عز الدين المناصرة ، الهويات و التعددية اللغوية ، مرجع سابق ، ص386.

[3] عبد الله ركيبي ، الفرانكوفونية مشرقا ومغربا ، مرجع سابق ، ص95.

[4] وقد تأثر العديد من المقارنين العرب بالمدرسة الفرنسية ، ويأتي في مقدمتهم محمد غنيمي هلال ، راجع : محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ،مرجع سابق ، ص9.

[5] ينظر: طه ندا ، الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص24-25.

الروسية سفيتلانا برا جوفينا التي قالت : « أودّ أن أفنّد نظرية فرنسية إستعمارية تزعم بأن الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية هو أدب فرنسي يطلقون عليه " الأدب الفرنسي ما وراء البحار " ... إن هذه النظرية خاطئة تماما. لأن الكتّاب في الجزائر وفي بـــاقي المغرب العربي بالرغم من أنهم تمكنوا من التعبير عن خوالجهم باللغـــة الفرنســـية إلا أنهم سيبقون كتابا وطنيين ... وسيبقى أدبهم قوميا يعبر عن البيئـــة التـــي ولـــد فيهـــا وترعرع ونشأ على أرضها وعبر عنها ... هذه البيئة التي نحسها ونلمسها في كل ما نقرأ من قصصهم ورواياتهم»[1] . فهي بذلك تعتبر هذا الأدب أدبـــا جزائريـــا قوميـــا ، ويعود ذلك في رأيها إلى أن الشخصيات و الأجواء في هذا الأدب هي جزائرية ، فهي بذلك لا ترى بأن لغة النص هي التي تعطيه هويته وتكسبه إنتمـــاءه ، بـــل إن هنـــاك عناصر أخرى أهم كالبيئة والشخصيات . وإذا كان هناك ما يدعم هذا القول ، فهو مـــا أشار إليه إبراهيم سعدي الذي قال بـــأن : « ... العناصـــر المتمثلـــة فـــي الفضـــاء والشخوص والأجواء والمعتقدات هي العناصر الممثلة للهوية الثقافية للنص ربما أكثـــر من اللغة فهي الأكثر ارتباطا بمجتمع النص وبالتالي الأكثر ثباتا في التعبير عن الهوية الثقافية للنص ، فالكاتب يستعير اللغة والشكل والتقنية والإيديولوجيا ولكنه لا يســـتعير المجتمع الذي ينبثق منه العمل ويعبر عنه ويرتبط به»[2]. وفي هذه الحالة تكـــون اللغـــة الفرنسية مجرد حامل مادي ، للمضمون الذي يريد الكتّاب الجزائريون أن يعبروا عنه.

هؤلاء الكتّاب الذين ينتمون إلى شعب عريق لا يتحمل الفراغ الثقافي ، ولكي لا يبـــق في هذا الفراغ فضل أن يستعير لغة عدوه بدلا من لغته التـــي أصـــبح محـــرّم عليـــه استعمالها كأداة للتعبير في المدارس ، وكـــأداة للكتابـــة والتـــأليف ، إن هـــذه الثقافـــة المستعارة بحكم الضرورة تشير إلى ما تكتسبه المشكلة من أهمية ، لأنها تكشف عـــن آثارها التقنية وجوانبها النفعية[3] .

وهذا ما عبر عنه مولود معمري عندما قال :« كنت أتألم لكوني أحيا في بيئـــة لا صوت لها يعبر عما يختلج في نفسها من أفكار وعواطف خاصة بها دون ســـواها ...

---

[1] عبد الله ركيبي ، حوارات صريحة مع صاحبة الجلالة تمتد أكثر من 30سنة داخل الوطن وخارجه ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر،2000، د.ع.ط ،ص291.

[2] إبراهيم سعدي ، عودة إلى مسألة الرواية والهوية ، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة ، مطبعة إقتياح ، برج الكيفان ، الجزائر،2004، د.ع.ط ، ص157.

[3] ينظر: مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة و المجتمع ، ترجمة : حنفي بن عيسى ، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007، د.ع.ط ،ص416.

تلقيت دروسا باللغة الفرنسية ، وأنا أتوق إلى إتقانها واكتساب ملكتها ، حتى أتمكن من التصرف فيها بدقة وأناقة ، وكان لابد من عقبات ومصاعب لعدم وجود انسجام بين هذه اللغة وطريقتي الخاصة في التعبير ، وكان لابد لي إذن أن أقسو على إحداهما لأجعلها طيعة للأخرى »[1]، وبمقولته هذه يكون معمري قد عبر عن الإنفصال بين اللغة المعبرة والواقع .

وبدوره يقول مراد بوربون: « إن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسيين ، وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة ، بل إن أيّة لغة إنما تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية »[2].

ويوافقه مالك حداد في قوله هذا فيقول : « نحن نكتب بلغة فرنسية لا بجنسية فرنسية»[3].

ولعل مشكلة هؤلاء الكتّاب الجزائريين ليست في اللغة بحد ذاتها ، بل بمقدرة هذه اللغة أو عدم مقدرتها على التعبير عما يختلج في أنفسهم ، وبذلك نشأ هذا الصراع النفسي الذي يعانيه كل كاتب جزائري . فما كانت نتيجة هذا الصراع النفسي ؟

لقد أحس الأدباء الجزائريون الذين كانوا ينتمون إلى حضارة وثقافة عبرت عنها لغة أجنبية بالتمزق ، فهم الذين ولدوا على أرضهم ، واضطرتهم الظروف إلى الكتابة بلغة الأجنبي الدخيل وهو المستعمر الفرنسي . فكانت كتاباتهم تنبض بروح الأرض وتعبر عن شعور الإحتجاج والحرمان ، ولا يعيب هذه الكتابات إلا أنها غريبة منفية في لغة فرنسية يرفضها الفرنسي لأنها لا تعبر عن مشاعره الإستعلائية ، ويرفضها الإنسان الأهلي لأنه غير قادر على تلقّيها والإحساس بمحتواها ، الشيء الذي يفسّر الأزمة الحادة العنيفة التي اعتبرها البعض منهم مأساة .

ويبدو لنا أن الكتّاب الجزائريين الذين شعروا بهذا وعبروا عنه صراحة ، هم أولئك الذين لهم حس وطني قومي أصيل . يقول مالك حداد: «أنا أرطن ولا أتكلم، إن في لغتي لكنة ، إنني معقود اللسان ، أنا لا أغني ، لا أغني ، فلو كنت أستطيع الغناء لقلت شعرا عربيا »[4] ، وربما يكون السبب في هذا الإحساس ، بالإضافة إلى ما سبق

[1] نقلا عن : أنور الجندي ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة 1965م، د.ع.ط ، ص228.
[2] نقلا عن : محمد بن عمرو الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، مرجع سابق ، ص380.
[3] نقلا عن : المرجع نفسه ، ص380.
[4] نقلا عن : أنور الجندي ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، مرجع سابق ، ص227.

ذكره ، هو الإستعمار الذي عمل كل ما في وسعه على فرض لغته ، وذلك بجعلها لغة التعليم والثقافة، وفي المقابل استمر يعمل على قبر اللغة العربية بشتى الوسائل .

لقد كتب كل من حداد و فرعون و معمري و ديب و ياسين وبوربون وغيرهم باللغة الفرنسية ، وبينوا مأساة الأديب الذي يكتب بهذه اللغة ، والذي يجد نفسه بين حضارتين ، ثقافة أجنبية تعلمها في المدارس ، وثقافة أصيلة تشده إليها لارتباطها بالبيئة التي ولد فيها. كل هذا كان له الأثر في تفكير هذا الأديب ، وطريقة تعبيره، وبذلك اعتبر نفسه منفيا عن لغته الأم إلى اللغة الفرنسية . بالإضافة إلى شعوره بالأسى لعلاقته القسرية بالفرنسية ، التي فرضها الإستعمار ، لأنه لا يتقن غيرها . فكانت هذه اللغة وسيلته الوحيدة للدفاع عن أصالة ثقافته وجذور حضارته، بل أكثر من ذلك فإن اللغة الفرنسية كانت السلاح الوحيد لمحاربة المحتل عبر لغته ، وكسر كل القيود التي تكبله[1] .

وبما أن اللغة الفرنسية كانت مفروضة على الكاتب الجزائري ، رأى بأن سبيله الوحيد لكي يثأر منها ، يكون بتحطيم قواعدها الأصلية ، فعمد إلى تفجيرها وتفتيتها ، ليؤسس بهذه اللغة لغة جزائرية جديدة ، رؤية جديدة ، وفلسفة جديدة أيضا ، وبالتالي تصبح تلك اللغة لغة أخرى غير الفرنسية الكلاسيكية ، تحمل في طياتها كل تناقضات هذه العلاقة المعقدة بين الكاتب الأصيل واللغة المستعارة[2] . وبذلك استطاع الأدباء الجزائريون الذين عبروا بلغة المستعمر ، أن يبحثوا داخل لغة عدوهم عن لغتهم و كلامهم الذاتي ، أي عن خصوصية فيها تدل عليهم وتكشف للعالم فظاعة المستعمر الفرنسي . وهذا ما ذهب إليه محمد الصديق باغورة عندما تكلم عن أدب محمد ديب قال: « ... في أدبه نرى طرحا لقضية مثيرة هي البحث عما يجعل أي لغة تتخلى عن فعلها السحري التاريخي الذي يؤديه موروثها العميق الذي تبنته في النفس المحلية فتغدوا ذات أثر مختلف بحيث تصبح معبرة عن ذات أخرى قد تناقض جوانب جوهرية في موروثها ذاته»[3] .

---

[1] ينظر: الطاهر بكري ، إشكالية الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية ومسألة اللغة ، التبيين ، فصلية تصدر عن الجاحظية، العدد الفصلي الأول ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر،1990.ص103.

[2] ينظر: Denise Brahimi , Langues et littératures francophones , Ellipses Edition, Paris , 2001, p52 .

[3] محمد الصديق باغورة ، مقالات في الأدب الجزائري القديم والحديث ، دار الكتاب العربي للطباعة النشر ، التوزيع والترجمة ، الجزائر،2007، د.ع.ط ، ص 106.

لقد استنتج الكتّاب الجزائريون في هذه الحقبة التاريخية بأنه ليس هنـــاك ضـــرر من أن يكتبوا باللغة الفرنسية ، التي كانت قدرا محتوما ، لغاية إستعمارية، فطوعوهـــا وكتبوا بها ما يعبر عن أصالة وطنية وإحساس قومي عـــالي . وإن العبـــارات التـــي يرصفونها بأسلوبهم الفرنسي إن هي إلا قوالب وأشـــكال ، وأمـــا الـــروح والأفكـــار والمعاني والشعور ، فكلها عربية تنبع من صميم الواقع الإجتماعي والسياسي للجزائر.

وبقى هؤلاء الأدباء متجاوبين مع مطامح الوطن وقضاياه ، ولم يفقدوا انتماءهم إلى وطنهم الأم ، متسامين فوق ثقافة المستعمر إلى مستوى الإحساس الوطني و القومي .

وبذلك يكون الأدب الذي كتبه أدباء الجزائر باللغة الفرنسية في فترة الخمسينيات كما قال عنه الباحث محمد الطمار « أدب وطني صـــادق ، صـــور كفـــاح الإنســـان المستعمر لكنه عجز عن الأداء الكامل للمشاعر العربية الإنسانية ، وذلك للانفصال بين اللغة المعبرة والواقع »[1] . ولقد التصق هذا الأدب بواقع الجزائريين، وبواقـــع الثـــورة المجيدة ، وحمل مع نظيره المكتوب باللغة العربية مهمة عظمى ، إنها مهمّـــة التعبيـــر عن القضية الأم، قضية التحرر الوطني ، التي جعلها في صدارة انشغالاته .

ربما يتأكد لنا من خلال التحول الذي ظهر لدى كتّاب الجزائر بعد الإســـتقلال ، الرأي القائل بأن اللغة الفرنسية كانت مجرد أداة استخدمها الأدباء الجزائريون للكتابة ، مساهمة منهم في تحرير الجزائر ، أما وأن الجزائر قد نالت إستقلالها ، فلم يعد هنـــاك داع للتمسك بهذه اللغة .

إلا أن هناك كاتبا جزائريا لم نعرف الدرب الذي سلكه بعد الإســـتقلال ، وذلـــك لأنه اغتيل قبل ثلاثة أيام من إعلان وقف إطلاق النار ، فهو لم يشهد إستقلال بـــلاده . وهذا الأديب هو مولود فرعون . فمن هو هذا الأديب ؟ من أي أصل هو ؟ أين تلقـــى تعليمه ؟ ما هي أشهر أعماله الأدبية ؟ ولماذا تم اغتياله ؟ كل هذا وغيره مما ســـنلقي عليه الضوء في الفصل التالي .

---

[1] محمد بن عمرو الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، مرجع سابق ، ص383.

الفصل الثانـي

التأثيرات الأجنبية في حياة مولود فرعون

- I- نشأة مولود فرعون و تعليمه
- II- مهنته
- III- تنقلاته
- IV- أصدقاؤه
- V- مطالعاته
- VI- موقفه من قضية بلاده و وفاته

I نشأة مولود فرعون وتعليمه:

1/ النشأة:

ولد مولود فرعون في شهر فيفري ، إلا أن تاريخ ميلاده الرسمي هو الثامن من مارس 1913م ، أي قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ، بقرية تيزي هيبل Tizi Hibel، إحدى قرى بني دوالة ، وتقع هذه القرية في أعالي جبال جرجرة في منطقة القبائل الكبرى[1]، على بعد عشرين كيلو مترا من الجنوب الشرقي لمدينة تيزي وزو.

ينحدر فرعون من أسرة فقيرة جدا ، حيث رزق والداه بثمانية أبناء ، توفي منهم ثلاثة ، وبقي على قيد الحياة ثلاث بنات وذكرانَ . والده لا يختلف عن كثير من الفلاحين الجزائريين في سوء الأوضاع المالية ، فقد اضطر للاغتراب إلى قفصة ، أين عمل في مناجم الفوسفات ، ثم توجه إلى قسنطينة فمتيجة ، وانطلاقا من عام 1910 قام بنحو عشرين رحلة إلى فرنسا ، كان آخرها مابين 1927و1928، حيث انتهت بحادثة أليمة كادت تودي بحياته . وقد كان لهذا الأخير ثلاث تواريخ ميلاد، الأول هو 1871، والثاني هو 1873، أما الثالث فهو 1876، كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وكذلك كانت زوجته . كما أن لفرعون خالتين تمارسان الحرف اليدوية .[2]

ونشير إلى أن اسم عائلة مولود الحقيقي هو"آيت شعبان" "Ait Chaabane"[3]، تم تغييره بأمر من السلطات الفرنسية سنة 1890 إلى "فرعون" "Feraoun"[4]، كما كان الحال بالنسبة لكل الأسر الجزائرية أثناء فترة الإحتلال .

---

[1] تقع منطقة القبائل الكبرى شرق مدينة الجزائر العاصمة ، و تضم حاليا كل من الولايات التالية : تيزي وزو و البويرة و بومرداس ، أما منطقة القبائل الصغرى فهي تضم حاليا كل من الولايات التالية : بجاية و برج بوعريريج و سطيف و جيجل.

[2] ينظر : Mouloud Feraoun, Lettres à ses amis, ENAG/ Edition,Alger, 1998, 2eme édition,p106-107.

كذلك.: محمد بوزواوي ، معجم الأدباء والعلماء المعاصرين (معجم يتناول أعلام العرب في الأدب والشريعة من 1798 إلى 2009) ، الدار الوطنية للكتاب ، نشر وتوزيع دراريه ، الجزائر العاصمة ، ص489.

[3] Jean Déjeux, Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue francaise, édition karthala,France,1984,p111.

[4] ينظر : Mouloud Feraoun, lettres à ses amis , o.p.c , p10.

2/ التعليم:

أ- المدرسة الفرنسية الابتدائية:

اضطر والدي مولود فرعون إلى تسجيله في مدرسة ثاوريرث موسى ، وهي قرية تقع على بعد كيلومترين من تيزي هيبل، التي لم تكن لها آنذاك أية مدرسة . كان هدف مولود فرعون وعائلته محدودا جدا، وهو الحصول على الشهادة الإبتدائية . وهكذا انخرط في سلك الدراسة وعمره آنذاك لم يتجاوز السابعة. لم يكن تلميذا عبقريا ، وإنما كان متوسط الذكاء ، ولكنه « متفان في الدراسة ويحب العمل ».[1]

ويبدو لنا بأن أول احتكاك للطفل القروي بالثقافة الفرنسية ، كان عن طريق هذه المدرسة الفرنسية التي قال عنها الباحث أنور الجندي أنها « كانت تحاول الإيماء إلى خريجيها بهذا المعنى ؛ التمجيد لفرنسا وتاريخها وثقافتها والإزدراء للعربية والإسلام»[2] لذلك اعتبر الدارسون بأن المدرسة الفرنسية كانت أهم قنوات التأثير ، ربما لأن التأثير الفرنسي الأكبر جاء من خلال التعليم .

وبعد ست سنوات من الإجتهاد والمعاناة ، هذه المعاناة التي كانت نتيجة بعد المسافة بين البيت والمدرسة ، تمكن فرعون من النجاح في امتحان نهاية الدراسة، وتحصل على الشهادة الإبتدائية في عام 1928 . وقد كانت هذه الشهادة أقصى ما تسمح به السلطات الفرنسية الإستعمارية للجزائريين ، وعلى الرغم من ذلك وجدت بعض الحالات الخاصة جعلت بعض الجزائريين الفقراء يواصلون دراستهم .

ب- المدرسة التكميلية:

عقب حصول مولود على الشهادة الإبتدائية ، تمكن من الإلتحاق بالمدرسة التكميلية في تيزي وزو ، وهي المؤسسة التعليمية الوحيدة من هذا المستوى في المنطقة بأكملها . ويعود الفضل في تحصله على منحة لإكمال دراسته ، لأحد معلميه في

---

[1] يوسف نسيب ، مولود فرعون حياته وأعماله، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، د.ت، ص6.

[2] أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، مرجع سابق ، ص147.

المدرسة الإبتدائية[1]، الذي كانت له أفكار مناهضة للعنصرية ، ومحب للعدل وخدمة الفقراء ، وذلك على عكس الكثير من الأوروبيين في الجزائر آنذاك. وعلى الرغم من إقامة فرعون بصفته داخلي- أي ضمان المبيت والأكل- في المدرسة التبشيرية رولان La Mission Rolland [2] ، إلا أنه يبدو لنا أنه لم يتأثر بما كانت تدعو إليه ، ربما لأنه لم يكن مهتما بأمر الدين ، مثلما كان مهتما بالدراسة ، التي اعتكف عليها ليلا ونهارا ، يطالع الكتب ويراجع الدروس التي تلقاها ، فقد كان همه الوحيد هو تحسين وضعيته ومساعدة عائلته . وبالفعل بفضل مثابرته واجتهاده تمكن من إنهاء سنواته في هذه الإكمالية بنجاح .

ج/ مدرسة المعلمين ببوزريعة:

تمكن مولود من الإلتحاق بمدرسة المعلمين ببوزريعة الواقعة في مدينة الجزائر Ecole Normale d'Alger ؛ وقد كانت هذه الأخيرة تقبل الأهالي إلى جانب الفرنسيين والأوروبيين المستوطنين بالجزائر ، وذلك بعد نجاحه في مسابقة الدخول التي شارك فيها نحو أربعة و ستون متسابقا من الفرنسيين ، نجح منهم أربعة و خمسون طالبا، بالإضافة إلى ثلاثمائة و ثمانية عشر متسابقا من الأهالي نجح منهم عشرون طالبا كان من بينهم مولود فرعون، وكان ذلك في سنة 1932م .[3]

وقد كانت سنة 1935 هي سنة تخرجه من هذه المدرسة ، ويبدو لنا بأن السنوات التي قضاها في بوزريعة تركت في نفسه أثرا عميقا ، حيث وجد خلال هذه المدة القالب الأيديولوجي الذي انعكس في كل أعماله . فما مدى تأثير هذه المدرسة في بلورة مفاهيمه الفكرية ؟ وما هي أهم المبادئ التي كان يؤمن بها ؟

---

[1] ينظر: Mehenni Akbal , Mouloud Feraoun , Maurice Monnoyer Histoire d'une amitié, Edition El-Amel , 2009, p43.

[2] نسبة إلى رجل الدين "إيميل رولان" Emile Rolland ، الذي قام بتأسيس هذه المدرسة التبشيرية سنة 1908، والتي كانت غايتها نشر المسيحية في أوساط المتمدرسين .

[3] ينظر: Mouloud Feraoun , Journal , ENAG/ Edition.
طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1992، د.ع.ط ، ص443.

لقد استطاعت مدرسة المعلمين أن تغرس في نفس مولود فرعون المثل العليا الجمهورية ، والتي كانت مستمدة من النظريات التي أتى بها رجال المدرسة العمومية الفرنسية في مطلع الجمهورية الثالثة ، نظريات متعلقة بالتربية والتعليم وهي : الديمقراطية، العلمنة [1] أي فصل الدين عن التعليم ، ومجانية هذا الأخير وإجبارتيه ، بالإضافة إلى المساواة بين الأجناس البشرية ، والإخاء العالمي .[2] كل هذا جعل فرعون يتأثر تأثرا عميقا بهذه المفاهيم ، بالإضافة إلى كونه إنسان من الأهالي يرزخ تحت نير الإستعمار، وما ينتج عن هذا الأخير من تمييز بين الأهالي والأوروبيين . وبذلك وجدت أحلامه وآماله صدى لها في الحضارة العالمية التي تدعو إليها مدرسة المعلمين، هذه الحضارة التي ترتكز على القيم الإنسانية . ونتيجة لهذا كله ، تكون لدى فرعون القالب الأيديولوجي ، الذي تجسد في مبادئ استمات وهو يدافع عنها ، وأهم هذه المبادئ :

- **مبدأ الحوار:**

كان مولود فرعون حريصا على مبدأ الحوار المثمر بين الكتاب الأهالي والفرنسيين، حيث يصبح في هذا الحوار الأدبي السعي إلى الإتفاق أمرا أساسيا ، ربما لأن الحوار يتم حول الإختلاف و ليس حول الإتفاق ، حيث لا يكون هذا الإختلاف « صراعيا مميتا بقدر ما يحمل في طياته مشروع الأمل بالتعاون والسعي الإنساني الموحد»[3]. وفرعون يرى بأن السعي إلى هذا النوع من الحوار يؤدي بالضرورة إلى إحداث التعارف والتقارب والتفاهم بين الشعوب ، فيدنيها من بعض إبداعيا وفكريا .[4]

---

[1] **العلمنة** : ظهرت فكرة العلمنة بشكل واضح وجلي من خلال الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر، وقد كان هدف فرنسا من تبني هذه الفكرة هو حماية نفسها من تأثير الكنيسة الكاثوليكية التي كان لديها سلطة قوية. و مبدأ العلمنة في فرنسا يقوم على أن الدولة لا تعترف بأي ديانة من الديانات وبهذا تضمن وجود جميع الأقليات الدينية فيها مادامت هذه الأخيرة تخضع للقانون ولا تتجاوزه . فتحقق بذلك حرية المعتقد لجميع الناس مما يؤدي إلى إحداث المساواة بين جميع المواطنين على الرغم من اختلاف معتقداتهم الدينية . ويبدو بأن هذا المبدأ قد أثر في فرعون الذي لم يكن يؤمن بفكرة القدرية الإسلامية التي كانت تطغى على تفكير سكان بلاد القبائل المسلمين ، وهذا لا يعني بالضرورة بأنه اعتنق المسيحية لأنه لم يكن يحتمل رؤية الآباد البيض .

[2] ينظر: يوسف نسيب ، مولود فرعون حياته وأعماله ، ترجمة: محمد صقر، مرجع سابق ، ص20.

[3] سالم المعوش ، الأدب وحوار الحضارات ، مرجع سابق ، ص56.

[4] ينظر: Guétarni Mohamed , Littérature de combat chez Dib, Kateb et Feraoun, Edition Dar El Gharb, Oran , 2006, p122.

- **مبدآ المساواة والإندماج :**

كان مولود فرعون يؤمن بمبدأ المساواة ، المساواة بين جميع الناس رغم اختلاف أجناسهم ودياناتهم . وهو كغيره من أبناء الأهالي في داخله حاجة جوهرية إلى التغيير، تغيير هذا الوضع القاسي الذي يسوده التمييز بين الأهالي والأوروبيين المستعمرين، فكان لديه طموح وهو التساوي مع هذا الأوروبي في الحقوق والواجبات والتشابه معه إلى حد الذوبان به.[1] إلا أن المساواة التي غرستها في نفسه مدرسة المعلمين لا يمكن حدوثها إلا بعد الإندماج الكامل بين الأهالي المسلمين وجماعة الأوروبيين ، وكنتيجة حتمية لما سبق ذكره جاءت دعوته إلى الإندماج .

- **مبدأ اللاعنف:**

عرف مولود بدعوته الدائمة إلى « نبذ العنف مهما كان مصدره منطلقا في ذلك من القيم الإنسانية التي يدعو إليها»[2]. ويبدو لنا بأن هذا المبدأ مستمد من التعاليم الأخلاقية التوجيهية التي تلقاها في مدرسة المعلمين ، فكانت هذه الأخيرة تعتبر الطاعة والانصياع للأوامر شرطان أساسيان للنجاح في أداء الرسالة التعليمية ، وهذا إذا نظرنا إلى هذه المدرسة بأنها مؤسسة مدرسية في سياقها المدرسي .

II- مهنته:

1/ فرعون المعلم:

اشتغل مولود فرعون منذ تخرجه من مدرسة المعلمين بمهنة التعليم ، التي كان يحبها حبا جما ، ربما لأنه كان يؤمن إيمانا عميقا بالرسالة النبيلة التي يؤديها التعليم، وأهميته في النهوض بالشعب وتحقيق الرقي للمجتمع الجزائري عامة والقبائلي خاصة، هذا المجتمع الذي غرق في مغبة الأمية والجهل والخرافات .

---

[1] ينظر: ألبير ميمي ، صورة المستعمر، ترجمة : ميشال سطوف ، مرجع سابق ، ص124.

[2] موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ، (مناسبة 45 لعيد الاستقلال والشباب) ، د.ت ، ص43.

فكان حصوله على منصب معلم مدرسة بمثابة حلم قد تحقق ، لأن مهنة التعليم كانت آنذاك تعتبر مصدر سعادة كبرى ، ما بعدها سعادة ، وبذلك اعتبر فرعون ممن بلغ أغلى الأماني .[1] فحصل بذلك على تقدير زملائه ومدرائه ، بالإضافة إلى احترام عدة أجيال من التلاميذ الذين كان يدرسهم .

تقلد مولود فرعون عام 1935، أول منصب له كمعلم مدرسة ثاوريرث موسى Taourirt-Moussa ، وقد كان حينئذ متسلحا بالمبادئ التي غرستها في نفسه مدرسة المعلمين ببوزريعة . في هذه الفترة تزوج من ذهبية Dahbia ، كانت هذه الأخيرة ابنة عمه، ولدت في تيزي هيبل ، وإثر وفاة والدها وعمرها آنذاك لم يتجاوز الرابع عشرة سنة ، انتقلت للعيش عند أخوالها في قرية "آيت خلفون" "Ait khalfoun" ، وبقيت هناك إلى أن تزوجت مولود[2]، وسيرزق الزوجان بسبعة أبناء[3].

ترقى مولود سنة 1946 حيث عين مديرا لمدرسة ثاوريرث موسى ، وفي سنة 1952 تقلد منصب مدير تكميلية فورناسيونال للذكور Fort-National ، التي كانت تضم آنذاك أكثر من ثلاثمائة تلميذ .[4]

عندما بلغت الثورة ذروتها في منطقة القبائل على غرار كل مناطق الجزائر الأخرى، انتقل فرعون رفقة عائلته إلى مدينة الجزائر ، حيث عين مديرا لمدرسة كلوصالومبيي Clos Salembier (المدنية اليوم) ، كانت هذه المنطقة تمثل أحد الأحياء المكتظة بالسكان الأهالي في العاصمة ، واستقر هناك يوم 24 جويلية 1957.[5]

---

[1] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis, o.p.c , p 107.

[2] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis, o.p.c , p 35 -36

[3] أربع بنات : "جيجي" "Djidji"، و"باية" "Baya"، و"فازية" "Fazia"، و"مليكة" "Malika" ، وثلاثة ذكور: "علي" "Ali" ، و"موك" "Mouk" ، و"رشيد" "Rachid".كما نرى بأنه علينا أن نشير إلى أن فرعون قد ذكر بأنه أصيب سنة 1953، بنوبات "Palu" تركته خائر القوى لعدة أيام، و "Palu" هو تصغير لكلمة "Paludisme" أو ما يعرف بالملاريا "Malaria" وهي حمى تنتقل عدواها إلى الإنسان عن طريق لسعات البعوض .

[4] ينظر: Mehenni Akbal, Mouloud Feraoun - Maurice Monnoyer Histoire d'une amitié, O.C , p 43-44.

[5] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , p 159.

تقلد سنة 1960 آخر منصب له ، وهو مفتش للمراكز الإجتماعية للتربية الكائن مقرها في الأبيار بأعالي العاصمة ، التي « أنشئت عام 1953 بمبادرة من الوزير جرمان تيبون »[1] وكانت مهمة هذه المراكز الإهتمام بالأطفال الجزائريين المسلمين .

انتقل إثر هذا التعيين إلى بيت جديد في منطقة بوزريعة ، وكان ذلك يوم 23 سبتمبر 1960.[2]

وربما يجدر بنا الإشارة إلى أن مولود فرعون قد تلقى عرضا لممارسة وظيفة "مستشار ثقافي" " Conseiller culturel" في الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا أنه رفض هذا العرض ، لأنه كان يرى بأن هذه الوظيفة ليست من اختصاصه.[3]ولعل هذا كان نتيجة طبيعية لإيمانه العميق بالمهمة النبيلة التي يؤديها التعليم للنهوض بالإنسانية جمعاء .

وهكذا يبدو لنا من خلال ما سبق ذكره ، أن مولود فرعون استطاع أن يرتقي سلم مهنة التربية والتعليم إلى أن بلغ قمته ، فقد تدرج في مهنته من معلم ، إلى مدير، ووصل أخيرا إلى رتبة مفتش .

2/ فرعون الكاتب:

تمكن مولود فرعون من ممارسة الكتابة الأدبية إلى جانب مزاولته لمهنة التعليم[4]، وقد كان لأصدقائه الفرنسيين الفضل الكبير في توجهه الأدبي هذا . وهكذا استطاع أن يكتب مجموعة أعمال أدبية ، توسل فيها اللغة الفرنسية كأداة للتعبير ، وقد كان يتعامل مع دور نشر فرنسية من أجل نشر هذه الأعمال الأدبية، حيث كان مقر أغلب هذه الدور في باريس، وهذا ما سيتضح لنا فيما يلي.

---

[1]. يوسف نسيب، مولود فرعون حياته وأعماله، ترجمة: محمد صقر، مرجع سابق ، ص8–9.

[2] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , p206

[3] ينظر: Rachid Feraoun parle de son père , Interview , L'IvrescQ , Magazine littéraire , Edité par la SARL , Alger , n°5, Mar/ Avr , 2010 , P 31.

[4] المعروف بأن مهنة التعليم مقيدة ببرنامج وتوقيت ، لذلك كان فرعون يستغل وقت راحته من أجل الكتابة الأدبية ، فكان يكتب ليلا وفي أيام العطل .

أ– "ابن الفقير" "Le fils du pauvre":

بدأ فرعون يكتب روايته الأولى في فصل الربيع من عام 1939، التي صدرت الطبعة الأولى منها في الأسابيع الأولى من سنة 1950، عن دار النشر "Le Puy" "Le fils du pauvre : Menrad , تحت عنوان Cahiers du Nouvel Humanisme instituteur Kabyle" – بعد أن رفضت عدة دور نشر نشرها أهمها : دار النشر "Charlot" التي كان يديرها جون عمروش Jean Amrouche– سحب منها ألف نسخة على حساب المؤلف ، ثم أعيد نشرها سنة 1954 في دار "لوسوي" "Le Seuil" ، بعد أن تم إنقاص حوالي سبعين صفحة من النص الأصلي.[1]

وقد نالت هذه الرواية عند صدورها سنة 1950، الجائزة الأدبية الكبرى لمدينة الجزائر "le grand prix Littéraire"، وتعتبر هذه الرواية سيرة ذاتية ، حيث يكون الكاتب في هذا الجنس الأدبي راو وشخصية أساسية في الآن ذاته ، فيحاول الراوي إعادة صياغة صور من ماضيه ويستنطقها ليبعثها في الحاضر، فتحدث فرعون عن طفولته التي صيغت من لهب الحرمان في قرية جبلية ، واسترجع فيها أحداث شبابه وحياته ونضاله من أجل المعرفة ، إلى جانب الحياة الإجتماعية ومختلف التقاليد السائدة في العقود الثلاث الأولى من القرن العشرين في منطقة القبائل . وما لبثت هذه الرواية أن أصبحت من روائع الأدب الكلاسيكي في الأدب الجزائري ، و يقول الباحث حنفاوي بعلي في هذا الصدد « لقد كانت "ابن الفقير" روايته الأولى و لا تزال ، أول عمل أدبي يبدأ به كل تلميذ جزائري إطلاعه على الأدب الوطني »[2]. ونشير إلى أن هذه الرواية ترجمت إلى الألمانية و الروسية والعربية .

---

[1] ينظر : Soumia Zlitni Fitouri et Habib Salha , La Récéption du texte maghrébin de langue française , Groupe Cérès Production, Tunisie , 2004 , p 253-254.
كذلك: Achour Cheurfi , L'Anthologie Algérienne , Casbah Edition, Alger, 2007, p 409.

[2] حنفاوي بعلي ، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، 2004، د.ع.ط ، ص162.

ب-"الأرض والدم" "La terre et le sang" :

صدرت هذه الرواية في عام 1953 عن دار النشر لوسوي "Le Seuil" في باريس، وقد نالت في نفس العام جائزة الأدب الشعبي في فرنسا "Le pris populiste" ، وقد انتزع بها فرعون هذه الجائزة من « خمسين كاتبا فرنسيا منافسا إياهم في ميدانهم ولغتهم »[1].

تروي هذه الرواية قصة عودة "عامر أوقاسي" إلى قرية "إغيل نزمان" رفقة زوجته الفرنسية "ماري" بعد أن قضى أكثر من خمسة عشر سنة في فرنسا ، التي كان يشتغل فيها ، حيث جرب كل أنواع المعاناة و الحرمان التي كانت من نصيب الأهالي الجزائريين المهاجرين إلي أوروبا . وهي بذلك تصور حياة الجيل الأول من المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا من خلال حياة عامر هناك . إلا أن هذا الأخير عند وصوله إلى موطنه يجد بأن أباه قد توفي ، و أمه "كمومة" تعيش في فقر مدقع، لكنه أعاد لها بهجة الحياة .ولكنه لم يستطع أن يتأقلم بسهولة مع حياة قريته الأصلية ، التي بدت له متخلفة و متوحشة و تقليدية ، فقد كان إحساسه عميقا بالفرق بينها و بين عالم التقنية و التقدم الحضاري . و بمرور الوقت استطاع أن يتأقلم ، كما تمكن من استرجاع قطعة الأرض "تغزران" التي اضطر والداه لبيعها من أجل توفير لقمة العيش ، بعد يأسهما من عودته من فرنسا .

كما تصور هذه الرواية المجتمع القبائلي وعاداته ، ونظرة سكان قرية "إغيل نزمان" إلى امرأة فرنسية تعيش بينهم ، و محاولة هذه الأخيرة التأقلم و الإندماج في هذا المجتمع التقليدي المنغلق على نفسه . إلا أن هذه الحياة الهادئة سيختل نظامها بسبب تعلق قلب "عامر" بزوجة خاله "سليمان" المسماة "شابحة" و نشوء علاقة غرامية بينهما. وتنتهي هذه الرواية بمقتل بطلها "عامر أوقاسي" في حادث بورشة لاستخراج أحجار البناء.

وقد ترجمت هذه الرواية إلى عدة لغات منها : الروسية والألمانية والعربية.

[1] عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق ، ص77.

ج- "أيام القبائل" "Jours de Kabylie":

هذا المؤلف عبارة عن تصوير لأساليب الحياة الإجتماعية، ومختلف التقاليد في منطقة القبائل، وقد أرفقت هذه النصوص التصويرية برسومات أنجزها شارل بروتي "Charles Brouty" [1]، صدر هذا المؤلف عام 1954 عن دار النشر Baconnier بالجزائر العاصمة.

د-"الدروب الوعرة" " Les chemins qui montent":

صدرت هذه الرواية في عام 1957 عن دار النشر لوسوي Le Seuil في باريس[2]. وتعتبر هذه الرواية بمثابة استمرارية لراوية الأرض والدم ، ف"عامرأنعامر" بطل رواية الدروب الوعرة ، هو ثمرة الزواج المختلط بين الجزائري "عامر أوقاسي" والفرنسية "ماري" المعروفة باسم "مادام" ، و بعد أن عاش فترة في فرنسا يعود إلى قريته الأصلية "إغيل نزمان" ، أين يلتقي بقريبته "ذهبية" التي كانت تسكن في قرية "ايت واضو" ، أين اعتنقت هذه الأخيرة الديانة المسيحية على يد الآباء البيض و لم تتجاوز آنذاك الثانية عشرة من العمر، و اتخذت لها إسما نصرانيا خاصا ، و هو "مونيك". وبعد وفاة والدها اضطرت أن تعود إلى قريتها الأصلية "إغيل نزمان" رفقة والدتها " نانا مالحة " من دون أن تشعر بالخوف من العيش مع المسلمين.

و يقع عامر في حب ذهبية ، إلا أن "مقران" الذي سلب هذه الأخيرة عذريتها ، سوف يسلب عامر حياته في الأخير ، فيحرمهما من بعضهما. ومن هذا الحادث تبدأ أحداث هذه الرواية التي استغرق القسم الأول منها تسعة فصول صور الكاتب فيها آلام البطلة ذهبية و أحلامها في نومها و يقظتها ، و في هدوئها و قلقها بين الناس بعد فقدانها لحبيبها . أما القسم الثاني فقد تضمن يوميات عامر ، حيث غطت هذه الأخيرة أحد عشر يوما توضح فيها تمرد عامر على نمط الحياة في قريته ، بالإضافة إلى بعض الأحداث كموت أم عامر، و سفره و صاحبه "سعيد" إلى فرنسا أين لقي هذا الأخير حتفه، و انتحار "رحمة".

---

[1] ينظر : Mouloud Feraoun , Jours de Kabylie , ENAG EDITIONS , Alger , 2002 .

[2] ينظر : Anthologie du roman maghrébin de langue française , Présenté par : Albert Memmi , Nathan, France , 1987 , p31.

ترجمت هذه الرواية بدورها إلى عدة لغات منها : الروسية والألمانية والعربية.

هـ-" أشعار سي محند" "Les Poèmes de Si-Mohand":

نـــشر هذا المؤلف في عام 1960 عن دار النشر "Minuit" في باريس ، تحدث فرعون في هذا الكتاب عن حياة أشهر شاعر غزل في منطقة القبائل باللسان الأمازيغي وهو الشاعر الشعبي سي "محند آيت حمادوك"[1] ونقل إلى الفرنسية بعضا من شعره الذي روي شفهيا ، وإن دلت مبادرة فرعون هذه على شيء فإنما تدل على المجهود الذي بذله الكاتب من أجل « إنقاذ التراث الجزائري وبخاصة الشعر البربري ... لبناء ثقافة جزائرية جديدة »[2]،يكون أحد أسسها تراث شعبي بربري موغل في القدم .

و-" يوميات" "Journal":

عمل مولود فرعون المستحيل من أجل نشر يومياته قبل الإستقلال لكي لا يتهم بالجبن ، ولكن شاءت القدرة الإلهية ، أن تنتهي حياته قبل أن ترى يومياته النور، فحرص صديقه إيمانويل روبلس من بعده على نشرها في نفس السنة التي استشهد فيها فرعون ، وبالفعل صدرت سنة 1962 عن دار النشر لوسوي Le Seuil ، في باريس، مع تقديم كتبه روبلس .

بدا في هذه اليوميات التي بدأها في أول نوفمبر1955، وانتهت يوم 14 مارس 1962 أي عشية اغتياله ، تطور موقفه تجاه القضية الوطنية . وفيها يبدو جليا ذلك الصراع القائم بين نفسه الأولى كجزائري متمسك بالواقع ، ونفسه الثانية كمثقف متأثر

---

[1] ولد **سي محند** سنة 1845، في منطقة القبائل، وهو ينتمي إلى أسرة دينية طرقية لقيت الأذى من الإستعمار الفرنسي الذي أعدم أباه أمام الملأ في سياق قمع ثورة 1871، كما سيق عمه أرزقي إلى كاليدونيا الجديدة بعد تخريب زاويته. فمضى هائما على وجهه ساخطا على الواقع الإستعماري. وصارت حياته ألوانا من التشرد والتسكع، وأصبح الغزل غرضا شعريا مفضلا لديه، كما أخذ واقعه الإجتماعي المرير حيزا في إبداعه الشعري، توفي سنة 1906.

[2] غالي شكري، أدب المقاومة ، مكتبة الدراسات الأدبية 52، مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، 1970م، د.ع.ط، ص175.

بمبادئ مدرسة المعلمين ، وكانت النتيجة الحتمية التي حصلت بينها هي خيبة الأمل والقطيعة. وفي ما يزيد عن أربعمائة صفحة من هذا الكتاب صور لنا فرعون أحداث الثورة الجزائرية طيلة ست سنوات . كما يبدو لنا واضحا شعوره بالرضا عن الثورة التحريرية ، واقتراب موعد الإستقلال وهذا ما كان يسعده « فقريبا سوف تقلب صفحة الماضي الأليم ، وتشرق الشمس في كبد السماء النقية ، لكي تنير بضوئها الأبدي هذا البلد الحزين ».[1]

ز-" رسائل إلى أصدقائه" " Lettres à ses amis ":

جمع هذا الكتاب ما يقرب من مائة وعشرين رسالة كتبها فرعون ما بين 1949 و1962 ، وقد ساعد في انجاز هذا العمل أغلب أصدقائه الذين كان يراسلهم وخاصة إيمانويل روبلس ، وتم نشرها سنة 1969عن دار النشر لوسوي Le Seuil ، مع مقدمة كتبها روبلس . يعطينا هذا الكتاب معلومات ثمينة عن فرعون إنسانا ، رب أسرة، معلما وكاتبا . بالإضافة إلى تجلي موقفه من القضية الوطنية في مراسلاته للأعوام الأخيرة ، فيذكر في إحدى رسائله إلى روبلس بأنه بعد مظاهرات 11 ديسمبر 1960، لم يعد هناك مجال للنفاق ، وبأن كل جزائري أصبح يعرف « أين هو مكانه وأين يجب عليه أن يذهب».[2]

ح-" عيد الميلاد" " L'Anniversaire ":

وهو عنوان رواية تروي قصة حب فاشلة بين جزائري وفرنسية ، وربما كان فرعون يرمز بها إلى استحالة الإندماج بين الجزائر وفرنسا، إلا أنه لم ينه كتابتها، لأنه اغتيل وهو بصدد تأليفها ، ولهذا عندما نشر هذا الكتاب لأول مرة عام 1972 عن دار النشر Le Seuil في باريس بفضل مساعي صديقه روبلس، أضيف إلى هذه الرواية الغير منتهية ، مجموعة من المقالات التي نشرها فرعون في بعض الصحف والمجلات. أهمها رسالته المشهورة إلى ألبير كامو، تحت عنوان "مصدر مصائبنا

---

[1] Mouloud Feraoun , Journal , o.p.c , p 428.

[2] Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis, o.p.c , p 210.

المشتركة" la source de nos communs malheurs"، ويرى يوسف نسيب بأن هذه الرسالة « تكشف إلى حد ما تخليه نهائيا عن الأوهام التي غرستها في نفسه دار المعلمين».[1]أضف إلى ذلك مقالة تحت عنوان "صور جزائرية" لإيمانويل روبلس" "Images algérienne d'Emmanuel Roblès" ،وينتهي هذا الكتاب بالتكملة الغير منشورة لروايته "ابن الفقير"، تحت عنوان "فورولو منراد" "Fouroulou Menrad".

III– موقفه من قضية بلاده ووفاته:

1/موقفه من قضية بلاده:

لقد اختلف الدارسون في تحديد موقف مولود فرعون من الثورة الجزائرية، ربما لأنه كان أقل الكتاب الجزائريين في فترة الخمسينيات اندفاعا وراء هذه النزوة العارمة من العواطف التي أثارتها حرب التحرير. فقد كان يتحكم في مشاعره إلى حد بعيد ، فلا يدعها تنطلق غاضبة منددة .

ومن بين هذه الآراء المتباينة ، ما ذهب إليه مصطفى الأشرف عندما ذكر بأنه على الرغم من أن فرعون فتح عينه على الواقع المر الذي كان يعانيه الشعب الجزائري في ظل الإحتلال ، أثناء سنوات الثورة ، إلا أنه بقي متمسكا بمبدأ الإندماج ، وموقفه هذا بدا واضحا في يومياته. و يضيف بأن هذا لا يعني أن فرعون حبيس المبادئ الإنسانية التي تعلمها في المدرسة الفرنسية كان وحيد عصره ، ولكن حالته كانت هي الأكثر وضوحا ، وهذا ما تأكده نصوصه الأدبية.[2] كما يقول يوسف سبتي في هذا الصدد بأنه « لا يمكن أن يعتبر أدبا وطنياتيا أدب بأقلام جزائريين من أمثال (...) مولود فرعون . إنهم كتبوا باللغة الفرنسية وعبروا عن خصوصياتهم من دون التعلق بالوطنياتية (...) لكن صدق عواطفه تجاه من شجعوه ينزع عنا تقديرنا له . ومن زاوية الوطنياتية نعارض ما تركه لنا رغم ارتباطه بالوطن أي وطنيته ».[3]

---

[1] يوسف نسيب ، مولود فرعون حياته وأعماله، ترجمة: حنفي بن عيسى ، مرجع سابق ، ص 101.

[2] ينظر: Mostefa Lacheraf , Littérature de combat , Essais d'introduction : études et préfaces , Edition Bouchène , Alger , 1991, p88-89.

[3] يوسف سبتي ، من الأمس إلى الغد ، التبيين فصيلة تصدر عن الجاحظية ، العدد الفصل الأول شتاء 1990، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1990، ص14-15.

ويعتبر بعضهم الآخر بأن فرعون قد لزم وقتا طويلا ، مواقف سلمية راسخة ، وكان يعتبر الإنساني الحقيقي لا ينبغي له أن يسلم بإراقة الدماء ، وتناحر الشعوب ، خصوصا تلك التي تعايشت فترة طويلة على أرض واحدة .[1]

غير أن لبعض الدارسين رأيا مخالفا لذلك ، إذ تستنتج الدراسة بأن مولود فرعون من الكتاب الجزائريين الذين كانوا يتنفسون فكريا بالحرف الفرنسي كنتيجة من نتائج الوجود الإستعماري الفرنسي في الجزائر، لكن ذلك لم يفصل الكاتب عن هموم أمته، لأنها همومه، وبالتالي سخر إمكاناته بالحرف الفرنسي لمناهضة الإستعمار الفرنسي وأثاره والتعبير عن واقع أمته الرازخة تحت نير الإستعمار.[2] والذي يشفع له عند هؤلاء الدارسين ما ذكره حنفي بن عيسى حينما قال « والذي يشفع له عندي أنه من ذوي الحساسية المفرطة والشعور المرهف . فكل قصة من قصصه إنما هي أنشودة حلوة عذبة يمجد فيها أرض الآباء والأجداد. ولعله من الكتاب الذين لا يستطيعون وصف الحوادث التي يعيشونها .فأمثال هؤلاء الكتاب يفضلون الإنتظار إلى أن تهدأ العاصفة . إنهم لا يستطيعون وصف الحاضر الذي يعيشونه ، بل يتمهلون إلى أن يبتعدوا عن ذلك الحاضر فيلتفتون إلى ذلك الحاضر بعد أن أصبح من الماضي البعيد ... إلا أن القدر لم يمهله ليؤدي رسالته ويقول كلمته »[3].

تعتبر هذه الإنتقادات المختلفة والمتناقضة التي أثارتها حياة مولود فرعون وإنتاجاته الأدبية ، ذات دلالة كبيرة ، فهي تعكس صدى المعاناة النفسية التي كان يعيشها الكاتب الجزائري مولود فرعون ، الذي كان يمثل جزء من الصفوة الجزائرية المثقفة ، المنحدرة من الطبقة الوسطى للشعب ، والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالثقافة الفرنسية. لذلك اعتبر بأن المساواة بين الأهالي و الأوروبيين لا يمكن حدوثها إلا عن طريق التقارب و التفاهم والتسامح ، وهذا الأخير هو الحالة الوحيدة للتبادل الثنائي والحقيقي ، ويكون بالنظر للواقع الأجنبي والحكم عليه بصورة إيجابية . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مولود بقي متمسكا بمبادئه التي تلقاها في المدرسة

---

[1] ينظر: عبد العزيز بوباكير، الأدب الجزائري في مرآة إستشراقية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر،2002، د.ع.ط ، ص17.

[2] ينظر: عمر بن قينة ، دراسات في القصة الجزائرية (القصيرة والطويلة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، د.ع.ط ، ص149.

[3] حنفي بن عيسى، الرواية الجزائرية المعاصرة، مرجع سابق ، ص73.

الفرنسية ، وخاصة مبدأ اللاعنف، حتى وإن كان هذا الأخير مصدره أبناء وطنه من الأهالي الجزائريين.

ويبدو لنا بأن تمسكه بهذه المبادئ بدأ يتزعزع ويتلاشى خلال سنوات حرب التحرير الوطني ، وأصبح إحساسه بالتمزق روتينه اليومي. إحساسه بالتمزق بين عالمين وحضارتين مختلفتين ، ولاؤه للحضارة الفرنسية ، ومدى ارتباطه بالقيم التي غرستها في نفسه المدرسة الفرنسية ، بالإضافة إلى ارتباطه بصداقات حميمة مع الفرنسيين، هذا من جهة ومن جهة أخرى انتماؤه إلى شعب عريق يرزخ تحت سلطة الإستعمار لأكثر من قرن من الزمان ، ذلك الشعب الذي نهض لكي ينفض عنه غبار الذل والهوان .

وهذا ما نلمسه في "يومياته" حيث تطور موقفه من التزام الحياد ، ومناداته بتطبيق مبادئ الحوار و الإندماج واللاعنف ، إلى الإنضمام قلبا وقالبا إلى القضية الوطنية ، والتضامن اللامشروط مع أبناء وطنه الجزائريين. ويبدو لنا بأن تغير موقفه من معارض إلى مؤيد كان ناتجا عن اقتناعه بأن المبادئ التي آمن بها يبدو تحقيقها أمرا مستحيلا في ظل ما يعانيه الشعب الجزائري من الإستعمار الفرنسي، لأن هذا الأخير لم يكن يعمل من أجل تحقيق الغايات النبيلة التي تهدف إلى خدمة الإنسانية جمعاء ، كما أنه لم يكن يفكر فيما يفكر فيه دعاة الحوار والسلم والتسامح، من إقامة علاقات إنسانية بين ثقافاتهم وثقافات غيرهم ، وإنما كان يعمل ليكون هذا الإحتكاك بينه وبين الأمم الأخرى قائما على ميزان القوة والغلبة ، وليس على ميزان العمل والمساواة.

سيظل مولود فرعون ممثلا نموذجيا لجيل فترة الخمسينيات ، جمع فعلا في ذاته "عالمين وثقافتين" ، ومثالا للأديب المخلص والشجاع ، الذي نجد في إبداعه أول محاولة جدية لتصوير حياة وطنه وشعبه بموضوعية ، وطرح المشاكل والتناقضات التي زخرت بها مرحلة يقظة الوعي الوطني للجزائريين ، تلك المرحلة المرتبطة بالكفاح من أجل نيل الحرية والاستقلال .[1]

---

[1] ينظر: حنفاوي بعلي، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص167.

2/ وفاته:

في صبيحة يوم15مارس1962، هاجم ستة مسلحين من منظمة الجيش السري O.A.S[1] مقر المراكز الإجتماعية للتربية بمكان يسمى "القصر الملكي" "Château Royal" الواقع في حي الأبيار ، أين كانت تعقد جلسة عمل لمفتشي هذه المراكز ، وكان مولود فرعون واحدا منهم . كان هؤلاء المسلحين يحملون قائمة الأفراد التي حكمت عليهم هذه المنظمة الإرهابية بالإعدام ، حيث تم اقتيادهم إلى الخارج أين تم قتلهم رميا بالرصاص، وبكل برودة دم. وهكذا انتهت حياة مولود فرعون رفقة زملائه في آخر يوم من شهر رمضان ، عشية إعلان وقف إطلاق النار بين جيش التحرير الوطني والجيش الفرنسي بموجب إتفاقيات إيفيان التي تعترف باستقلال الجزائر.[2] وهنا يمكن أن يراودنا السؤال التالي : من هم الأشخاص الذين قتلوا معه ؟ وهل كانوا جزائريين مسلمين أو فرنسيين ؟

يبدو بأن الذين قتلوا في ذلك اليوم ، هم ثلاثة من الجزائريين المسلمين، كان فرعون واحدا منهم ، بالإضافة إلى "علي حموتان" "Ali Hamoutène"، و"صالح ولد عودية" "Salah Ould Aoudia"، وثلاثة فرنسيين هم : "ماكس مرشان" "Max Marchand" ، "مارسيل آيمار" "Marcel Aymard" ، و"مارسيل باسيت" "Marcel Basset".[3]

وهكذا يمكننا أن نقول بأن مبدأ المساواة الذي طالما نادى به فرعون ، قد تحقق لحظة اغتيال هذا الأخير رفقة جزائريين مسلمين وفرنسيين.

---

[1] استمرت الثورة الجزائرية سبع سنوات ، وقوي عودها ، مما اضطر الرئيس الفرنسي "شارل ديغول" للتفاوض مع جبهة التحرير الوطني ، بهدف الإعتراف باستقلال الجزائر. فظهرت عدة أطراف أوروبية وفرنسية في الجزائر تعارض ذلك، وتعمل على إبقاء الجزائر فرنسية، ومنها منظمة إرهابية تطلق على نفسها منظمة الجيش السري O.A.S، التي أصبحت تدعو أوروبيي الجزائر للتمرد على السلطة في باريس ، وزرع الفوضى والعنف في الجزائر بهدف الحفاظ على الجزائر كمستعمرة فرنسية.

[2] ينظر: حسينة حماميد ، المستوطنين الأوروبيين والثورة الجزائرية 1954–1962، منشورات الحبر، تعاونية عيسات ايدير، الجزائر، 2007، الطبعة الأولى ، ص218.

كذلك: بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر1830–1989(الجزء الثاني)، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2006، د.ع.ط ، ص379–380.

[3] ينظر: Jean Déjeux , Littérature Maghrébine de langue française, o.p.c , p 116.

و دفن مولود يوم18 مارس 1962، في مسقط رأسه ، عند مدخل قرية تيزي هيبل، في مقبرة أجداده الواقعة هناك ، كما « يقابل قبره منظر رائع لسلسة جبال جرجرة . وقد كتب على قبره عبارة من روايته "الدروب الوعرة" »[1]. بالإضافة إلى أن اسمه « يتذيل قائمة الأربعين شهيدا التي حفرت على النصب التذكاري لقرية تيزي هيبل »[2]، كأخر شهيد عرفته القرية قبل إعلان وقف إطلاق النار.

ويبدو لنا من خلال رسالة كتبها فرعون إلى روبلس بأن فرعون كان على علم بأنه يحتل المراكز الأولى في قائمة المطلوب تصفيتهم. وذلك لأنه لفت أنظار المتطرفين إليه عندما كان في اجتماع ، اعتقد بأنه يستطيع التكلم فيه بكل حرية.[3] وقد نشر خبر وفاة الكاتب مولود فرعون في عدة جرائد[4]. وترك خبر وفاته على يد هذه المنظمة الإرهابية أثرا عظيما في قلوب معارفه وأصدقائه ، وكل الناس من ذوي الإرادة الطيبة .

IV أصدقاؤه:

1/ إيمانويل روبلس:

ينتمي إيمانويل روبلس "Emmanuel Roblès" إلى الجيل الثاني من الكتاب الأوروبيين المولودين بشمال إفريقيا. ولد بتاريخ4 ماي 1914، في مدينة وهران[5]. ينتمي إلى عائلة بسيطة من أصل إسباني. زاول دراسته الإبتدائية والثانوية في مسقط رأسه، ولأنه كان تلميذا نجيبا تمكن من الإلتحاق بمدرسة المعلمين الكائن مقرها في بوزريعة ، في مدينة الجزائر، هناك التقى لأول مرة بمولود فرعون. وربما لأنهما لم يكونا ينتميان إلى نفس الدفعة ، لم تكن حينئذ تربطهما ببعض صداقة حميمة ، وإنما

---

1 Wadi Bouzar , Lectures Maghrébine , essai , O.P.U. Publisud , 1984, p198.

2 المرجع نفسه ، ص204.

3 ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis, o.p.c , p 198.

4 ومن بين هذه الجرائد جريدة "برق الشمال" "Nord Eclair"، وقد كتب هذا النعي صديقه "موريس مونويير" "Maurice Monnoyer".

5 ينظر: Jean Déjeux , La littérature algérienne contemporaine , o.p.c , p44

كانا مجرد زميلين، وقد احتفظ فرعون له بصورة الطالب المجتهد ، والزميل الذي يكن له كل التقدير.[1] وعندما انتهت سنوات الدراسة في بوزريعة ، واصل كل منهما حياته ، وانقطعت الصلة بينهما مدة طويلة تمكن خلالها روبلس من أن يصبح كاتبا روائيا ومسرحيا لامعا ومشهورا .

ومن أشهر الأعمال الأدبية التي نشرها في هذه الفترة : روايتي "الفعل" "L'Action" (1938) ، و "أعالي المدينة""Les Hauteurs de la ville" (1948)، ومسرحية "Montserrat" "مونسيرا" (1949).[2]

كما أن روبلس كان ينتمي إلى التيار الأدبي الذي أطلق على نفسه اسم "مدرسة الجزائر" "Ecole d'Alger"، والتي من أشهر أعضائها "ألبير كامو" الذي كانت تربطه بروبلس علاقة صداقة متينة . وكانت هذه المدرسة تهدف إلى خلق أعمال أدبية حقيقية تختلف في مضامينها عن الأعمال الغرائبية الإكزوتيكية التي كانت سائدة في الساحة الأدبية ، قبل تأسيس هذه المدرسة[3]، التي يبدو بأنها كانت تعمل على إيجاد أدب متوسطي يستمد خصائصه من الطبيعة المتوسطية . كما نشير إلى أن روبلس يعتبر مؤسس مجلة "Forge" التي تأسست في نهاية سنة 1946، والتي كانت تنادي بتحقيق المساواة بين الفرنسيين والأهالي رغم الفروق الكثيرة بينهما ، لذلك « خصص فيها مجالا لنشر مقالات كتبها كتاب من الأهالي المسلمين سواء أكانوا عربا أو بربرا »[4].

بعد مضي أربع عشرة سنة على تخرج فرعون من مدرسة المعلمين ، عاد والتقى بروبلس بمحض الصدفة ، عندما كان هذا الأخير يقوم بزيارة عمل قادته إلى منطقة القبائل. وسرعان ما توطدت علاقة الصداقة بينهما ، وتوالت زيارات روبلس

---

[1] ينظر: Mouloud Feraoun , l'anniversaire , ENAG/Edition , طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1992، د.ع.ط ، ص65

[2] ينظر: Jacqueline Arnaud , La littérature maghrébine de langue française , Tome: 1, o.p.c , p31.

[3] ينظر: Christiane Ndiaye , introduction au littératures francophones Afrique , caraïbe , Maghreb, o.p.c, p201.

[4] Jean Déjeux , La littérature algérienne contemporaine, o.p.c , p48.

إلى فرعون في قريته ، حيث كان يرافقه إلى الأماكن العامة فيها كالجماعة والمقهى ، وقد تمكن روبلس خلال هذه الزيارات من التأقلم مع العادات والتقاليد القبائلية .[1]

ونشير إلى أن هذه العلاقة قد تطورت من صداقة تجمع بين فردين إلى صداقة تجمع بين عائلتيهما ، وهذا ما فهمناه من رسالة بعث بها فرعون إلى روبلس ، حيث كتب له يدعوه وعائلته إلى تمضية عطلتهم عنده في بيته ، لأنهم يعتبرون بمثابة الأخوة بالنسبة إلى عائلة فرعون .[2]

ويمكننا القول بأن روبلس كان أول من شجع فرعون على الكتابة الأدبية، إذ يذكر فرعون بأنه كان يفكر بإقناع روبلس بكتابة رواية قبائلية ، وعندما أخبره بفكرته هذه ، نظر مباشرة في عينه وأبلغه بأن كتابة رواية قبائلية هي مهمته هو ، وبأن الجميع يريد أن يسمع صوته ، لذلك يجب عليه أن يبدأ العمل . وبدون تردد اقترح عليه مواضيع مختلفة، وفتح أمامه مجالات واسعة .[3]

و يبدو لنا بأن روبلس قد احتل مكانة خاصة عند صديقه فرعون ، الذي كان يستشيره في أمور مختلفة ، حتى أنه كان يبعث بمخطوطات أعماله الأدبية إليه لكي يعطيه رأيه فيها ، ربما لأن روبلس لم يكن يحب إسداء النصائح بقدر ما كان يحب إعطاء وجهة نظره . حتى أن فرعون طلب منه مرة أن يتصرف نيابة عنه إن لزم الأمر، وذلك دون أن يشعر بأي حرج .[4] فهو معجب بصديقه أشد الإعجاب ، و يرى بأن روبلس هو إنسان أعطى كل ما لديه لأعماله الأدبية ، التي ما هي إلا صرخة روح ترفض كل أنواع الكراهية والكذب والإكراه ، فما يحبه فيه هو إيمانه اللامشروط بالإنسان، وثقته في الحياة .[5]

وإثر الأحداث الدامية التي ميزت سنوات حرب التحرير المجيدة ، كتب مولود فرعون يومياته ، حيث كتب في رسالة بعثها إلى روبلس بتاريخ 7 أوت

---

[1] ينظر: Mouloud Feraoun , L'Anniversaire, o.p.c ,p 69.

[2] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis o.p.c, , p 125.

[3] ينظر: Mouloud Feraoun , L'Anniversaire, o.p.c, p 70.

[4] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis, o.p.c , p 87.

[5] ينظر: Mouloud Feraoun , L'Anniversaire, o.p.c , p 72-73.

1956، أعلمه فيها بأنه يكتب يومياته في كراسات ، وقد بلغ عددها حينئذ خمسة ، وبأنه يخبئها في علبة في غرفة الضيوف التي يشغلها عادة هذا الأخير عندما يقوم بزيارته ، كما يبلغه بأن لا أحد غيره يعلم بهذا الموضوع[1]. وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على أن فرعون كان يعتبر روبلس كاتم أسراره ، ربما لأن ثقته فيه كانت عمياء وغير مشروطة ، حتى أن اندلاع الثورة ، وما تبعها من انقسام السكان الأهالي والأوروبيين مواليد الجزائر إلى طرفين متنازعين ، لم يؤثر إطلاقا على هذه الصداقة القوية التي ربطت بينهما . ربما لأنهما فهما مبكرا ، بأن ما يجمع بينهما أقوى من أن تفرقه الأصول العرقية والدينية المختلفة ، فبالنسبة إليهما « أهم شيء في هذا العالم القاسي الذي لا يرحم هو إنقاذ الإنسان ، عن طريق انتزاعه من الوحدة و الظلم و الجهل والإستغلال»[2].

ولابد أن نشير إلى أن روبلس قد فقد في هذه الفترة ابنه المدعو"بول" "Paul" إثر حادثة أليمة وسنه حينها لم يتجاوز السابعة عشر[3]. وربما كانت وفاة ابنه المفاجئة سببا في رحيله نهائيا من الجزائر ، واستقراره وعائلته في مدينة باريس في فرنسا ، بالإضافة إلى أنه « لم يتصور أبدا أن بإمكانه الإندماج في جزائر عربية مسلمة و مستقلة»[4]. ويمكننا القول بأن رحيله هذا ، لم يكن كفيلا بقطع علاقة الأخوة الصادقة التي ربطته بفرعون ، حيث استمرا في مراسلة بعضهما، حتى أن فرعون كتب إلى روبلس في رسالة بعث بها إليه ، يوصيه فيها في حال تم اغتياله بأن يهتم بعائلته وأعماله التي لم يستطع إنهاءها.[5]

وعندما اغتيل فرعون ، وقع خبر وفاته على روبلس كالصاعقة ، فقد كاد ينهار من وقع الصدمة ، و لم يتمكن أبدا من تجاوز هذه المصيبة. ووفاء لصديقه حرص

---

[1] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , p 149-150.

[2] Mehenni Akbal , Mouloud Feraoun - Maurice Monnoyer Histoire d'une amitié, o.p.c , p: 78.

[3] ينظر: Guy Dugas, L'Agitateur un roman inédit d'Emmanuel Roblès sur la guerre d'Algérie, Les Rencontres Méditerranéennes Albert Camus, Audisio, Camus, Roblès, fréres de soleil: leurs combats, Edisud , France Quercy , Cahors , 2003 , p 72 .

[4] Jean Déjeux , La littérature algérienne contemporaine, o.p.c , p 53-54.

[5] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis, o.p.c , p 198.

على تطبيق وصيته ، ونشر الأعمال الأدبية التي لم يستطع صديقه القديم أن ينشرها في حياته.[1] حيث تم نشر "يومياته" في أواخر سنة1962 ، ثم تلتها "رسائله إلى أصدقائه" و"عيد الميلاد" وكلها صدرت عن دار النشر لوسوي التي كان يديرها بنفسه.

وفعله هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه كان حريصا على أن يعرف الكل بأن مولود فرعون بعد التزامه الصمت تجاه القضية الوطنية فترة طويلة ، قد انضم في أعوامه الأخيرة إلى صف المطالبين بالحرية والإستقلال لوطنه الجزائر، وهذا بعد ما تمكن من التخلي عن المبادئ التي غرستها في نفسه المدرسة الفرنسية. وهكذا أخذ فرعون مكانه الطبيعي بين أبناء وطنه ، بعد أن أعيد دمجه بعد الإستقلال .

2/ ألبير كامو :

ولد ألبير كامو[2] Albert Camus في شهر نوفمبر من عام 1913، ببلدة "موندوفي"، على مقربة من مدينة عنابة . مات والده قتيلا في بداية الحرب العالمية الأولى وكان ذلك عام 1914، مما اضطر والدته أن تصطحب ولديها وتستقر معهما في حي بلكور في مدينة الجزائر . زاول كامو دراسته الإبتدائية ، ثم تمكن بفضل مساعدة معلمه "لويس جرمان" من الإلتحاق بالثانوية ، أين التقى بأستاذه "جان غريتي" الذي بعث فيه موهبة الكتابة . وفي عام 1930 أنهى كامو دراسته الثانوية، وخلال نفس السنة أحس بأولى أعراض مرض السل.

تسجل في شعبة الآداب العليا عام 1932، واستطاع أن ينال الإجازة ، ثم التبريز في الفلسفة ، تخرج بعد ذلك أستاذا .[3]

كانت حياته المهنية غنية بتجارب مختلفة ، أهمها مهنة الصحافة . وعندما كان رئيس تحرير جريدة "Alger républicaine" ، أجرى تحقيقا صحفيا عن منطقة القبائل

---

[1] ينظر : Mehenni Akbal , Mouloud Feraoun - Maurice Monnoyer Histoire d'une amitié, o.p.c , p 77 .

[2] يكتب بعض الدارسين العرب اسم Camus بالعربية "كامو"، والبعض الآخر يكتبه "كامي" ، ونطق حرف "u" في الفرنسية أقرب إلى الضمة في العربية منه إلى الكسرة ، لذلك آثرنا كتابته "كامو" .

[3] ينظر: حنفاوي بعلي، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، مرجع سابق،ص143-144-145 .

وسكانها نشره سنة 1937، استعان فيه بآراء بعض المعلمين في هذه المنطقة ، وكان مولود فرعون واحدا منهم ، وقد احتفظ هؤلاء المعلمين بذكرى لقائه محفورة في أنفسهم.[1]

ويعد الدارسون كامو بمقالاته وتحقيقاته من الفرنسيين القلائل الذين كانت شجاعتهم ونزاهتهم ، تدفعهم إلى قول كلمة الحق . فهو ينتمي إلى أولئك المفكرين الذين خلقوا لعصرهم ، حتى ليذهب النقاد إلى أنه أكثر كاتب يقبل الفرنسيون على كتاباته . فقد كان متدينا دون دين ، وكان سياسيا دون حزب لأنه ترك الشيوعية ، وفيلسوفا دون فلسفة موضوعة ، فقد انفصل عن الوجودية وأسس لنفسه فلسفة العبث ، وربما تكون الحياة الصعبة التي عاشها في شبابه سببا في إحساسه بهذا العبث ، بالإضافة إلى تكوينه الفلسفي الذي مكنه من إرساء قواعد فلسفته العبثية.[2]
كما أنه اشتهر بإيمانه العميق « بالإنسان الفرد والإنسانية ، وبضرورة الكفاح من أجل العدالة والحرية » .[3]

وتجلت المبادئ التي آمن بها في معظم أعماله الأدبية ، فرواية "الغريب" "L'Etranger" التي نشرها سنة 1942 ليست مجرد سرد للوقائع والأحداث والأفعال والأشخاص في إطارات محددة ،إنما هي « تدليل على فلسفة "العبث"» .[4] ثم أتبعها "بأسطورة سيزيف" "Le Mythe de Susyphe" سنة 1942، و"كاليغولا" "Caligula" سنة1945. وتعتبر رواية "الطاعون" "La peste" التي نشرت سنة 1947، أول رواية جلبت له شهرة عالمية ؛ والرواية في معناها الظاهري ، قصة طبيب فرنسي في مدينة وهران وقد أصابها مرض الطاعون عام 1940، وربما في معناها البعيد ترمز بالطاعون إلى مأساة الإنسان الحديث بتصويره ذلك العبء من الظلم والألم والموت

---

[1] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , p 07.

[2] ينظر: Pierre Brunel et Denis Huisman , La littérature française des origines à nos jours,Vuibert,Mayenne,2005,2emeédition,p265.

[3] محمود سمرة ، أدباء معاصرون من الغرب ، مطابع حداد الحديثة ، الجعيتاوي ، د.ت ، ص 73–74.
كذلك : Françoise Ploqui , Laurent Hermeline , Dominique Rolland , Littérature française , Les textes essentiels , collection n°06, Baume- les-Dames , France , 2005 , Edition n°03,p 116.

[4] فؤاد شاكر، حصاد القرن العشرين الإبداعية (9)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2005، الطبعة الأولى، ص 102.

الذي يثقل كاهله. وعلى الرغم من أن الموت هو النهاية الحتمية لهذا الإنسان ، إلا أنه يجب عليه أن يقاوم كل أنواع الشرور في هذا العلم العابث.[1]

ويبدو لنا بأن الكاتب الجزائري مولود فرعون كان من أشد المعجبين بألبير كامو وأعماله الأدبية . وقد استطاع بفضل صديقهما المشترك "إيمانويل روبلس" من الحصول على عنوان كامو الشخصي ، والذي كان يريد أن يحصل عليه منذ وقت طويل . وفور حصوله عل العنوان بعث بأول رسالة إلى كامو بتاريخ 27 ماي 1951، كتب له فيها بأنه أحسن عندما قرأ رواية "الطاعون" بأنه فهمها أكثر من أي كتاب قرأه من قبل . كما أنه عاتبه لأنه لم يتعرض بالحديث عن عرب مدينة وهران ، مبديا ملاحظاته عن عدم قدرة كامو على فهم المواطن الجزائري العربي المسلم .[2]

وقد سعد كامو بهذه الرسالة ، على الرغم من معاتبة فرعون له. وتوالت المراسلات بينهما، وتخللتها بعض اللقاءات الشخصية[3]. و هكذا أصبحت تجمع بينهما علاقة صداقة قوية ، أساسها الإحترام والتقدير والثقة المتبادلة .

بعد اندلاع ثورة التحرير المجيدة ، شعر كامو بالتمزق ربما لأنه لم يكن مستعدا أن يحمل جنسية جزائرية في بلد حر عربي ومسلم ، ففضل التزام الصمت تجاه القضية الوطنية ، وذلك لأنه كان يرى بأن الطرفين المتنازعين هما إخوانه ، فلا يمكنه الإنحياز إلى طرف دون إلحاق الأذى بالآخر. وهكذا اقتنع بأن التزامه الصمت في هذه الحالة لا يمكن أن يكون موقفا سلبيا.[4]

وقد كتب له فرعون معربا له عن تفهمه لالتزامه الصمت ، لأنه يرى بأن تفكير كامو الصحيح هو الذي جعله يرفض تأييد الأوروبيين في الجزائر، والحكم ظلما على السكان الأهالي[5]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على احترام فرعون لآراء كامو حتى أنه يجد له المبررات .

---

[1] ينظر: Éliane Ltti , La littérature française en 50 Romans , Ellipses/ Edition marketing,(15e) ,Paris,1995,p172.

[2] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , p 61.

[3] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , p 171 .

[4] ينظر: Mouloud Feraoun , L'Anniversaire , o.p.c , p 51-52.

[5] ينظر: المصدر نفسه ، ص 34 .

ويبدو لنا بأن ألبير كامو قد حدد موقفه ، وذلك في خطبة ألقاها في ستوكهولم "Stockholm" عشية حصوله على جائزة نوبل للآداب "Le Prix Nobel" في عام 1957، عندما ذكر بأنه يؤمن بالعدالة إلا أنه يدافع عن أمه قبل أن يدافع عن العدالة . ولم يستطيع الجزائريون أن ينسوا هذا الموقف الذي أدانوه بقوة ، رغم تقديرهم لقيمة أعمال كامو الأدبية .[1]ويبدو لنا بأن فرعون لم يعر هذا الخطاب أي أهمية ، فقد سارع إلى إرسال برقية تهنئة إلى صديقه كامو ، وأبقى هذا الأمر سر ا.[2]ربما لأنه علم بأن اتخاذ كامو لهذا الموقف قد ينزع عنه التقدير الذي كان يكنه له الأهالي الجزائريين .

وشاءت الأقدار أن يخطف الموت روح الكاتب الإنساني ألبير كامو إثر حادث سيارة ، وهو في طريقه إلى باريس . وقد كان ذلك في الرابع من يناير 1960، وهو في سن السادسة والأربعين ، تاركا وراءه زوجة وطفلين .وهكذا « صمت ، إلى الأبد ، الصوت الذي عبر عن قلق عصره أصدق تعبير».[3]

وقد أصيب فرعون بصدمة عنيفة إثر سماعه الخبر، حيث كتب مقال ينعى فيه صديقه كامو تحت عنوان "الرسالة الأخيرة" "Le dernier message" بتاريخ 27 جانفي1960، يذكر فيها بأن صديقه كامو قد انظم إلى قائمة الأشخاص الذين فقدهم ولم يبق له منهم إلا ذكراهم الطيبة ، والذين على الرغم من فراقهم سيظلون أصدقاء أعزاء.[4]

V تنقلاته:

يبدو لنا بأن مولود فرعون لم يكن كثير التنقل والترحال إلى بلدان أخرى ، ربما لأنه كان مشتغلا بمهنة التعليم ، وهي كما نعلم مهنة مرتبطة ببرنامج وتوقيت. إذ على

[1] ينظر: Abdelkader Djeghloul , Lettres pour l'Algérie , Les presses de l'unité de Rouiba,ANEP.1er trimestre,2001,p98.

[2] ينظر: Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis, o.p.c , p 164.

[3] محمود سمرة ، أدباء معاصرون من الغرب، مرجع سابق ، ص73.

[4] ينظر: Mouloud Feraoun , L'Anniversaire, o.p.c , p 46.

المعلم إنهاء برنامج التدريس قبل نهاية السنة الدراسية ، والحصول على العطلة الصيفية. وهذا كله لمحناه من خلال رسائل فرعون التي كان يرسلها إلى أصدقائه .

وعلى الرغم من ذلك ، إلا أنه استطاع أن يسافر إلى بلدين هما : فرنسا واليونان، وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي .

1/ رحلاته إلى فرنسا:

كانت رحلته الأولى إلى فرنسا في شهر أوت من عام1949. و كان ذلك بعد أن صام شهر رمضان واحتفل بعيد الفطر رفقة والديه في تيزي هيبل . وقد أقام هو وعائلته في بيت صديقه الفرنسي "روني نوؤال" "René Nouelle " وعائلته .[1]

وقد أثرت هذه الرحلة في نظرة فرعون للفرنسيين تأثيرا كبيرا ، فقد ذكر بأنه عندما وصل إلى باريس ، كان يشبه شخصا قدم من كوكب آخر، لكن الفرنسيين استقبلوه استقبالا طيبا ، وعاملوه وكأنه أخ لهم ، وكان أكثر شيء أعجبه فيهم هو بساطتهم وصدقهم وحسن معاملتهم له ولعائلته.[2]

كما نشير إلى أنه كتب في رسالة ، بعث بها إلى نفس العائلة بتاريخ 29 أفريل 1951، بأنه يريد أن يسافر إلى فرنسا ويبقى فيها من 15 جويلية إلى 15 أوت ، وإن كانت هذه العائلة لا تستطيع استقباله فلا داعي لأي حرج ، لأن بإمكانه المكوث عند أحد أقاربه المقيمين في كل أنحاء فرنسا[3]. ولكننا لم نتمكن من التأكد من قيامه بهذه الرحلة فعلا أم أنها بقيت مشروعا لم يكتب له النجاح .

و قام برحلة أخرى إلى فرنسا وكان ذلك سنة 1953، وهذا ما فهمناه من رسالة كتبها إلى عائلة نوؤال ، يعتذر منهم لعدم تمكنه من زيارتهم ، لأن رحلته كانت قصيرة، فهي مجرد رحلة عمل ؛ حيث وصل يوم الجمعة على الساعة الثالثة ، أقام في فندق "إزلي" " Isly " ، ثم حضر كضيف في حصة إذاعية ، كما أجرى عدة حوارات

[1] ينظر: Mouloud Feraoun , lettres à ses amis, o.p.c , p 06.

[2] ينظر: Mouloud Feraoun , lettres à ses amis, o.p.c , p . 09

[3] ينظر: المصدر نفسه ، ص 57 .

صحفية مع جرائد مختلفة ، بالإضافة إلى حضوره لحفل كوكتيل أدبي ، وكانت عودته إلى الجزائر في يوم الأحد .[1]

وكانت رحلته التالية إلى فرنسا ، في منتصف شهر ديسمبر سنة 1958، مكث هناك أربعة أيام ، قام فيها بمناقشة بعض الأعمال الأدبية .[2]

ويبدو لنا بأن رحلته الأخيرة إلى فرنسا كانت في عام 1961، أين حضر مؤتمرا في Saint-Germain-en-Laye وكان ذلك يوم السبت الثاني من شهر ديسمبر ، على الساعة التاسعة .[3]

و يمكننا القول بأن رحلاته الأخيرة إلى فرنسا ، لم تكن رحلات استجمام ، وإنما كانت رحلات عمل ، حتى أنه لم يكن يملك الوقت الكافي لكي يزور أصدقاءه ومعارفه.

2/ رحلته إلى اليونان:

قام مولود فرعون برحلة إلى اليونان ، وكان ذلك في فصل الربيع من عام 1961. ويبدو لنا بأنه وضع لنفسه هدفا شخصيا من وراء هذه الرحلة ، تمثل في محاولته إيجاد موطنه القبائل في هذا البلد الغربي . وخلص إلى النتيجة التالية :

طبيعة اليونان تشبه كثيرا طبيعة القبائل ، وذلك لأن كلا البلدين يقعان على الشاطئ ذاته ، ويتمتعان بالمناخ نفسه وهو مناخ البحر الأبيض المتوسط .[4]

وقد قام فريق العمل الذي ذهب رفقته ، بجولة عبر أهم مدن اليونان ، حيث مكث في مدينة "جنينة" "Janina" في فندق "جولي" "Hôtel Jolly"، [5] كما مكث في مدينة "دلفي" "Delphi".[6]

---

[1] ينظر: المصدر نفسه ، ص 113 –114 .

[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص 179.

[3] ينظر: . Mouloud Feraoun , lettres à ses amis, o.p.c , p . 232

[4] ينظر: Mouloud Feraoun , L' Anniversaire , o.p.c, p 80.

[5] ينظر: المصدر نفسه ، ص 83.

[6] ينظر: المصدر نفسه ، ص89.

وقد استطاع هذا البلد بفضل طبيعته الخلابة ، وتاريخه القديم الحافل بالأساطير والآلهة المختلفة أن يؤثر في نفس فرعون تأثيرا عميقا .

VI مطالعاته:

لقد اعتبر مولود فرعون أحد أكبر كتاب المغرب العربي شهرة ، وترجع مكانته الأدبية أساسا إلى رواياته ، التي لم يتجاوز عددها أربع روايات إلا أنه أبدع فيها ، كما تجلت فيها شخصيته الفكرية ، مثلما تجلت فيها جوانب كثيرة من حياته الشخصية ، ومدى تواضع خلفيته الإجتماعية .

غير أن استخدامه لمسقط رأسه وهي قرية في أعالي جبال جرجرة في منطقة القبائل كإطار لأعماله الأدبية ، قد جعل بعض الدارسين يتهم أدبه بالإقليمية ومحاولة افتعال انقسام بين العرب والبربر في وجه العدو المشترك وهو الإستعمار الفرنسي .[1] إلا أن بعضهم الآخر يرى بأن هذا أحرى به أن يكون دليل على الأمانة والإخلاص من جانب الروائي ، الذي أعار اهتمامه لمواضيع تحاشاها الآخرون ازدراء وإهمالا . وهو بذلك صان تراثا غنيا ومهددا بالضياع والإندثار التدريجي . فأدب فرعون « انطلق من الإقليمية ليصل إلى العالمية »[2].

على الرغم من تباين آراء الدارسين حول هذه النقطة ، إلا أنه يبدو لنا بأن فرعون قد وضع لنفسه منذ بداية مسيرته الأدبية ، هدفا محددا عمل على تحقيقه ، وتمثل هذا الهدف في محاولته ترجمة الروح القبائلية وإعطائه الصورة الحقيقة للقبائلي الذي ما هو إلا إنسان مثل الآخرين ، فيكون فرعون بذلك شاهدا على مجتمعه .[3]وربما تمكن من بلوغ هدفه هذا ، لأن تركيبته النفسية تجمع في الوقت ذاته بين القبائلي و الجزائري و المسلم وخاصة المثقف المستعمر(بفتح الميم). فقد كان زملاؤه وأصدقاؤه وكل من عرفه ، يتحدثون عنه كإنسان صادق و طيب ومثقف كبير، وهذا ما يؤكده صديقه المقرب إيمانويل روبلس الذي قال عنه بأنه : " لم يكن إنسانا طيبا وهادئا

---

[1] ينظر: Jamel Eddine Bencheikh , Dictionnaire de littérature de langue arabe et maghrébine francophone , Presses universitaires de France , France , 2000, p123.

[2] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925−1967 ، ترجمة : محمد صقر ، مرجع سابق، ص144.

[3] ينظر: Jean Déjeux , La littérature algérienne contemporaine , o.p.c , p 65.

فحسب ، بل أهم من ذلك كان مثقفا . كان يقرأ أكثر منا جميعا . وكان بباسطة يلتهم الكتب ، كان يجل الكتاب الروس ويحب فرنسيي القرن الثامن عشر، ثم بعد ذلك جعلته يكتشف الأمريكيين..."[1] أضف إلى ذلك ما قاله فرعون عندما تحدث عن نوع الكتب التي يحب قراءتها ، فذكر بأنه قرأ كثيرا، ومن كل شيء ، كما أشار إلى أنه أصبح متطلبا كثيرا . فهو يحب الكتب الإنسانية التي تصور الإنسان في تمام كماله وتعقده ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يكون طيبا فحسب، أو شريرا فحسب ، وإنما هو خليط من هذا وذاك [2]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن فرعون من الشخصيات التي ارتبط لديها العلم بالعمل كضرورة لتحقيق الرقي الحضاري ، فتعطي العمل بكرم من تعبها كما توطد صلتها بالكتاب سبيلا إلى النور والتطور« حتى أنه سقط شهيدا وفي يده كتاب كما قيل »[3]. فهو بذلك يعتبر القارئ الطلعة، والكاتب المبدع ، من الذين تركوا للمكتبة الجزائرية أعمالا أدبية مختلفة ، ثرية بكل أبعادها الحضارية والتاريخية والاجتماعية .

وعلى ضوء ما سبق ذكره ، تبدو لنا صعوبة مهمة تحديد أنواع الكتب التي طالعها مولود فرعون ، لذلك آثرنا أن نطلع -على سبيل المثال لا الحصر- على الأدبين الفرنسي و الروسي.

<u>الأدب الفرنسي:</u>

كابد الإستعمار في نشر لغته في الجزائر كل عناء ، فلم ينجح في ذلك إلا في بعض المدن الكبرى . ولكن في العقود الأخيرة من وجوده ، تمكنت ثقافته تمكنا عميقا من نسبة من الجزائريين الذين أتيح لهم أن يدرسوا في المدارس الفرنسية ، التي كانت تعلمهم تعليما فرنسيا محضا ، يمجد الحضارة الفرنسية ، ويدرس التاريخ والأدب الفرنسيين .

---

[1] نقلا عن : عبد العزيز بوباكير ، الأدب الجزائري في مرآة إستشراقية ، مرجع سابق ، ص18.

[2] ينظر: Mehenni Akbal , Mouloud Feraoun- Maurice Monnoyer Histoire d'une amitié , o.p.c , p 48-49.

[3] عمر بن قينة ، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام ....وقضايا...ومواقف) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1993، د.ع.ط ، ص279–280.

وينتمي كاتبنا مولود فرعون إلى أولئك الذين كان تعليمهم بالفرنسية ، لذلك فإن قراءاته تشمل في غالبيتها على أعمال الكتاب الفرنسيين الكلاسيكيين ، وقد كان لديه ولع خاص بكتاب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أمثال : بلزاك Balzac، زولا Zola ، دودي Daudet ، ديكنز Dickens ، موليير Molière وغيرهم ،[1] فجاءت أعماله الأدبية تعكس « الروح العملية والواقعية و الميل إلى التشكك »[2] تلك الإتجاهات التي سادت كتابات هؤلاء الأدباء الكبار .

وارتأينا أن نركز على التيار الواقعي ، التيار الذي طبع كتابات مولود فرعون الأدبية.

اعتبر النقاد المذهب الأدبي تيارا فكريا وفنيا واجتماعيا ، ساعدت الآداب العالمية الكبرى على نشأته ونموه ، ويمثل هذا المذهب الأدبي روح العصر الذي نشأ فيه خير تمثيل ، فيكون لدى دعاته وممثليه صادرا عن اقتناعاتهم وولائهم لروح عصرهم ، وإيمانهم بالرسالة الإنسانية التي يعملون على تبليغها ، والأسئلة التي تتبادر إلى الأذهان هي : متى ظهر المذهب الواقعي ؟ وما هي الظروف التي ساعدت على ظهوره ونموه؟ وما هي أهم المبادئ التي اعتمد عليها ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في ما يلي .

لقد رأى بعض الدارسين أن شيوع النزعة العلمية ، التي واكبتها الفلسفة الوضعية في مطلع القرن التاسع عشر ، أدى إلى تسويغ الواقعية الأدبية في النفوس ، لأن الأذواق العلمية تطمئن بطبيعتها إلى التحليل الواقعي والتأويل المادي المحسوس . وبذلك رجحت كفة الواقعية في موازين الذوق والأدب . وأصبحت هذه الواقعية « هدفا منشودا واتجاها مطلوبا تنادى به الأدباء والنقاد على وجه العموم »[3]. ويبدو لنا بأنها جاءت كرد فعل للمذهب الرومانسي الذي يعتمد على عنصر الخيال ، و هذا ما ذهب إليه عبد العاطي شلبي عندما قال بأن الواقعية جاءت رافضة « الإغراق في الخيال

---

[1] ينظر : Jamel Eddine Bencheikh , Dictionnaire de littérature de langue arabe et maghrébine francophone , o.p.c , p 123.

[2] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925–1967، ترجمة : محمد صقر، مرجع سابق ، ص78.

[3] حلمي علي مرزوق ، الرومانسية * الواقعية النقدية * الواقعية الاشتراكية أصولها الفنية والفلسفية والإيديولوجية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، 2004 ، د.ع.ط ، ص107–108.

والإسراف في خلق عالم الأوهام وتنأى عن المجاز والرمزية والتأنق في الأسلوب وتهتم بالصغائر والأشياء المختصرة والمؤذية فتجعلها ميدانا مباحا في الفن وتفتح الباب للجنس بكل مباذله »[1]. و هي بذلك تسعى إلى تصوير الواقع ، ومحاولة تفسيره عن طريق كشف أسراره ، وإظهار خفاياه .

وقد دعا أصحاب الواقعية الإجتماعية سواء أكانت إشتراكية أو غربية إلى تأليف القصة والمسرحية . كما أن على الكاتب أن يختار مادة تجاربه من مشكلات العصر ، وتكون شخصيات أعمالهم الأدبية مأخوذة إما من الطبقة الوسطى في آفاتها التي تهدد المجتمع بالإنحلال ، وإما من طبقات الشعب العاملة فيما تعانيه من بؤس وظلم ، وما تطالب به من إنصاف وعدل [2]. ولابد أن نشير إلى أن دخول العمال إلى الأدب كان على يد الواقعين ، الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن حقوق هؤلاء العمال . بالإضافة إلى تصويرهم للشر والآفات في تجاربهم ، بهدف تنبيه المجتمع إلى تفادي إنتاج مثل هذه التجارب التي يأخذونها من واقع الطبقات الدنيا ، ومن أعماق النفس الإنسانية . ويمكننا أن نقول بأن الواقعية الإجتماعية قد أنتجت كتابا غربيين عمالقة أفذاذ ، ساهموا في إرساء قواعدها الأساسية نذكر منهم: زولا ، فلوبير ، بلزاك ، بودلير ، دكنز ، ثاكري[3]و غيرهم.

وننتقل الآن بالحديث عن الواقعية في العالم العربي عامة ، وفي الجزائر خاصة، فهل كانت هناك ظروف هيأت الأرضية لانتقال هذا الأدب إلى هذه البلاد؟

يبدو لنا بأن ظروف الحرب العالمية الثانية قد أعانت على إحداث تغيير في الخط الفكري الذي يسير فيه الأدب ، وربما تكون أهم تلك الظروف هو« إحساس الجماهير بحاجتها إلى نوع جديد من الحياة »[4]، و قد شملت هذه الرغبة في التغيير الحياة السياسية والإقتصادية والفكرية على حد سواء . فظهر عقب انتهاء هذه الحرب أدب حقيقي واقعي، أصبح فيه الأديب سيدا مسيطرا على العالم لتوجيه ظواهره ، من أجل

---

[1] عبد العاطي شلبي ، فنون الأدب الحديث (بين الأدب الغربي والأدب العربي) ، المكتب الجامعي الحديث ، الأزارطة، إسكندرية ، 2005، الطبعة الأولى ، ص55.
كذلك : إسماعيل العربي ، من روائع الأدب العالمي الاتجاهات الأدبية الحديثة في إفريقيا و أوروبا وأسيا، (الجزء الأول) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، مطبعة أحمد زبانة ، الجزائر ، ص31-32.

[2] ينظر: محمد التو نجي ، الآداب المقارنة ، دار الجيل ، بيروت ، 1995 م ، الطبعة الأولى ، ص 235 .

[3] ينظر: حلمي علي مرزوق ، الرومانسية * الواقعية النقدية * الواقعية الاشتراكية أصولها الفنية والفلسفية والإيديولوجية ، مرجع سابق ، ص112.

[4] عبد العاطي شلبي ، فنون الأدب الحديث (بين الأدب الغربي والأدب العربي) ، مرجع سابق ، ص 57.

تغيير القيم الإجتماعية إلى ما هو أفضل ، وإيجاد مجتمع خير من المجتمع القائم . فيكشف الأديب بذلك عن مشكلات مجتمعه ، وعن طرق تحقيق العدالة فيه ، حيث يقوم بتصوير طرائق الجرائم والشر ، ويحاول البحث عن أسبابها . وهو بذلك يكشف عن جوهر السلبية التي تعوق التطور الإجتماعي . ويبدو لنا بأن ما سبق ذكره يميز معظم الأعمال الأدبية للكاتب الجزائري مولود فرعون ، الذي اعتبره الدارسون أول أديب جزائري في فترة الخمسينيات انتهاجا للمذهب الواقعي الإجتماعي ذلك في روايته " ابن الفقير " .

الأدب الروسي:

لقد ذكر روبلس ، بأن مولود فرعون كان يكن للكتاب الروس إعجابا كبيرا، ويعتقد الدارسون بأنه يشير بذلك إلى الروائيين الروس في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ربما لأن الجو العام للكتابات الروائية لمولود يعكس في رأي عايدة أديب بامية « المواقف الروسية إزاء المجتمع كالإهتمام بالشعب العامل ، و ببروليتاريا. وبمشاكلهم اليومية في نضالهم و كفاحهم من أجل البقاء والعيش »[1].

ورأينا أن نأخذ الكاتب الروسي أنطوان تشيخوف كأنموذج عن الكتّاب الروس الذين استطاعوا أن يؤثروا بكتاباتهم في حياة وفكر مولود فرعون ، الذي بدأ أول تجربة روائية له ، وهي رواية "ابن الفقير" ، بعبارة لهذا الكاتب الروسي الذي اكتسبت أعماله شهرة عالمية . فقد كتب تشيخوف[2] روائع القصص والأقاصيص والمسرحيات

[1] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، ترجمة : محمد صقر، مرجع سابق ، ص78.

[2] ولد **أنطوان بافلوفتش تشيخوف** في عام 1860، في مدينة تجانروج Taganrog ، من أب كان والده قنا ، استرد حريته عام 1841. لقد نشأ تشيخوف نشأة فيها الكثير من آلام الفقر والقسوة في بيت يضم خمسة أخوة وشقيقة . أفلس والده في عام 1876، فاضطر إلى الرحيل إلى موسكو ، مخلفا وراءه تشيخوف الذي لحق بعائلته إلى موسكو بعد ما أنهى دراسته ، كان ذلك سنة 1879، وفي نفس السنة بدأ بدراسة الطب . وفي عام 1884 نال الشهادة ، وكم كان أثر مهنة الطب بالغا في إنتاجه الأدبي . بدأ مسيرته الأدبية فكاهيا ينشر قصصه في الصحف ، وكان ذلك خلال سنوات دراسة للطب . أصيب بمرض ذات الرئة في سن مبكرة ، وتمكن هذا المرض منه ، حتى أودى بحياته في الثاني من شهر حزيران 1904، ودفن في موسكو .

أشهرها : "طائر النورس" "The Seagult" ، "الخال فانيا" "Uncle Vanya"[1] ، بالإضافة إلى عدة مجلدات منشورة من القصص القصيرة الفكاهية .[2]

كان مذهب تشيخوف مذهب الرفض والتفكه والسخرية ، فهو يرفض التشرد ويسخر من خلق النذالة ، بالإضافة إلى براعته في تصوير دناءة الحياة ، فالإنسان عنده هو محور الكون وعماد الحياة[3] . وبذلك يعتبر أدبه أدبا ذا نزعة إنسانية فهو يتناول الإنسان في كل جوانبه الخيرة والشريرة ، وتبدو لنا إنسانية أدب تشيخوف متوافقة مع النزعة الإنسانية التي ميزت موقف فرعون ، الذي ساعدت المثل العليا كالحرية وكرامة الإنسانية والإخلاص في تحديده .

وخلاصة القول أن مولود فرعون من ذوي الحساسية المفرطة ، لذلك كانت كل تجربة يمر بها تأثر في تركيبته النفسية تأثيرا بالغا . ومن هنا جاء تركيزنا على تكوينه الفكروي والمبادئ التي آمن ونادى بها . فأشرنا بذلك إلى نشأته وتعليمه في المدرسة الفرنسية ، وخاصة مدرسة المعلمين في بوزريعة ، التي تركت أثرا عميقا وواضحا في تكوين القالب الفكروي (الأيديولوجي) لهذا الكاتب ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى التأثير الذي أحدثته الصداقات المتينة التي كانت تربطه بكبار الكتاب الفرنسيين أمثال ايمانويل روبلس ، ألبير كامو وغيرهم ، والذين يعتبرون فرعون : الكاتب ، و المفكر والمثقف الذي قرأ كثيرا ، ومن كل الآداب العالمية ذات الصبغة الإنسانية . بالإضافة إلى التنقلات التي قام بها ومدى تأثيرها في رؤيته للآخر . كان هذا عن محاولتنا تقصي أهم مصادر التأثير الأجنبي في حياة مولود فرعون . فماذا عن مدى انعكاس هذه التأثيرات في أعماله الروائية ؟ وهل كان انعكاسها في هذه الأعمال متساويا أو بنسب متفاوتة ؟ ثم هل كانت هذه التأثيرات جلية أم يجب علينا فك الرموز من أجل إثباتها ؟

---

[1] ينظر: محمود سمرة ، أدباء معاصرون من الغرب، ، مرجع سابق ، ص229.

[2] ينظر: مصطفى الصاوي الجو يني ، في الأدب العالمي (الجزء الأول) ، الأدب المقارن– المسرح ، منشأة المعارف جلال حزي وشركاه ، مطبعة جابر ، 2002، ص 146.

[3] ينظر: حلمي علي مرزوق ، الرومانسية *الواقعية النقدية * الواقعية الاشتراكية الفنية والإيديولوجية، مرجع سابق، ص127–128.

الفصل الثالث

التأثيرات الأجنبية في روايات مولود فرعون

I- التأثير السياسي

II- تأثير التقدم الحضاري و البناء العمراني

III- أثر الآخر في رواياته

IV- التأثير الديني و الأيديولوجي

V- التأثير الأدبي و الفني

VI- تأثير التيار الواقعي

I/ التأثير السياسي:

كان النصف الأول من القرن العشرين فترة زمنية غنية بالأحداث السياسية لبلد تمكّن الإستعمار الفرنسي من احتلاله والسيطرة عليه بقوة السلاح والفكر، وكانت هذه الفترة بالذات هي الفترة التاريخية التي عايشها الكاتب مولود فرعون، الذي يعد من خريجي المدرسة الفرنسية في الجزائر، ومتشبّع بثقافة هي ليست ثقافته الأصلية. ثقافة فرنسية استطاعت أن تؤثر على كيانه ، وتغرس فيه مبادئ تتوافق مع أحلام ومطامح شاب يرزخ بلده تحت نير الإستعمار، ويعاني شعبه من مختلف الآفات الإجتماعية كالفقر والجوع والأميّة نتيجة سياسة عنصرية طبّقتها فرنسا في مستعمرتها الجزائر. إلا أنّ تعلمه في المدرسة الفرنسية ولّد لديه إحساسا بالعرفان تجاه فرنسا ، التي استطاع بفضل تعليمها أن ينجو من مصير محتم ، وهو أن يصبح راعيا فلاحا ككل أبناء قومه، و يتبين لنا هذا من خلال ما قاله مولود فرعون نفسه في يومياته عن معلمه الذي « (...) علمني باكرا أن فرنسا هي بلدي المتبنى (...) و هذا ما ولد لدي إحساسا (...) بالعرفان ، و أحببت فرنسا أكثر مما يحبها الفرنسي الصغير »[1] . إلاّ أنّه يبدو لنا بأنّ سياسة المستعمر الفرنسي في الجزائر والتي نلمح مظاهر تأثيرها في روايات هذا الكاتب كانت سببا في تغيّر موقفه هذا.

فهاهو مولود فرعون في روايته "الأرض والدم" يشير ضمنيا إلى سياسة التمييز العنصري التي تمارسها السلطات الفرنسية للتفرقة بين المهاجرين الجزائريين والفرنسيين، وذلك من خلال حديث الكاتب عن مقتل "رابح أوحموش" خال عامر أوقاسي إثر حادث أليم في منجم في شمال فرنسا ، إلاّ أنّ عامرا لم يتمكّن من الإدلاء بشهادته ، التي كانت ستكون ضد الأوروبي "أندري" ، هذا الأخير الذي دبّر لقتل رابح بدافع الإنتقام . فنصح القبائليون المهاجرون عامر بكتمان الحقيقة لأنّه لو« قال شيئا آخر لقبض عليه ، فما كان وزن شهادته أمام شهادة أندري ؟ نعلم جميعا كيف تجري الأمور عندما يتعلق الأمر بــ"العربي" ، يكفي أن تنظر لكيفية جريان التحقيق . فالكلّ كان متعجّلا لإنهائه (...) وقد برئ " أندري" منذ البداية "[2] وهذا إن دلّ على

---

[1] Mouloud Feraoun , Journal , o.p.c , P 118 .

[2] Mouloud Feraoun, la terre et le sang, Editions Talantikit, Bejaia, 2002, Algérie, p57.

شيء فإنما يدلّ على المعاملة السيئة التي كان يعامل بها الجزائريون في فرنسا ، هؤلاء الجزائريون الذين هاجروا إلى فرنسا وكلهم أمل بما يمكن تحقيقه من أرباح خيالية في بلد يسوده حق ديمقراطي يضمن حرية الأفراد .

ونلاحظ أن الكاتب في الرواية السابقة الذكر لا يذهب في هذا الموضوع أبعد من ذلك ، هذا ما نلمحه من خلال ما ذكره على لسان كمومة والدة عامر التي قالت «إن حسابي مع الفرنسيين الله وحده قادر على تسويته» [1] وكأنّ فرعون يشير إلى أنّ الله وحده كفيل بأن ينتقم للجزائريين المظلومين.

وبعد اندلاع حرب التحرير ، كشّرت فرنسا عن أنيابها ، وكشفت النقاب عن الوجه الحقيقي لسياستها الإستعمارية ، فبدأت المبادئ والشعارات التي كانت تنادي بها –وسعت إلى غرسها في نفوس الذين ارتادوا المدرسة الفرنسية– تتلاشى وتختفي.

وهكذا اصطدم فرعون بواقع مرير لا مكان فيه للعالم المثالي الذي رسمه في خياله. فتولّد لديه صراع داخلي عنيف بين محبته لفرنسا التي علمته المبادئ التي رسخت في فكره وكيانه ، وبين محبته لوطنه الأصلي الجزائر . وقد تجلّت مظاهر هذا الصراع النفسي في روايته الثالثة " الدروب الوعرة" من خلال بطلها "عامر نعامر" الذي ولد من زواج مختلط بين جزائري "عامر أوقاسي" وفرنسية "ماري" ، فكان نسبه المزدوج سببا في إحساسه بالتمزق : فهل هو جزائري نسبة إلى والده ؟ أم فرنسي نسبة إلى والدته ؟ ولكي ينهي هذا الصراع النفسي ، سافر إلى فرنسا لعلّه يجد الجوّ المناسب لكي يحقق أمنياته، بعيدا عن قريته " إغيل نزمان" ، التي لم يتمكن من التكيف مع ذويها المحافظين الرجعيين الحريصين على إتباع العادات القديمة ، والخضوع لها بدون أي نقاش. كما أنّهم يرون فيه الطفل المشاغب في هذه القرية ، ذلك لأنّه تلقى تعليما فرنسيا ، كما أن ثقافته فرنسية فهو "ابن الرومية" . إلاّ أنّ عامر نعامر لم يجد مكانه في فرنسا أيضا ، فاضطرّ للعودة إلى قريته «أنا أعرف أيّها الأغبياء أنّكم لا ترحّبون بي ، ولكن أين تريدونني أن أذهب ؟ هل تعتقدون أنّ أخوالي الفرنسيين يرحبون بي ؟ أنتم مخطئون ، اسألوا أولادكم، ممّن كان معي في فرنسا ، فسيخبرونكم عن سيرتي في بلاد أخوالي (...) هل رضيت ولو مرّة واحدة بالهوان ، وكيف كنت

---

[1] Mouloud Feraoun, la terre et le sang, o.p.c , p.134

أنال حظّي من السلطات ؟ وكيف كنت أقاسمهم المعيشة التعسة في الغرفة الحقيرة ولقمة العيش المرّة في باريس وغيرها من المدن» .[1]

نرى بأن فرعون يشير من خلال اعتراف عامر هذا إلى أن الفرنسيين لا يمارسون مع الجزائريين – كما يسمونهم باحتقار"Noraf" أو "Bicot" – سياسة التمييز العنصري بشكل واضح ، لكن ثمة إشارة إلى سياسة التهميش والإزدراء إزاء هؤلاء ، الذين ينتمي إليهم عامر نعامر ، الذي كان يعلم بأنّه ينتمي إلى فئة "المعذبين في الأرض" ، لكنّه لم يرض بتعاطف الفرنسيين المزيف تجاه هذه الفئة من الناس« ولتعلموا أيّها السادة بأنّنا نحن الشمال إفريقيين بشر كسائر الناس ، فلا تعتبرونا بينكم كالوباء الذي يجتاح فجأة مدينتكم الكبيرة . فالشمال إفريقيون لا يختلفون في شيء عن الإيطاليين أو سكان منطقة بورجونيا أو سويسرا. وهكذا فهمت أنّ الذين يتظاهرون بأنّهم يريدون لنا خيرًا يعتبروننا أحطّ خلق الله » .[2]

وهكذا تغيّرت نظرة عامر تجاه الغرب وقرّر العودة إلى وطنه ، بعد أن فشل في التكيف مع الفرنسيين الذين لم يقيموا له وزنا . فلاحظ خلال التفتيش الجمركي في الميناء أنّه لم تفتش أية حقيبة فرنسية ، في حين فتشت كل حقائب العرب ، إلاّ حقيبة عامر التي سلمت من التفتيش ، لأنّ الجمركي حسبه فرنسي ربّما لأنّ شكله وهيئته وإتقانه للغة الفرنسية تدلّ على أنه كذلك . و كم كانت صدمته قوية عندما علم أنّه اعتبر فرنسيا.[3]

فكان هذا التصرف العنصري الذي قام به هذا الجمركي الفرنسي في ميناء الجزائر ، بمثابة صفعة أزالت ما تبقى لديه من شكوك .

نرى بأن فرعون يشير من خلال هذه الحادثة ، إلى أنّه على الرغم من تعلمه تعليما فرنسيا ، وصداقته مع فرنسيين حقيقيين ، فهو لا ينتمي إلى فرنسا ، وإنما ينتمي إلى إخوانه الجزائريين الذين يعتزّ بهم ويفخر بانتمائه إليهم « نحن قوم نعتز بأنفسنا،

---

[1] Mouloud Feraoun, Les chemins qui montent , Edition Talantikit , Bejaia , 2003 , p108 .

[2] المصدر نفسه ، ص 110- 111.

[3] المصدر نفسه ، ص 113.

وهذا ما جعل أبناء بلادي في جميع العصور يفرون من السهول ، ويعتصمون بالجبال الشامخة (...) إنّنا نعتزّ بأنفسنا و نتمسك بحريتنا ولا نكترث بالبؤس والشقاء ». [1]

وتبدو لنا صعوبة تخلّي الكاتب الروائي عن محبته لفرنسا بلد العلوم والحضارة من خلال ما قاله على لسان عامر نعامر « كيف لي أن أنسى بين عشية وضحاها كل ما تعلمته في المدرسة مما أنجزته فرنسا من مشاريع في التربية والقضاء والتقدم العلمي والحضاري وغير ذلك من المظاهر التي جعلتني أعجب بتفوق فرنسا؟[2]»، إلاّ أنّ إعجابه الشديد بفرنسا قد زال فعلا ، وهذا ما نفهمه من خلال ما قاله على لسان عامر أيضا « إنّ أمّي أنانية ، إنّها لا تفكر إلاّ في نفسها » [3] ، نرى بأنّ الكاتب يقصد بكلمة "أمي" فرنسا ، التي ادّعت بأنّها دخلت إلى الجزائر لكي تنشر الحضارة وحب الإنسانية ، إلاّ أنّه اكتشف بأنّها بلد إمبريالي لا يفكر إلا في مصالحه الخاصة ، وأنّ المبادئ التي يدعو إليها ليست سوى شعارات ترددها لكي يسهل عليها جذب أصحاب النوايا الحسنة . فمن الصعب أن يتشبع الإنسان بأفكار مثالية وتصورات خيالية ثمّ ينكشف عنها النقاب، فيصدم هذا الأخير بواقع مرير ليس فيه مكان لمثل هذه الأفكار والتصورات . وهذا ما ذهبت إليه الباحثة عايدة أديب بامية عندما قالت بأنّ : « مفتاح هذا الصراع منطلق نظرية بسيط ، تطبقها السلطة المستعمرة على الشعب المغلوب ، وتتلخص في نشر مبادئ وعدم تطبيقها » [4] .

وقد كانت السياسة التي تبنتها فرنسا تجاه الجزائريين خلال سنوات حرب التحرير، سببا في حدوث صراع نفسي حاد أدّى بالضرورة إلى تشكّل الوعي الوطني عند الكاتب مولود فرعون ، وبذلك اكتشف بأنه لا يمكن أن يتخذ موقفا حياديا تجاه قضية شعب ينتمي إليه ، ووطن لا يمكن أن يحب سواه « أدركت أنّ لي وطنا ، وأنّني سأعتبر دائما أجنبيا في غيره من الأوطان » [5] .

---

[1] المصدر السابق ، ص 113

[2] Mouloud Feraoun, Les chemins qui montent, o.p.c ,111- 112.

[3] المصدر نفسه ، ص 97

[4] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925–1967، ترجمة : محمد صقر ،مرجع سابق، ص 113.

[5] Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent , o.p.c , P 112

يمكننا القول بأنّ الكاتب من خلال هذا القول يلمح إلى أنه اتّخذ موقفه تجاه السياسة الإستعمارية وقضية التحرير الوطنية واختار الإنضمام إلى صف المطالبين بحرية بلاده . وهذا ما ذهب إليه الباحث عبد الكبير الخطيبي الذي رأى بأن روايته " الدروب الوعرة" «تظهر المرارة ، ويتجلى الإقلاع عن الإيمان الساذج المستغل من الآخرين ... وبذلك فإنّ فرعون يسدد سهمه للنظام الإستعماري مباشرة . إنّه يسمي الشرّ ، ولكنّه لا يذهب إلى أبعد من ذلك ، ربّما بدافع الحيطة أو الواقعية » [1] . و يبدو لنا بأنّ فرعون لم يتمكن فعلا من الإفصاح عن موقفه علنا في هذه الرواية ، نظرا للضغوطات التي كانت تمارس عليه من قبل السلطات الفرنسية ، التي كانت تمنّ عليه أن علّمته، وكأنّه لم يبذل مجهودات جبارة لكي يصل إلى ما وصل إليه ، ويصنع له مكانة في وطن لا يملك من أمره شيئا . و يبدو لنا ذلك واضحا من خلال ما ذكره مولود فرعون في يومياته عن حوار دار بينه و بين ضابط فرنسي ، انتهى بتهديد سافر ألقى به هذا الأخير على وجه فرعون « (...) واقع أن لديك إصدارات في دار النشر لوسوي لا يغير شيئا (...) انتهى لم نعد نقبل بالحيادية . يجب عليك أن تقاوم المتمردين برضاك أو بالقوة (...) لقد قمت ببناء بيت من مدخراتك – بالمال الفرنسي بين قوسين – سوف ندمر هذا البيت الجديد (...) لديك مدرسة جميلة ، و شقة جميلة . قنبلة ! تفجرك أنت و أقاربك (...) ليس لدينا حاجة إلى تفجيرها : نطلق الرصاص ، تقع أنت ميتا (...) يستطيع أصدقاؤك أن يحزنوا عليك دائما »[2] و تعتبر هذه عينة من التهديدات التي كان يتلقاها فرعون على غرار كل الجزائريين .

[1] عبد الكبير خطيبي ، الرواية المغربية ، ترجمة : محمد برادة ، مرجع سابق ، ص59

[2] Mouloud Feraoun , Journal , o.p.c ,p 252 – 253

II/تأثير التقدم الحضاري و البناء العمراني :

1/ ابن الفقير :

إذا كانت السياسة الإستعمارية الفرنسية قد أخذت وقتا حتى تجلت مظاهر تأثيرها في روايات مولود فرعون ، فإنّنا نلمح مظاهر تأثير التقدم الحضاري و البناء العمراني الفرنسي إبتداءً من الرواية الأولى لهذا الكاتب .

فلا يخفي "فورولو منراد" بطل رواية "ابن الفقير" إعجابه وانبهاره بالمجتمع الفرنسي المتحضر مظهرًا وجوهرًا ، وكان ذلك بعد احتكاكه بهذا العالم الغربي بشكل مباشر إثر سفره إلى مدينة "تيزي وزو" من أجل مواصلة دراسته الثانوية ، لقد تذكر يوم وصل إلى المدينة على متن سيارة لأول مرة ، ودخل إلى المعهد ليجد نفسه وسط حشد من التلاميذ الجدد ، لم يعد يعرف نفسه وهو يرتدي بذلة أوروبية مع ربطة عنق مثل الآخرين ، واندهاشه لما رآه عندما دخل إلى القسم « هل له هو هذا القسم الكبير ذو النوافذ الواسعة ، وهذه الطاولات الجديدة اللاّمعة وهذه النظافة التي نخشى أن نوسّخ حتى من بعيد ؟ هل له هو ، هذه المرأة الجميلة التي تتكلم وتشرح وتسأل بلطف والتي تقول "أنتم" للكل ؟ هل هو في نهاية الأمر رفيق لكل هؤلاء الأولاد ذوي الملابس الجيدة، حسنوا التربية ، الّذين يبدون أذكياء ؟ يبدو له بأنّه دخيل في هذا المجتمع الجديد الذي يبهره » [1] ، فيشير الكاتب من خلال هذه الفقرة إلى المعاملة الطيبة التي عامل بها الفرنسيون فورولو وكأنّه لا يختلف عنهم .

لا يخفى علينا أنّ الرواية السابقة الذكر ، هي رواية "أوتوبيوغرافية" ، تروي السيرة الذاتية لمولود فرعون ، الذي أطلق على نفسه اسم "فورولو" ، وبما أنّ هذا الأخير يمثل في الحقيقة الكاتب نفسه ، يتبيّن لنا أنّ مولود فرعون قد انبهر بهذا المجتمع الجديد، والدليل على ذلك أنّه ما يزال يذكر تفاصيل اتصاله الأوّل بهذا الأخير.

أضف إلى ذلك إعجابه بما وصل إليه المجتمع الفرنسي من تقدم حضاري، فها هي إرسالية "لومبير" البروتستانتية ببنائها الجميل الراقي تستقبل الشاب القروي الخجول، الذي أصبح يقطن غرفة مزودة بكل وسائل الراحة كالكهرباء ، وطاولة مع

Mouloud Feraoun, Le fils du pauvre , Points , Paris , France, 1995, P134. [1]

كرسي، وسرير حقيقي . حتى أنه لا يصدّق ما يحدث له : هل هو حلم أم حقيقة ؟ إنّه في « مدينة حقيقية ، بها كثير من الفرنسيين ، عمارات شاهقة ، شوارع جميلة ، محلات حسنة، سيارات تسير وحدها ، إنها ليست تيزي ، كل شيء كان يبدو له جميلا، نظيفا، واسعا»[1]، وهكذا يتبين لنا أن الكاتب لم يخف إعجابه بالبناء العمراني الفرنسي في هذه المدينة التي قصدها من أجل إنهاء دراسته .

2/**<u>الأرض و الدم</u>** :

لقد أشار الكاتب إلى مظاهر تأثير المجتمع الفرنسي في نفس بطل رواية "الأرض و الدم" "عامر أوقاسي" الذي ينتمي إلى الجيل الأول من المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا، الّذين بدؤوا هجرتهم باتجاه فرنسا انطلاقا من العشرية الأولى للقرن العشرين، و التي يعتبر الوضع الشاق للعمال والفلاحين الجزائريين في بلادهم المستعمرة من أهمّ أسبابها .[2]

فيشير الكاتب إلى مدى تأثر عامر بهذا المجتمع الغربي الذي بلغ أعلى درجات التقدم الحضاري ، وذلك منذ وصوله إلى محطّة القطار بليون : « وجد نفسه تائها في حشود لا يمكن تصورها : أتون من الضوضاء ، و الجلبة . ضاع في الجماهير الزاخرة لمجتمع قد استيقظ بأكمله (...) في مخرج المحطة تقف قوافل لا حصر لها من عربات الكراء ، والعربات اليدوية ، والسيارات على مختلف أنواعها ، وحتى الحافلات ! » [3]، ثم استقل هو ومرافقيه قطار الأنفاق باتجاه مدينة باريس ، وكم كان إعجابهم كبيرا بشوارعها الواسعة ، وطرقاتها المعبدة لتسهيل حركة المرور ، أضف إلى ذلك بناؤها العمراني الغربي ، الذي يختلف كلية عن ما تعودوا عليه في قراهم ، ويشير فرعون إلى ذلك على لسان عامر الذي قال عن « مرافقيه الذين يظهر عليهم أنّهم يشاركونه نفس توعكه وحيرته . ثم انتحوا زقاقا أقل حركة ، وصعدوا طرقا صغيرة ، وانحنوا مرة أخرى نحو ملتقيات أخرى ، ثم توقفوا أخيرا أمام نزل قديم

---

[1] Mouloud Feraoun, Le fils du pauvre , o.p.c , P 115 .

[2] لمزيد من المعلومات حول موضوع هجرة الجزائريين إلى فرنسا راجع : عمار بوحوش ، العمّال الجزائريون في فرنسا، دراسة تحليلية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979، الطبعة الثانية ، ص: 134-139.

[3] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 45-44

ضيق وشاهق ، فدخلوا فيه . شاهد عامر في قاعة الطابق الأرضي منه، والذي كان مقهى في نفس الوقت بعض الأفراد من إغيل نزمان (...) وقد كانت إقامته في باريس قصيرة جدّا (...) ثم تابع هو ومرافقيه إلى مناجم الشمال» [1]، وبمجرد وصوله انضمّ إلى أبناء بلده في منطقة أصبحت وكأنها مستعمرة كاملة من القبائليين ، الذين كانوا «يقطنون في طريق مستقيمة تماما ، وبجوانبها منازل من القرميد كلّها متشابها ، وداكنة ، وحزينة ولكنّها تبدو ضخمة جدًّا في عيني القبائلي الصغير ، ولديهم غرفة في الطابق الأول: وهي غرفة طويلة دخناء السقف بها نافذة في أعلى الجدار المثلث الملاصق للسطح وأخرى تطلّ على الواجهة».[2]

3/ **الدروب الوعرة** :

ونتقل إلى تقصي مظاهر تأثير التقدم الحضاري و البناء العمراني الفرنسي في رواية "الدروب الوعرة" ، التي تعتبر امتدادًا لرواية "الأرض والدم" ، حيث يمثل بطلها "عامر نعامر" الجيل الثاني من المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا ، هذا الجيل الذي جعلته الحرب العالمية الثانية يعرف تحولات هائلة في نمط التفكير وطابع تمثل العالم ، أضف إلى ذلك تغير النفسية الإجتماعية للمهاجرين ، الذين أصبحوا يعتبرون الهجرة أمرًا عاديا من أجل تحقيق الكسب السهل في فرنسا .

وهذا ما يشير إليه الكاتب من خلال بطل الرواية الذي كان هدفه من الهجرة هو تحسين وضعيته الإجتماعية ، كأن يمتلك منزلا يكون مزودًا بـــ « صنابير المياه وأسرّة للنوم ، وصحون للأكل وأدوية للمعالجة » [3]، ولم يكن عامر وحيدًا في آماله وتطلعاته هذه، فقد أشار مولود فرعون إلى أن هذا التأثر بالقيم الدخيلة يبدو جليا عند سكان قرية " آيت واضو" ــ وهي قرية تمكّن الآباء البيض من تنصير أغلب سكانهاــ الذين يظهرون ميلا للإدارة الفرنسية ، وإعجابا شديدًا بمساعدة الآباء البيض، الذين قدموا لهم الدعم اللاّزم من أجل الحصول على وظائف مختلفة ، وكان لاتّصالهم

[1] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , p 45 .

[2] المصدر نفسه ، ص 47 .

[3] Mouloud Feraoun, Les chemins qui montent,o.p.c.,p 34

المباشر بالفرنسيين عميق الأثر في تغيير أحوال معيشتهم في مجتمعهم « حتى صاروا يتشبّهون بالفرنسيين، ويعتقدون بأنهم مثلهم في المنزلة (...) وهذا ما دعا الشبّان من الجيل الجديد إلى تقليد الفرنسيين في كل شيء » [1] ، فكان أمرًا طبيعيا أن يقلّدوا هؤلاء الأجانب ويشتبّهوا بهم قلبا وقالبا .

لقد أشار فرعون إلى أن عامرًا عندما هاجر إلى فرنسا ، أحس بانبهار عنيد نحو هذا العالم الغربي المتفوق حضاريا وعلميا ، الذي يختلف كليا عن العالم التقليدي الذي قدم منه ، الذي يقول عنه بأنه مجتمع تقيده « مجموعة من التقاليد والشعائر والتعاليم التي ترغب في سجني ضمن قيود متشابكة» [2]

وهاهو يقر بتحطيم كل القيود الإجتماعية التي طالما عانى منها في مجتمعه الأصلي، فكل المحرمات مباحة في المجتمع الفرنسي : من أكل رمضان ، وشرب للخمر، وأكل لحم الخنزير ، لقد تحرر هو وأبناء قريته من كل القيود المفروضة ، إلاّ من شيء واحد وهو حقد الفرنسيين لهم . [3] ونلمح ضمنيا بأنّ دراسة عامر في المدرسة الفرنسية ، ووعيه الفكري وانحيازه الثقافي الغربي ، أضف إلى ذلك نسبه الفرنسي كونه "ابن الرومية" ، إلى جانب اطلاعه على الجريدتين : "الجزائر المستقلة ، التآخي بين الأجناس"[4]، كلها أسباب منحته البعد الضروري لإعادة تقييم تراثه الخاص جاعلة منه غير قادر على قبول أي قيد .

وعلى ضوء ما سبق ذكره ، نلمح هذا الكم الهائل من الأوصاف للأماكن والبناء العمراني ، وذكر لأسماء المدن والشوارع الفرنسية المختلفة ، أضف إلى ذلك الحديث عن وسائل النقل المتنوعة وشبكات الطرق المعبدة ، وغيرها من مظاهر المجتمع الفرنسي المتحضر ، والمتفتح علميا وثقافيا ، هذه المظاهر التي استطاعت أن

---

[1] Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent , o.p.c , P 21-22 .

[2] المصدر نفسه ، ص 111

[3] لمزيد من المعلومات ينظر: المصدر نفسه ، ص111 .

[4] ينظر : المصدر نفسه ، ص 185 .

تؤثر في المهاجر الجزائري ، نتيجة احتكاكه المباشر بها ، ومحاولته التأقلم في هذا المجتمع الغربي عن طريق تقليد الأجنبي مظهرًا وجوهرًا .

ونرى بأن مظاهر تأثير التقدم الحضاري و البناء العمراني في الأهلي الجزائري، هي في الحقيقة ناتجة عن تجربة شخصية للكاتب مولود فرعون نفسه ، الذي ــ كما سبق وذكرنا في الفصل الثاني ــ قام بعدة أسفار إلى فرنسا سواء لقضاء عطلة أو لظروف خاصة متعلقة بعمله ، وقد ذكر في رسالة بعث بها إلى عائلة نوؤال بتاريخ 29 أفريل 1951 بأنه يريد أن يسافر إلى شمال فرنسا ، لكي يرى معيشة عمال المناجم القبائليين هناك ، وذلك لأنّه يكتب رواية بطلها هو قبائلي يعمل في مناجم الشمال ، بالإضافة إلى أن قسما من أحداث هذه الرواية تحدث في هذه المنطقة[1] ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنه اتصل بالأشخاص والأماكن اتصالا مباشرا ، كان من نتائجه تأثر فرعون بمظاهر الحياة الإجتماعية الفرنسية وتقدمها الحضاري والعمراني ، فانعكست مظاهر هذا التأثير في أعماله الروائية ، أضف إلى ذلك إعجابه الكبير بطبيعة فرنسا الخلابة ، التي أشاد بها على لسان الراوي « إنّ جميع عصافير فرنسا متشابهة ، وتيجان أزهارها ذات ألوان زاهية ، ومزروعة بحب ، ومرصوفة بطريقة فنية ، واخضرارها من الأشجار المشذبة هندسيا ، ومن مربعات البقول المزروعة بعناية ، وغاباتها كثيفة مرصعة بطرق مزفتة ...» . [2]

III/ <u>أثر الأجنبي</u> :

1 /<u>أثر الرجل الفرنسي</u>:

أ/ **<u>المعلم</u>** :

يبدو لنا إعجاب مولود فرعون الكبير بمعلميه الّذين يلبسون البذلة الفرنسية ، من خلال ما قاله على لسان بطل الرواية فورولو «لقد بدا لي ذلك اللباس مدة طويلة في منتهى الذوق والأناقة والترف » [3].و هكذا يتبين لنا الأثر الذي تركه المعلمون في نفس الروائي .

---

[1] Mouloud Feraoun, Lettres à ses amis , o.p.c , P 57.

[2] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 36-37.

[3] Mouloud Feraoun, Le fils du pauvre , o.p.c , P 58 .

ب/ **رجل الدين** :

و لم يخف الكاتب إعجابه الشديد بشخص الإرسالي " لومبير" الذي فتح إرساليته لاستقبال القرويين من أمثال فورولو الذي قال عنه بأنه رجل « يثير الإعجاب، قامته الطويلة منحنية شيئا ما ، مشيته صلبة مثل مشية ضابط ، لحيته الطويلة التي تزين وجهه الجميل توحي باحترام ممزوج بخشية (...) عندما ينظر إليك بعينيه المملوءتين بالصراحة ، والحنان ، والسذاجة ، فإنّ الإحترام يتحول إلى ثقة تامة، إنه يستحوذ عليك ببساطة ، يمتلك بأمان حق وسلطة توجيهك ، وأنت تتركه يفعل ذلك بكل سرور (...) إنه في نفس الوقت معلم قاسي ، وأب منتبه ، ورفيق ألعاب لكل المحرومين الذين يسكنون عنده » [1] ، فكان هذا الأثر الطيب الذي تركه رجل الدين الفرنسي في نفس الكاتب الذي لم يبخل بإظهار مظاهر هذا التأثير في عمله الروائي الأول .

لقد أشار الكاتب في رواية "الأرض و الدم" إلى أن "عامر أو قاسي" قد أعجب بسكان الشمال الفرنسي ، حيث ربطته علاقات صداقة متينة مع بعضهم ، و لاحتكاكه المباشر بهم تطبّع بطباعهم وعاداتهم الإجتماعية « فقد كان يستأنس برجال الشمال، فكان يتقاسم معهم جعاتهم ، ولمجاتهم ، ويتكلم بلهجتهم ، وكان يجدهم سذّجا وطيبين».[2] إلاّ أنه لم يستقر لمدة طويلة هناك ، وعاش متنقلا بين مدن فرنسا الصناعية، حيث عمل في أكثر من عشر شركات ، إلى أن « قرّر سنة 1922 تحديدا أن يستقر في بارباس : 97 شارع ميرا ، وذلك لدى السيدة غاريت (...) وكان للسيدة غاريت نزل بأربع وعشرون مفتاحا ».[3]

إلا أنه يشير في رواية "الدروب الوعرة" إلى أن "عامر نعامر" سرعان ما اكتشف بأن أخواله الفرنسيين الذين أراد أن ينصهر فيهم ، لا يقبلون بضمه إلى

[1] Mouloud Feraoun, Le fils du pauvre , o.p.c , P 134 – 135 .

[2] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P49 .

[3] المصدر السابق ، ص 60 .

صفوفهم لاختلافه المتباين ، فتفطن إلى أنه مهما فعل يبقى في نظرهم واحدا من الأهالي الجزائريين الذين يمثلون الدرك الأسفل في المجتمع الفرنسي ، وكم كان وقع الصدمة عليه عنيفا بعدما خابت آماله في إقامة علاقات أخوية بين البلدين ، فكان ذلك سببا في تغيّر نظرته تجاه الفرنسيين . وكان فشله في التكيّف مع المجتمع الفرنسي الذي نبذه سببا في عودته إلى وطنه . وإثر عودته إلى قريته فوجئ ببرودة الترحيب الذي لقيه من أبنائها الذين لم تتغير نظرتهم له ، فهو ما يزال في نظرهم ذلك الشخص الذي شذّ عن القاعدة بخروجه عن القواعد الأخلاقية ، وذلك بعدم مبالاته بتقاليدهم وعاداتهم التي يريدونه أن يخضع لها . هذه المقدسات التي قال عنها « لا أزال أعتقد بأننا سجناء عاداتنا وتقاليدنا، وأن الجهل قد أعمى بصائرنا وأن بعض الأشرار من الناس يستغلون هذا الوضع لفائدتهم الخاصة ».[1]

فكان تمرده العلني سببا في اعتباره خطرًا على العرف الإجتماعي ، إنه الصراع الدائم بين القديم والجديد ،[2] فكيف يمكن لعامر أن يتوقّع من ذويه أن يرضوا بتغيير هذا النظام القديم الذي تعودوا عليه ، وتوارثوه جيلا عن جيل . وهذا ما ذهبت إليه الباحثة عايدة أديب بامية التي قالت بأن المجتمع في الجزائر المستعمرة كان « تقليديا في أنماطه التي تقوم على مبادئ مغرقة في قدمها ، ترجع بعض الحالات إلى النظام القبلي القديم » .[3]

وهكذا أصبح الصراع النفسي روتين عامر اليومي ، هذا الصراع الداخلي الذي نتج عن إحساسه بالتمزق لولائه لمجتمعين مختلفين : مجتمع فرنسي متقدم حضاريا وعلميا رفضه ، ومجتمع تقليدي منغلق على نفسه لم يستطع تقبل أفكاره المناهضة للعرف الإجتماعي القبائلي . أضف إلى ذلك عجزه على إيجاد مكان له في هذين المجتمعين .[4]

ونرى بأن مولود فرعون يشير من خلال هذا الصراع الداخلي إلى عملية تشكل الوعي الوطني لدى الجزائريين في فترة الخمسينيات ، أي الفترة التي شهدت

---

[1] Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent , o.p.c , 180 .

[2] للمزيد من المعلومات راجع : إسماعيل حاجم ، الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2007.

[3] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925– 1967، مرجع سابق ، ص 113.

[4] ينظر: Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent , o.p.c, P 137

بداية الثورة التحريرية المجيدة التي كان هدفها الأسمى هو تحقيق النصر و نيل الحرية والإستقلال.

2/ أثر المرأة الفرنسية :

أ/ الزوجة :

ننتقل الآن إلى رواية فرعون الثانية "الأرض والدم" ، التي تبتدئ بعودة "عامر أوقاسي" إلى قرية "إغيل نزمان" رفقة زوجته الفرنسية "ماري" ، التي سببت نوعا من الإثارة لدى سكان هذه القرية الجبلية ، الذّين لم يتعودوا على رؤية الأجنبيات في منطقة القبائل ، لذلك أطلقوا عليها اسم "مدام" .

لم ينكر مولود فرعون أنّ شخصية "مدام" هي شخصية حقيقية ، كان ذلك في رسالة بعث بها إلى السيدة "لاندي بينوس" ، بتاريخ 4 فبراير 1955 قال : « أنا أعرف سيدة وفدت إلينا من فرنسا في العشرينيات ، ولا تزال عندنا ، ولكنها فقدت زوجها منذ فترة طويلة . ومن هنا نشأت عندي فكرة كتابة هذه الرواية» [1] وهذا الإعتراف إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن هذه المرأة الفرنسية قد أثّرت في كاتبنا ، كما أثّرت في كل أهالي القرية التي وفدت إليها ، فكيف يمكن لهؤلاء أن يتصوروا أن فرنسية من باريس يمكنها أن تعيش حبيسة في قرية قبائلية جبلية ؟[2] وذلك لأن الأهالي القبائليين يعرفون مسبقا من هي الفرنسية ، إنها من عالم آخر ، عالم مختلف كليا عن عالمهم ، كما أنها ليست من سلالتهم ، ولا تتكلم لغتهم ، لها نسق حياتي خاص بها تماما ، نسق يصنفها في مرتبة أخرى ، فضلا عن هيئتها وهندامها ، فإن كانت تعتبر نفسها أعلى منهم قدرا ، فهذا شأنها.[3]

---

[1]. Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , P 111

[2] ينظر: Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 3

[3] ينظر: المصدر السابق ، ص 29-28 .

كما يشير الكاتب إلى أن طريقة معاملتها تختلف عن معاملة القبائليين بعضهم لبعض، إذ « يجب السير باستقامة مع المرأة الفرنسية» [1] هذه الأجنبية التي « كانت تعلم بأن كونها فرنسية يجعلها محترمة ومصونة» .[2]

وقد أشار فرعون إلى أن السبب الذي جعل هذه الفرنسية ترضى بالحياة الخشنة في هذه البيئة المقفلة هو أن حالها في فرنسا لم يكن بأحسن من حالها في قرية "إغيل نزمان" ، فقد تعذبت كثيرا قبل أن تلتقي عامرًا ، وترحل معه إلى قريته ، ففوجئت بالتغيير الجذري الذي حصل . ذلك لأنّ « ما تغير هو مجتمع بأكمله : إنسانية قوية مستخفة ومحتقرة لا يكن لها أي حب ، ولا وزن لها فيها إلاّ بكونها نفاية ، وخادمة (...) فجأة تجد عالما يرفعونها فيه إلى المقام الأول (...) انتهى عهد الإذلال ! إنها ترى نفسها جميلة جدًّا وسط هؤلاء الفلاّحات» [3] يشير الكاتب إلى الحالة الإجتماعية المزرية التي يكون عليها الفرنسيون في فرنسا ، وعندما يستقر بهم المقام في الجزائر المستعمرة يصيرون من صفوة المجتمع ، ويرسل بالأهالي الجزائريين إلى الدرك الأسفل .

إلاّ أن الباحثة سعاد محمد خضر ، ترى أنّ فرعون عندما تعرّض لوصف جوانب حياة هذه المرأة الأجنبية،وعن الأثر الذي تركته في المجتمع القبائلي كان «يعطف عليها كثيرا ويحبها ويقدر موقفها (...) والكاتب يعترف ضمنا بحبه للفرنسية الأكثر تفهما ورزانة وخصبا من الجزائر الجاهلة» [4]. نرى بأن الباحثة قد تحاملت قليلا على الكاتب مولود فرعون ، الذي نعلم مدى حبه وتعلّقه بالمرأة القبائلية الجزائرية وهذا ما نلمحه من خلال أعماله الروائية ، أما عن الموقف الذي اتخذه إلى جانب الفرنسية ، فكان نتيجة طبيعية للنظرة التي رسخت في نفسه عن الفرنسيين ، تلك الرؤية التي ساهم في تكوينها احتكاكه المباشر بكبار الأدباء الفرنسيين أمثال : إيمانويل

---

[1] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 30

[2] المصدر نفسه ، ص 30 .

[3] المصدر نفسه ، ص 39

[4] سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، مرجع سابق ، ص 187-188 .

روبلس و ألبير كامو وعائلتيهما، أضف إلى ذلك معلميه وأساتذته الفرنسيين ، وزملائه في العمل والدراسة .

وهكذا استطاع الكاتب أن يبين لنا الأثر الذي تركته الفرنسية في المجتمع القبائلي القروي .

ب/ <u>صاحبة الفندق</u>:

وردت في هذه الرواية إشارة إلى المرأة الفرنسية صاحبة الفندق ، فهذه "إيفون " صاحبة مطعم و فندق بفرنسا أغلب زبائنها من المغاربة . و هي امرأة « بيضاء قوية ، ذات ضحكة مرتفعة إلا أنها تعرف كيف تغضب و كيف تخضع معظم سكانها البخلاء أو قليلي الأدب (...) لقد كانت صديقة رابح . ومنذ مدة طويلة . غير أن رابح كان يتستر و اتخذ الإثنان سلوكا فارا ، بينما كانت إيفون تسمح للآخرين بالمزاح أو بحركة مشبوهة أو حتى بلمسة »[1] و هكذا تتبين لنا شخصية إيفون المرحة و القوية ، و التي تعرف متى تمزح مع زبائنها ، و متى تتجبر ، و متى تغضب . كما أنها تمكنت من إخفاء علاقتها مع رابح عن زوجها "أندري" و عن كل الناس . و هي متعلقة به ، حتى أنها لم تتخل عنه بعد زواجها .وعندما اكتشف هذا الأخير علاقتها برابح لم تخف و وقفت في وجهه و طردته من بيتها فهي لا تخاف من أحد [2].

أما السيدة "غاري" التي أقام بفندقها بطل الرواية عامر ، فهي امرأة « ترتدي السواد ، قصيرة ممتلئة و لكنها نزقة وسريعة »[3]. لقد استقبلت عامر بحفاوة لأنه كان يقيم و يعمل في قرية في شمال فرنسا ، كانت تقطنها هي أيضا . وبعد أن تأكدت من صدق نواياه ساعدته في العثور على ماري التي كان يشك بأنها ابنة خاله "رابح". [4]

---

[1] Mouloud Feraoun, La terre et le sang, o.p.c , P 50 .

[2] المصدر نفسه ، ص ، ص 58 .

[3] المصدر نفسه ، ص 61 .

[4] المصدر نفسه ، ص 63 .

وهكذا يتبين لنا بأن شخصية هذه السيدة تمتاز بطبع حاد اندفاعي ، إلا أنها لا تقوم بأي عمل حتى تتأكد من حسن نوايا الأشخاص الذين تتعامل معهم .

III / التأثير الديني والأيديولوجي:

الكاتب مولود فرعون هو أحد خريجي المدرسة الفرنسية في الجزائر ، تمكن بفضل اجتهاده ومثابرته من إنهاء دراسته الإبتدائية والتكميلية ، ثم تخرج من مدرسة المعلمين ببوزريعة ، هذه الأخيرة التي استطاعت أيديولوجيتها المستمدة أساسا من النظريات التي أتى بها رجال المدرسة العمومية الفرنسية في عهد الجمهورية الثالثة ،[1] أن تترك في نفس فرعون أثرا لا يمحى ، مساهمة بذلك في بلورة القالب الأيديولوجي لهذا الكاتب .

وهكذا كانت أهم المبادئ التي أمن بها فرعون : العلمنة ، والمساواة والإندماج وكذا مبدأ التشكك . فهل ألقت هذه المبادئ بظلالها على أعماله الروائية ؟

1/ العلمنة :

يبدو لنا بأن فرعون لم يكن يهتم لا بالدين ولا السياسة ، وذلك لتبنيه لمبدأ العلمنة الذي يدعوا إلى فصل الدين عن التعليم والسياسة . فنجد أن أعماله الروائية تحوي بعض الصفحات الدالة على ابتعاده الصريح عن الإسلام ، وذكر الباحث مصطفى الأشرف في هذا الصدد بأن حديث مولود فرعون عن الدين الإسلامي هو ترجمة لأراء الفرنسي المقيم في فرنسا تجاه الإسلام ،[2] وهو بذلك يشير إلى أن فرعون تأثر برؤية الفرنسي للدين الإسلامي .

---

[1] تسمية الجمهورية الثالثة أطلقت على النظام السياسي الفرنسي ، الذي امتد عهده ابتداءً من 4 سبتمبر 1870، وانتهى في 10 يوليه 1940، عندما سقطت باريس في قبضة الإحتلال الألماني النازي، حيث تم تنصيب الجنرال بيتان رئيسا للحكومة الفرنسية الجديدة الموالية لألمانيا التي عرفت باسم حكومة فيشي .و لقد اتسمت سنوات الجمهورية الفرنسية الثالثة بالإضطرابات السياسية المستمرة وتعاقب الحكومات .

[2] ينظر : Mostafa Lachraf, Littérature de combat Essais d’introduction : étude et préface, o.p.c, P 88

لقد جاء في رواية ابن الفقير على لسان الراوي « المساجد حسب الظاهر لها أهمية أقل من نادي الجماعة[1] (...) الشيوخ الذين يتجهون لإقامة الصلاة فيها يبدون وكأنهم ينتمون إلى عصر بائد » [2] ويشير الكاتب من خلال هذه الفقرة ، إلى أنه يفضّل نادي الجماعة على المساجد ، التي لا يقصدها إلاّ الشيوخ ، الذين لا يفعلون شيئاً لتغيير واقعهم المرير وذلك لإيمانهم الشديد بالقدرية أو كما يعرف عندهم "بالمكتوب" ، الذي يقول عنه الراوي في رواية "الأرض والدم" : « يمكننا دائما أن نستند إلى القدرية السّاذجة وهي أن الضعفاء يخفّف عنهم لاعتقادهم بأن هناك إله قوي ينصفهم من الجبابرة ، مؤكد فعلا أن يهزأ من بساطتنا » [3]، فنلمح ضمنيا بأن تمسك القبائليين بالمساجد يبقيهم يدورون في فلك حلقة مغلقة من المعتقدات والشعائر والطقوس القديمة، التي لم يعد لها أهمية في عصر النهضة الفكرية والعلمية والحضارية .

وها هو يبدي في رواية "ابن الفقير" عدم اكتراثه بما قدمته أمه من قرابين إلى ضريح الولي الصالح ، وذلك إثر إعادة المنحة الدراسية إلى ابنها فورولو ، حيث كتب يقول أنه كان « يعلم جيدًا أن القربان لا يمكن له أن يؤثر على مصيره» [4]، وهذا كما نعلم صحيح ، إلا أن سكان القبائل في تلك الفترة الزمنية الحرجة كانوا يعتقدون بأنهم إذا قدموا قرابين إلى القبة التي تمثّل الضّريح الذي يؤوي قبر أحد الأولياء الصالحين أو المرابطين ، فإن هذا الولي سوف يرضى عنهم ويعطيهم من فضله ، فرضى الله من رضى الولي الصالح ، وعوض ذلك كان عليهم أن يتقربوا إلى الله بالدعاء والعبادات وتقديم الصدقات .

وهكذا يتبيّن لنا بأن رؤية سكان القرى القبائلية للدين الإسلامي ، ربما كانت هي التي مهدت الأرضية لكي يتأثّر فرعون بالرؤية الفرنسية لهذا الدين . فقد كان هؤلاء القبائليون متمسكين بتقاليد وطقوس لها جذور عميقة راسخة مما جعلها لا تخضع حتى للشريعة الإسلامية .[5] فينظر في هذا المجتمع القبائلي التقليدي لفرائض الإسلام

---

[1] "الجماعة" تنطق باللهجة الأمازيغية "ثاجماعيث" ، المقصود بها هو النادي الذي يجتمع فيه كل أهل القرية .

[2] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre , o.p.c , P 14 .

[3] Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P 98 .

[4] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre , o.p.c , P 144 .

[5] ينظر : عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925–1967، مرجع سابق ، ص113

على أنها فرائض روتينية ــ يومية كالصلاة ، أو سنوية كالصوم والزكاة ــ يجب على الفرد القبائلي المسلم تأديتها .

ويرى مولود فرعون في شهر رمضان الذي يمثل صيامه الركن الرابع من أركان الإسلام ، شهر عذاب وبؤس في قرية إغيل نزمان « فرض محمد على أتباعه صوما متواصلا ليجعلهم يحسون بآلام الجوع . وفي آخر المطاف ، فإن النتيجة ليست جيدة ، لأن الصائم يعيش طيلة يومه في انتظار ما سيأكله في المساء . يشحذ شهيته ، ويهيّج حنكه وحاسّة شمّه ، فيسعد لجوعه » [1] ، فنلمح ضمنيا من هذه الفقرة بأن رمضان لا يعني شيئا لأنه لا يعلّم الناس شيئا ، فهم لا يهتمون فيه سوى بسدّ جوعهم في نهاية اليوم الذي قاموا بصيامه . وفي نهاية المطاف لا يمكن للغني الصائم أن يحس بما يعانيه الفقير الذي لا يملك على مدار العام قوت يومه . وهكذا يختفي المغزى الروحي من صيام شهر رمضان شهر التوبة والغفران ، الذي لا يختلف فيه الغني عن الفقير سوى بتقوى الله .

كما يشير فرعون إلى تقديس سكان القرى القبائلية للمرابطين الذين كتب يقول عنهم: « رجال دين وبركة . يوجدون فعلا في مكانهم في هذه الطبيعة المستقرة والصخور الرمادية، والخضرة المرضية . هنا تتم كتابة كل أنواع التمائم والرقية ويتم التضرّع إلى الموتى » [2]، ونلمح ضمنيا بأن هؤلاء المرابطين يتخفّون تحت غطاء الدين الإسلامي، لكي يتسنّى لهم القيام بكل أنواع الطقوس والشعائر من تنجيم وشعوذة واستحضار أرواح الموتى ، من أجل نيل الجاه والمال من الأهالي القبائليين البسطاء .

ونرى بأن إعراض فرعون عن المقدّسات ، لا يخصّ ديانة بني قومه وحدها ، ولكن عدم مبالاته بالدين تنطبق على أي دين آخر ، كما نرى بأن موقفه هذا كان حتى قبل أن يدخل إلى مدرسة المعلمين ، وهذا ما نلمحه من خلال الفقرة التالية من روايته "ابن الفقير" عندما تحدث على لسان بطل الرواية فورولو عن محاولة

---

[1] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 14 .

[2] المصدر نفسه ، ص 75 .

تنصيره على يد الإرسالي "لومبير" في مدينة تيزي وزو ، حيث كان معبد الإرسالية يستهويه هو وصديقه عزيز فكانا « أثناء اجتماعات المساء في قاعة العبادة كانا يذهبان بانتظام لتلاوة بعض الآيات من التوراة كجميع الحاضرين ، يغنيان التراتيل الكنائسية بكل عناية، يسمعان باحترام شروح المرشد ، ثم يعودان إلى غرفتهما لاستئناف عملهما المتوقف بدون تردد . لم يرهما أحد أبدًا يطلبان توضيحا عن آية من الآيات ، ولا يذهبان إلى القاعة لطلب شروح عن هذه النقطة أو تلك في الدين أو طلبا من القسيس أن يدعو لهما (...) وكان يحس أن هذين الولدين قد أفلتا منه »[1]، وعلى الرغم من أن فرعون يشير من خلال هذه الفقرة إلى أنه لم يولي أي اهتمام للدين المسيحي ، وبأن كل اهتمامه كان منصبًّا على طلب العلم ومحاولة مواكبة ركب التطور الفكري والعلمي ، وذلك لإيمانه الشديد بأن العلم هو مصدر سعادة كل إنسان ، إلا أننا نلمح بأن تلك الدروس والمواعظ التي كان يحضرها قد تركت أثرًا في نفسه ، وقد انعكس تأثيرها في إعماله الروائية .

فها هو في الرواية السابقة الذكر يشبه خالته المجنونة بقديسة من قديسات الأساطير المسيحية ، وهي حية تلتحق بأختها المحبوبة بوسائل أرضية وكأنها تبدل مكان إقامتها[2] . إلا أنه يشير إلى إن الناس العقلاء لا يمكنهم أن يصدقوا هذه الخرافات.

كما نلمح تأثير الدين المسيحي في رواية "الأرض والدم" ، عندما يتحدث راوي الرواية عن البؤس والجوع عند فقراء قرية "إغيل نزمان" ، الذين يرون بأن الجوع شبح لا يؤذي « ولعل عيسى كان يرمي إلى هذا عندما اقترح على الرجل الغني أن يتجرّد من أمواله بكل وعي ونزاهة ضمير ليتعرّف على ذلك الشبح ؟ »[3]. ويبدو لنا من خلال توظيفه لهذه القصة عن النبي عيسى عليه السلام ، بأن فرعون مطلع ولو قليلا على بعض تعاليم الدين المسيحي . ولعل إطلاعه هذا يعود إلى سنوات دراسته في المدرسة التكميلية في تيزي وزو.

---

[1] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre , o.p.c , P 138 .

[2] المصدر نفسه ، ص 101

[3] Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P 14 .

ويشير مولود فرعون في روايته "الدروب الوعرة" إلى أن ما ساعد على نجاح الحركة التبشيرية النشيطة ، التي تنصرت بسببها بطلة روايته "ذهبية" هو أسلوب التعامل والإستدراج والترغيب ، الذي لجأ إليه الآباء البيض من أجل التأثير على سكان المنطقة ، حتى صار شباب قرية آيت واضو يقلّدون الفرنسيين في كل شيء حتى « الحواجز التقليدية بين الرجال والنساء وبين الكبار والصغار لا تلبث أن تزول في معبد الإله . وإذا كان بعض الشبّان يغتنمون الفرصة لمغازلة البنات ، فإن هذا الأمر يحدث بمعرفة الخوري ورضاه ، وكأنه بذلك يريد أن يشعر المسيحيين أن الله قد خصهم دون سائر المسلمين من أهالي القرية بامتياز المغازلة والحب »[1] ، فكانت هذه الإمتيازات التي يمنحها لهم الدين المسيحي المنفتح : يحل لهم ما حرمه عليهم الدين الإسلامي والعرف القبائلي .

كما يشير الكاتب إلى أن هؤلاء المتنصرين ليسوا مخلصين في اعتقادهم وذلك على لسان بطلة الرواية "ذهبية" التي لا تحبهم لأن « الكثير منهم اعتنقوا المسيحية من أجل غرض في أنفسهم ، بل الأغراض المادية هي التي دفعت بهم جميعا في البداية لاعتناق المسيحية»[2].

ويعلم هؤلاء المتنصرين أن ارتدادهم عن الدين الإسلامي وتخليهم عنه ، معناه قطع الصلة مع الجماعة التي تنتمي إلى سكان منطقة جبال جرجرة المعروفين بتمسكهم الشديد بالإسلام . وبذلك تنقطع صلتهم الإجتماعية والأخلاقية مع أبناء عشيرتهم . إلا أننا نرى بأن تأثير الدين المسيحي يتجلى في الرواية السابقة الذكر في بطلتها "ذهبية" التي أصبحت تكن الحقد لهؤلاء المسيحيين المنافقين ، ولا تأنس إلا برفقة السيد المسيح « الذي كرس حياته لخدمة الفقراء والمحرومين والمتألمين الذين ليس لهم لسان ليعبر عن آلامهم »[3].

---

[1] Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent , o.p.c , P 19.

[2] المصدر نفسه ، ص 20 .

[3] المصدر نفسه ، ص 22 .

كما نلاحظ مدى تعلّقها الروحي بالدين المسيحي ، حتى أنها عندما أصيبت بمرض خطير لم تشعر بالخوف « وإنما احتفظت بصورة مريم العذراء وظلت تقبلها وكان يخيّل إليها أن هناك في السماء ينتظرها الطفل المسيح (...) ليستأنس بقربها » .[1]

إلا أن بطل هذه الرواية "عامر نعامر" لا يحتمل حتى رؤية الآباء البيض فها هو يقول عنهم « لا أحب الآباء البيض (...) لا أحبهم ، إنهم يضايقونني »[2] ، ونلمح ضمنيا بأن الكاتب لا يحب الآباء البيض الذين جاءوا لنشر الدين المسيحي في بلاد القبائل .

وعلى ضوء ما سبق ذكره ، نرى بأن مولود فرعون لم يكن متحمسا لا لدين قومه وهو الإسلام ، ولا للدين الذي عمل المستعمِر على نشره في منطقة القبائل وهو الدين المسيحي ، فكان ذلك بمثابة نتيجة طبيعية لإيمانه بمبدأ العلمنة الذي يفصل الدين عن أمور الحياة الأخرى ، فالدين يؤدي إلى التعصب ، كما يؤدي التعصب إلى الإنقسام والتناحر وعدم التسامح ، وهذه المصطلحات لا تدخل في قاموس المصطلحات التي يؤمن وينادي بها فرعون ، فما كان منه إلا أن اتخذ موقف الحياد بالنسبة للإعتقاد الديني .[3]

وموقفه هذا نلمحه ضمنيا من خلال ما ذكره في رسالة بعث بها إلى عائلة نوؤال بتاريخ 30 أكتوبر 1949 ، يقول فيها عن انتمائه الديني« إنها قصة الخفاش الذي لا ينتمي لا لفئة الطيور ولا لفئة القوارض،ومثله المعلّم اللاّئكي ليس مسلما ولا مسيحيا».[4]ونرى بأنه يشير من خلال هذه العبارة إلى عدم انتمائه إلى أي دين .

2/ مبدأ الإندماج والمساواة :

أما عن مبدأ الإندماج الذي يعني جعل الجزائريين متساويين مع الأوروبيين في كل مجالات الحياة ، فتطالعنا مظاهر تأثيره في الرواية الأولى لمولود فرعون ، الذي يشير إليه من خلال معيشة فورولو في المدرسة التكميلية ، وذلك منذ وصوله ودخوله

---

[1] .المصدر السابق، ص 24 .

[2] المصدر نفسه ، ص 193 .

[3] ينظر : يوسف نسيب ، مولود فرعون حياته وأعماله ، ترجمة : حنفي بن عيسى ، مرجع سابق ، ص 31 .

[4] Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis, o.p.c , P 17 .

إليها ، واختلاطه بالتلاميذ الذين يبدون سواسية من حيث الهندام و المستوى الفكري، أضف إلى ذلك معاملة الأساتذة لهم بمساواة واحترام ، فها هي المعلمة تكلمه بصيغة "أنتم" "Vous" ، فلم يصدق فورولو نفسه « هل له هذه المرأة الجميلة التي تتكلم وتشرح وتسأل بلطف والتي تقول "أنتم" للجميع ؟ » [1] ، فنلمح ضمنيا بأن هذه المعاملة الطيبة التي لا تفرق بين الأهالي والفرنسيين ، والتي تعاملهم وكأنهم سواسية ، كانت وراء اندماج بطل الرواية السابقة الذكر في هذه البيئة الجديدة .

كما نلمح مظاهر تأثير مبدأ الإندماج في "الأرض والدم" الرواية الثانية لفرعون ، الذي يشير من خلال الفرنسية "ماري" ، التي وفدت من بيئة مختلفة كليا عن البيئة المقفلة لقرية "إغيل نزمان" القبائلية ، والتي كان عليها أن تتحمل الإنتقادات الموجهة إلى سلوكها ولباسها وشكلها ولغتها ، فكان عليها أن تندمج في هذا المجتمع الجديد على الرغم من وجود عوائق تصعب عملية اندماجها ، لأنّ هذا الإندماج ممكن! وهذا ما يشير إليه الكاتب على لسان إحدى شخصيات الرواية « في جميع الأحوال مدام لطيفة جداً (...) أعتقد بأنها تشبهنا » [2]، فنلمح ضمنيا بما أنهم يعتقدون بأنها تشبههم ، فهي متساوية معهم ولا تختلف عنهم ، إذن فعملية الإندماج ممكنة ، ولكي تسهّل عملية اندماجها رأت "ماري" بأن الخطوة الأولى يجب أن تكون من جانبها « فإذا كانت تستطيع أن تتفاهم مع الرجال بسهولة ، فإنها بالمقابل لا يمكن أن تنال شيئا من النساء . وهن اللواتي كنّ يثرن اهتمامها ، فقد أدركت بسرعة أنها يجب أن تعيش مثلهنّ لا أن تتميز عنهنّ» [3].

وهكذا عملت على التكيف معهنّ مضحية بكبريائها وكرامتها « فعاشت مع أولئك النسوة اللواتي أخذن يجبرنها على الفهم ، والإفهام والمحادثة ، فصارت تلجأ للحركات والإيماءات المسلية والتي غالبا ما تنتهي بقهقهات عالية ، لم تعد تحس بالملل ، وكان في ذلك : التعلم المباشر للغة » [4] ، وعلى الرغم من أنها كانت تعلم بأن سبيلها إلى التكيف معهن هو في معرفة لغتهن ، إلا أنها وجدت صعوبات جمة في

---

[1] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre, o.p.c , P 134 .

[2] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 31.

[3] المصدر نفسه ، ص 81 .

[4] المصدر نفسه ، ص 82 .

تعلمها ، وذلك لاعتقادها أنها لن تستطيع أبدًا تفكيك هذا التداخل في الأصوات الحادة منها والجشة ، وهذا النطق السريع الذي تتميز به اللغة الأمازيغية . ومع مرور الوقت وبفضل إرادتها القوية « انتهت بأن أصبحت تفهم كل ما تقوله لها كمومة، أو الأخريات » [1]. وبتعلمها للغة الأمازيغية ، تمكنت شيئًا فشيئا من فهم قوانين محيطها الإجتماعي الجديد ، كما تكشفت لها نواح كانت تجهلها ، فهاهن النساء اللواتي بدين لها في بداية احتكاكها بهنّ أنهن تافهات يستأهلن المكانة الهامشية في هذا المجتمع ، تغيرت نظرتها لهنّ ، فقد لاحظت بأنهن يخاطبنها بطريقة مهذبة ومحتشمة ، أضف إلى ذلك هوسهنّ بنظافة أجسامهنّ وبيوتهنّ . و بتوغّلها في هذه التجربة فهمت بأن قضيتهنّ الأساسية في هذا الوجود هي العيش (الحياة) في هذا العالم المبني على الفضائل الخلقية والنفسية . وهكذا كنّ هنّ اللواتي أرشدنها لكي يسهل عليها الإندماج في هذا المجتمع القبائلي الشديد التنظيم ، فأصبحت تعرف « كيف تحضّر الكسكسي ، والرغيف ، وكيف تشعل الحطب في الموقد ، وكيف تكنس الفناء دون إثارة الكثير من الغبار وكيف تعالج المطحنة » [2] ، وقد لاقت محاولاتها الدؤوبة لكي تصبح قبائلية ، استحسان وتشجيع زوجها عامر أوقاسي .

و هكذا تمكنت الزوجة الفرنسية من الإندماج في هذا الوسط الجديد ، وأن تعيش فترة ذاقت فيها حلاوة الهدوء والسعادة . ونرى بأن فرعون يشير من خلال نجاح تجربة "ماري" ، إلى إمكانية قيام مبدأ الإندماج عقب تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات . وهكذا يكون مبدآ الإندماج والمساواة اللذين آمن و نادى بهما مولود فرعون قد ألقيا بظلالهما على العملين الروائيين الأول و الثاني (ابن الفقير ، الأرض و الدم) لهذا الكاتب .

---

[1] المصدر السابق ، ص 83.

[2] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 83

3/ **مبدأ التشكك** :

أما عن مبدأ التشكك الذي كان يسود كتابات كتاب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي كان مولود فرعون مولعا بقراءتها كما سبق وأشرنا في الفصل الثاني ، فإننا نلمح مظاهر تأثيره في بعض الصفحات من الأعمال الروائية لهذا الكاتب . الذي يشير في رواية "الأرض والدم" على لسان عامر أوقاسي إلى أن« الحياة هي هذه : وخزات الشك ، والقلق ، وتأنيب الضمير الذي يمنع من الرقاد ليلا، أو الذي يوقظ الفرد مذعورا» [1] ، ونلمح ضمنيا من خلال هذه العبارات أنّ الكاتب يؤمن بأنّ على المرء في هذه الحياة أن يكون شكوكيا ، وذلك باتخاذه لموقف الحذر تجاه كل شيء في هذا العالم الذي « يشكّل فيه الحذر أوّل مظهر من مظاهر التعقّل » [2]. و يبدو لنا موقفه هذا من خلال ما ذكره فرعون في رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه و هو "بول فلامون " يقول له فيها « لقد كنت دائما أؤمن بالإنسان،و خاصة الإنسان الفرنسي ، كريم و مثقف الذي يمثل بالنسبة لي الإنسان المثالي ، بعد ذلك بدأت الشكوك تساورني (...) كان علي أن أقاوم لكي أعيش (...) و أن لا أكون ذلك الساذج (...) عندي أربعون سنة ،و على العموم أنا حذر»[3]. لذلك كان على عامر بعد أن مر بأوقات عصيبة بعد مقتل عمه"رابح أوحموش"،ثم تعرضه للموت عدة مرات في فترة الحرب العالمية الأولى: « التسلح بالحذر، والريبة ، مثله مثل بعض الكائنات الحائرة التي ترى الخطر في كل مكان (...) فكان في حاجة لإعادة بناء نفسه » .[4]

ونرى بأن سليمان يجسد في الرواية السابقة الذكر ، شخصية شكوكية بامتياز. فقد أصبح يشك بأنّ هناك علاقة غرامية بين زوجته "شابحة" و"عامر" « كانت معاناة بالنسبة له، أن يعلم وأن يستمر في الشك . مع ذلك كان يجب عليه أن يشك . كان في حاجة لأن يقول لم لا يخونه هذا أو هذه » [5] ، حتى أوصله هذا الشك

---

[1]. المصدر السابق ، ص 179.

[2] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 81

[3] Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , p 116

[4] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 59-60 .

[5] المصدر نفسه ، ص 192 .

إلى التفكير في الانتحار ، إلاّ أنّه أبعد هذا الاحتمال عن باله ، وفضّل أن « يستمر في العيش مع شابحة ، وأن يشك فيها طول الوقت (...) أليس من الأفضل الإستمرار في الشك » [1]، فنلمح ضمنيا بأن فرعون يشير من خلال هذا الصراع الحاد الذي عاشه "سليمان أو حموش" إلى أنّ الشك هو الحل لكي يستطيع الإنسان أن يعيش في هذا الوجود الموحش .

و هكذا أصبحت الشكوك و المخاوف تراود سليمان عن احتمال وجود علاقة غرامية بين زوجته شابحة و قريبه عامر،وهذا ما نلمحه من خلال ما قاله الكاتب على لسان راوي الرواية السابقة الذكر عن سليمان الذي : « عادت إليه شكوكه و تخوفاته و أفكاره السوداء ففقد النوم (...) و أصبح يترصد زوجته و عامرا . فكان يتعذب و هو يتخيل مواعيدهما الغرامية ، ثم أخذ يراقب بلباقة جدول توقيتها و توقيت عامر ، و ذلك لأنه لا يمكنه المكوث الدائم مع زوجته . و صار يحاول أن يعرف كم فتاة سبقتها إلى الحنفية ، و في أي وقت زارت والديها أو مادام ، و هل صادفت عامرا في منزله. و حول عامر حاول أيضا أن يستفسر . يسأل النادل إن كان ابن أخته قد لعب طويلا الدومينو.

و أحيانا لا يطيق الشك كثيرا فيذهب إلى مادام و ينجح في جعلها تتكلم »[2].و قد حاولت شابحة أن تبعد عنه شكوكه ، حتى أنها نجحت في جعله« يستاء من نفسه لشكوكه ، ويتصالح مع نفسه داخليا و يقبل بفكرة انتظار حتى تتحقق مخاوفه»[3].

بقي سليمان على حاله هذا ، حتى رأى بأم عينه الخائنين – زوجته شابحة و قريبه عامر– معا ، فأصيب بصدمة لهول ما رأى و« أصبح رأسه فارغا، و تصلبت أعضاؤه كما يتصلب الخشب . إنه تمثال متجمد (...) إنه يرى بوضوح (...) لقد كانا سخيفين ، سخيفين و جبانين »[4]. وهكذا تأكد لسليمان أنه كان على حق

[1] المصدر السابق ، ص 193 .

[2] Mouloud Feraoun, La terre et le sang , o.p.c , P 209

[3] المصدر نفسه ، ص 210 .

[4] المصدر نفسه ، ص214 .

في شكوكه ، و أن هذه الأخيرة كانت في محلها . فقرر أن ينتقم لشرفه ، و تمثل انتقامه في قتل عامر في حادث مفتعل ، راح ضحيته إلى جانب عامر سليمان نفسه.

V/ التأثير الأدبي والفني:

1/ تأثير الأدب الفرنسي:

أ/ تأثير الأدب الفرنسي الكلاسيكي :

يبدو لنا بأنّ أوّل مظهر من مظاهر تأثير الأدب الفرنسي في روايات مولود فرعون ، هو كون هذا الأخير كان يكتب ويعبّر بلغة فرنسية كان يحسنها إلى حد الإتقان ، وذلك لأنّه كان يجهل اللغة العربية الفصحى والعامّية ، ولعلّ ما سبق ذكره كان نتيجة طبيعية لسياسة التجهيل التي اتّبعها الإستعمار الفرنسي ، و ما بذله من مجهود من أجل تعويض اللّغة الأم وهي اللغة العربية بلغة دخيلة وهي اللغة الفرنسية ، أضف إلى ذلك الوضع الذي آل إليه المجتمع الجزائري حين أصبحت معاملاته بالضرورة فرنسية بحتة . ممّا اضطرّ الأهالي إلى دفع أبنائهم إلى التعلّم في المدارس الفرنسية التي قامت السلطات الإستعمارية بفتحها في الجزائر ، والتي كان مولود فرعون أحد خرّيجيها . وهاهو يقول عن تعليمه وثقافته الفرنسية « أنا أعبّر بالفرنسية ، وحصلت على تعليمي في المدرسة الفرنسية ، وأنا أعرف قدر ما يعرفه الفرنسي المتوسط »[1] . وقد خوّلته ثقافته الفرنسية أن يكتب أعمالا روائية لا تختلف في لغتها الفنية عن كتابات كبار الكتّاب الفرنسيين أمثال "بالزاك و زولا" [2] ، الذين كانوا يسعون من خلالها إلى الكشف عن مظاهر مجتمعاتهم التي كان يجهلها القرّاء ، وكان هذا الإتجاه هو الإتجاه السائد في كتابات كتّاب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

---

[1] Mouloud Feraoun , Journal , o.p.c , P 82 .

[2] Alain Mahé , Violence et littérature coloniale au Maghreb , Littératures et temps coloniale , Actes du colloque d'Aix-en-Provence 7-8 Avril 1999, Edisud, France, 1999 , P 182 .

ويبدو لنا الطابع الوصفي لروايات مولود فرعون ، أول ما نلمحه في اللغة الفنية لهذا الكاتب ، وهذا ما ذهب إليه الباحث عبد الكبير الخطيبي حينما قال عن هذا الطابع الوصفي لهذه الروايات بأنّه « مثل ما نجد في رواية القرن التاسع عشر (...) والتنظيم الوظائفي للزمن والفضاء حيث يصحّ للأشياء مكانها المحدد ؛ إلاّ أنّ هذه الأشياء لا توصف لذاتها ، وإنما لها دور التعبير عمّا هو إنساني ، وعكس الوسط الإجتماعي » [1]. ويبدو لنا بأن الباحث يريد أن يشير إلى أنّ الفن الوصفي الذي طبع كتابات فرعون الروائية هو فن مثقل بدلالة الأشياء . وهذا ما نلمحه من خلال ما قاله الكاتب على لسان راوي رواية "الأرض والدم" وهو يصف منازل القرية « إنّ المنازل العتيقة في "إغيل نزمان" التي يظهر أنها تحمل صدأ القرون فوق قراميدها المسودّة ، ومفاصلها الملاطية المفكّكة ، وسقوفها القرميدية المعوجّة والتي تتداعى ، لم تأو في غالبها سوى الجدّ » [2].

نرى بأنّ فن مولود فرعون الوصفي يتجلّى لنا من خلال وصفه الرّائع لمشهد موت خالة فورولو بطل رواية"ابن الفقير"«إنني أرى "نانا" وهي مستلقية على فراش عرسها ومغطاة بقماش أبيض ؛ منديل أصفر من الحرير يشدّ الذقن . ويحيط بوجهها الصغير . العينين مغلقتين ، الخيشومين مسدودين ، الوجه أصفر مثل المنديل . أرى جيّدًا بأنها ليست نائمة . تبدو وكأنها نائمة ، ولكن للنوم عدة حالات . هناك نوم التعب الثّقيل ، الراحة الهادئة للصحة ، يوجد نوم المرض المتعب . الموت شيء آخر (...) ماذا يقول وجه "نانا" الجميل المحبوب من الكلّ والذي كان يبتسم للكلّ ؟ الموت أخذ كل شيء ، إنه يترك قناعا لا يبالي بشيء ، غير متوقّع ، ينصبه كحاجز منيع تصدم عليه آلامنا البائسة ، بدون صدى » [3] ، كما تحوي رواياته فقرات طويلة ووصفية عديدة حيث يصف الكاتب مستوى معيشة الفقراء والأغنياء وتقاليد و عادات سكان منطقة القبائل.

---

[1] عبد الكبير الخطيبي ، الرواية المغربية ، ترجمة : محمد برادة ، مرجع سابق ، ص 66 .

[2] Mouloud Feraoun , La terre et le sang ,o.p.c , P 07-08 .

[3] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre ,o.p.c , P 89 .

و لا بد أن نشير إلى اهتمام الكاتب في رواياته بالدقيق والمحكم من المعلومات والأبعاد والأرقام ، فها هو يرسم لوحة لقرية تيزي في الرواية السابقة الذكر « تمثل تيزي تجمّع سكني من ألفي ساكن (...) نهج رئيسي طوله مائتي متر (...) هذا النهج الرئيسي يحتفظ بعرضه الأصلي ، ستة أذرع على الأقل (...) يتفتح حينا على اليمين وحينا على اليسار بطرقات منحدرة نحو الحقول » [1] ، كما يصف مقاعد نادي الجماعة بنفس الدقّة « بلاطات عريضة من الشيست على خمسين مترًا من البناء المهلهل تشكّل مقاعد "تاجمعت"»[2].

و ها هو يصف لنا قطعة الأرض التي اشتراها عامر أوقاسي على لسان راوي رواية " الأرض و الدم " « تيغزران ملكية جيدة على الرغم من أنها لا تمثل شيئا له خصوصية : ثلاثة أيام من العمل لنصف هكتار . قطعتان مثلثتان تفصلهما ساقية صغيرة (...) ثلاثة أشجار من البرتقال على حافة الساقية (...) ».[3]

ولعلّ السبب وراء ميل فرعون إلى الإكثار من التفاصيل يعود إلى كونه معلّم ، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة عايدة أديب بامية عندما قالت « يعتبر مولود فرعون إلى حدّ بعيد حصيلة مهنته ، حيث أنّه لكونه أستاذ مدرسة أبدى اهتماما ، في روايته ، بالناحية التعليمية وأظهر ميلا إلى الإكثار من التفاصيل » [4] ، وهكذا استطاع الكاتب أن يبث في رواياته روح قاعة للدراسة يكون فرعون فيها هو المعلّم ، ويتحول القراء إلى طلاّب .

ونرى بأنه علينا أن نشير أيضا إلى كثرة توظيف مولود فرعون لأسلوب التشبيه في أعماله الروائية ، فها هو يقول على لسان راوي رواية "ابن الفقير" « كان يسمع صوت أحشائها تتمزق ويسيل موج الدم فيسمع له صوت كقرقرة الماء يندفع من فم الجرّة» [5] .

---

[1] المصدر السابق ، ص 12 – 13 .

[2] المصدر نفسه ، ص 13 .

[3] Mouloud Feraoun , La terre et le sang ,o.p.c , P 38 .

[4] عايدة أديب بامية ، تطوّر الأدب القصصي الجزائري 1925–1967، ترجمة : محمد صقر ، مرجع سابق ، ص 247 .

[5] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre ,o.p.c , P 88 .

ويبدو لنا بأنّ الروايتين التاليتين قد تجاوزتا إلى حد بعيد روايته الأولى من حيث توظيف الروائي للتشبيه. و نذكر ما قاله فرعون على لسان رمضان أحد شخصيات روايته الثانية "الأرض والدم" « العائلة تشبه إلى حد ما الشجرة المسنّة»[1].كما أنه شبه سليمان – وهو إحدى شخصيات الرواية السابقة الذكر– بالضفدع،فيقول على لسان الراوي « (...) غالبا ما يشبه بالضفدع ، ذلك الحيوان المنفر ، فإذا سحقته لطخك، و إن تجرأت على لمسه قززك »[2].كما يشير الروائي إلى تقدم ماري على شابحة فيقول : « ماري (...) كانت تتجاوز شابحة كما تتجاوز باريس إغيل نزمان »[3].

إلى جانب ما سبق ذكره نذكر ما قاله الروائي على لسان رمضان عندما كان يحدث زوجته عن الآخرة « يجب رؤية الحياة الأخرى من زاوية غير التي تتصورينها ، و إلا سنتعلق كالخيط قي الإبرة و نصعد إلى الجد الوحيد و هو الذي يتحمل ثقل ثورة الإنسانية »[4]. و ها هو يقول عن سمينة زوجة رمضان ، عندما تستيقظ من نومها « تستيقظ بسرعة نسبيا ، أحيانا تشعر بعودتها بهدوء ، كالطائرات الورقية الصغيرة التي يرسلها التلاميذ ، و التي تحط أرضا برفق بعد أن تكون قد صورت دائرة أنيقة »[5]

أضف إلى ذلك ما يقوله على لسان "عامر نعامر" بطل روايته الثالثة "الدروب الوعرة" عندما كان على متن الباخرة « الأمواج الضخمة ترغي وتزبد ، ثم تخمد ، ثم ترغي وتزبد مرّة أخرى كأنها في لمعانها أضواء مدينة تشاهد من مكان بعيد»[6].كما يقول على لسان راوي هذه الرواية عن حال النساء القبائليات اللواتي هاجر أزواجهن إلى فرنسا « (...) لقد كتب عليهن البقاء في البلاد ، إلى أن تحين

---

[1] Mouloud Feraoun , La terre et le sang ,o.p.c , P 136 .

[2] Mouloud Feraoun , La terre et le sang, o.p.c, P. 70

[3] المصدر نفسه ، ص 153 .

[4] المصدر نفسه ، ص 160

[5] المصدر نفسه ، ص167 .

[6] Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent,o.p.c , P 166-167 .

الوفاة ، كأنهن نباتات رديئة لا يقوم أحد برعايتها ، فتذبل سيقانها و تجف و يدوسها القطيع و الراعي فيحولونها إلى حطام »[1]. ويقول فرعون على لسان الراوي أيضا عن المعاملة التي تلقتها ذهبية من مقران الذي « أمسك بها غدرا من خصرها ، كالكلب المخادع الذي لا ينبح أبدا و يعضك فجأة و بصمت » [2] و نذكر ما يقوله على لسان عامر أنعامر بطل هذه الرواية عن معاملته للأطفال في صغره « كنت أخاف من الأطفال الذين يكبرونني سنا و أيضا من الأشخاص الكبار. و صرت خداعا و ماكرا كالحيوان الضعيف الذي يقع على حيوان آخر أضعف منه (...) فلم أكن أشفق على الصغار أبدا »[3].كما يضيف على لسان نفس الشخصية عن الحقد الذي يكنه الفرنسيون للجزائريين « (...) لم نكن نكترث لذلك الحقد إلا كما يكترث الإنسان لقطرات المطر عندما تنزلق فوق معطفه الواقي »[4]. أضف إلى ذلك ما يقوله عامر في موضع آخر عن علاقته بذهبية « يا إلهي ، نحن نتألم و نموت كالحيوانات (...) من الأفضل أن يصمت قلبي ، و أن يترك هذا الرأس الغبي و الخشن كرأس البغل يتكلم . أنا بغل و ذهبية بغلة »[5].

و ها هو فرعون يقول على لسان سعيد صديق عامر ، الذي قال عن زوجته « (...) لقد دخلت إلى الغرفة ، جميلة و ناعمة ، كأنها تمثال لمريم العذراء »[6].

ويبدو لنا بأن توظيف الكاتب للتشبيه قد أضفى على روايته لمسة خاصّة كانت نتيجة طبيعية لعملية دمج بين الحقيقة و الخيال .

ب/ <u>تأثير الأدب الفرنسي الحديث</u> :

يجدر بنا أن نشير إلى أنّ فرعون لم يتأثر باللغة الفنية لكبار الكتّاب الفرنسيين الكلاسيكيين فقط ، وإنما تأثر أيضا بالكتّاب الفرنسيين الذين عاصرهم ،

---

[1] المصدر السابق ، ص 46 .

[2] المصدر نفسه ، ص 50.

[3] Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent, o.p.c ,. 160

[4] المصدر نفسه ، ص 111 .

[5] المصدر نفسه ، ص P133.

[6] المصدر نفسه ، ص 161 .

ونذكر منهم على وجه الخصوص : ألبير كامو و إيمانويل روبلس ، وقد بعث فرعون لهذا الأخير رسالة بتاريخ 6 أفريل 1959 يقول له فيها « كان كامو وروبلس وغيرهما هم أوّل من استطاع أن يفتح أمامنا أفقا أدبيا كان مغلقا أمامنا . ما كنت أتجرّأ أبدًا على خلق قبائلي حقيقي على صفحات رواية ، لو لم أر من قبل الطبيب ريو والشاب إسماعيل (...) لقد كنتم أول من قال لنا ها من أنتم ، ونحن بدورنا أجبناكم ها من نكون نحن» [1] ، ومقولة فرعون هذه إن دلّت على شيء إنّما تدّل على أن هذا الأخير قد تأثر بأدب الأديبين الفرنسيين كامو وروبلس ، اللذين كان مطلعا على أعمالهما الأدبية .

* **<u>ألبير كامو</u>** :

وتتجلّى لنا مظاهر تأثره بكامو من خلال إيمان بطل روايته الثانية "عامر أوقاسي" بفلسفة العبث [2] التي كان كامو مؤسسها ، والدليل على ذلك ما يقوله فرعون على لسان الراوي عن موقف "عامر أوقاسي" من الحياة إثر الأحداث الأليمة التي عاشها في فرنسا بعد مقتل خاله "رابح أوحموش"، أضف إلى ذلك المعاناة النفسية والجسدية التي تعرّض لها خلال الحرب العالمية الأولى ، فكانت هذه الأحداث سببا في توصله إلى خلاصة مفادها أن الحياة هي عبث » [3] ، وقد سبق وأن أشرنا في الفصل الثاني بأنّ هذه الفلسفة ترى بأنّ الإنسان يعيش في عالم مليء بالظلم والألم وأنّ الموت سيكون نهايته الحتمية ، إلاّ أنّ ذلك لا يمنع من ضرورة مجابهة هذه الأعباء ومقاومتها إلى آخر رمق. وتجسّد شخصية الطبيب ريو في رواية "الطاعون" إكتمال فلسفة العبث ، فقد واجه هذا الطبيب داء الطاعون الذي انتشر في مدينة وهران بكل ما استطاع من قوة على الرغم من أنّ موت المرضى المصابين به هو أمر حتمي . فها هو ذات يوم

---

[1] Mouloud Feraoun , Lettres à ses amis , o.p.c , P187 .

[2] في هذا الصدد راجع : توزان عبد القادر ، الجزائر في أدب ألبير كامو ، رسالة ماجستير (مخطوطة) ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، نيسان 1985 م / رجب 1405 هـ ، ص 144 و ما يليها .

[3] Mouloud Feraoun , La terre et le sang, o.p.c , P 60 .

يتلقى نبأ وفاة زوجته بكل هدوء لأنّه كان يعلم بأن الموت هو النهاية الحتمية « فقال لأمه بأن لا تبكي، وبأنه كان ينتظر هذا ، إلاّ أنه أمر صعب» .[1]

* **إيمانويل روبلس** :

أما فيما يخص روبلس ، يبدو لنا بأنه كان في رأي مولود فرعون أول كاتب فرنسي استعان بشخصية جزائرية حقيقية في أعماله الأدبية ، وتكون هذه الشخصية من خلال مقولة فرعون السابقة الذكر هي شخصية "الشاب إسماعيل" بطل رواية "أعالي المدينة" الذي يرى فرعون بأنه ليس من باب الصدفة أن يستسلم عربي للتعذيب على يد أحد أتباع حكومة فيشي[2] ، مجسدا بذلك المقاومة الجزائرية .[3]

ويبدو لنا بأنه استند في رأيه هذا إلى أنّ اسم البطل "إسماعيل" مستوحى من اسم الشخص الذي أهداه روبلس الرواية السابقة الذكر وهو "أحمد إسماعيلي" Ahmed Smaili، الذي كان صديقا مقربا من روبلس ،عندما كان هذا الأخير طالبا في مدرسة المعلمين ببوزريعة ، وقد حكم عليه بالإعدام في عهد حكومة فيشي ، إلاّ أنّه توفي

فيما بعد في حادث مرور .[4] وعلى ضوء ما سبق ذكره يتجلّى لنا تأثير روبلس في فرعون، عندما كتب هذا الأخير روايته الأولى "ابن الفقير" ، والتي كان بطلها شخصية جزائرية حقيقية وهي شخصية الكاتب نفسه ، حتى أنّ اسم البطل "فورولو منراد" "Fouroulou Menrad" يتركب من نفس حروف اسم الكاتب الحقيقي "Mouloud Feraoun".

---

[1] Alber Camus , La peste , ENAG/Edition , 2éme édition , ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر ، 1995، ص 238

[2] راجع بهذا الصدد : Emmanuel Roblès , Les hauteurs de la ville , Collection Méditerranée , Aux éditions du seuil , France .

[3] Mouloud Feraoun , L'anniversaire , o.p.c , P 57 .

[4] المصدر نفسه ، ص 75 .

2/ تأثير الأدب الروسي:

لقد ذكر إيمانويل روبلس بأن صديقه مولود فرعون كان يكن للكتّاب الروس إعجابا كبيرا يقرب من العبادة ، ونرى بأن ما يشهد على أن الكتاب الروس كانوا ضمن من أحبهم فرعون كونه استهلّ أول تجربة روائية له بكلمات الكاتب الروسي "أنطوان تشيخوف" « سنعمل للآخرين حتى شيخوختنا وعندما تحين ساعتنا ، سنموت دون صخب وسنقول في العالم الآخر أننا تألمنا ، وبكينا ، وعشنا سنوات طويلة من المرارة ، وسيشملنا الله برحمته » [1]، واستشهاد الكاتب بهذه الكلمات إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ هذا الأخير قد تأثر بالمعنى النبيل الذي تحمله هذه الكلمات في طياتها .

ويبدو لنا بأن تشيخوف استطاع أن يترك أثرا في روايات فرعون، وتتجلى مظاهر هذا التأثير من خلال توظيف هذا الأخير لأسلوبي التفكه والسخرية اللذين اختص بهما تشيخوف في كتاباته الأدبية .[2]

أ/ أسلوب التفكه :

ونلمح أسلوب التفكّه من خلال ما يقوله الكاتب على لسان راوي رواية "الأرض والدم" عن سمينة والدة شابحة : «... مباشرة بعد أن تتغطى سمينة بالبطانيات تبدأ بالشخير (...) وبعد أن يلتحق بها رمضان فإنها لا تشعر به البتة (...) وكان عندما يتجاوز الشخير حدّه يهزها بمرفقه لكي يوقظها ، ومع الزمن تعود عليه . وصار الآن شخير سمينة هو الذي يوقظها . ويحدث أن تفتح عينيها فجأة وهي في أعزّ حلمها، ويبقى الحلم غير مكتمل (...) عندما يتعلق الأمر بحلم سيء تكون فرحة لأنها استيقظت. وهي تعتقد في الأحلام أكثر من اعتقادها في الدراويش» [3] ، ويضيف أيضاً

---

[1] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre, o.p.c , P 07 .

[2] ينظر: حلمي علي مرزوق ، الرومانسية * الواقعية النقدية* الواقعية الاشتراكية أصولها الفنية والأيديولوجية ،مرجع سابق ، ص 127

[3] Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P 164 .

« ... عندما تنقض سمينة على حلم ناقص ، لا تدرك حينها ما حدث لها بوضوح: فتحاول النوم ثانية لتستدركه ، وتجهد نفسها في تتبع الصورة الأخيرة منه ، وهي تفرّ منها فرًّا (...) ضاع منها جزء كبير من المستقبل ، وكان يمكن أن تعرفه فتكره شخيرها، وتشتكي منه كما يشتكى من المرض» . [1]

ب/ أسلوب السخرية :

أما عن أسلوب السخرية ، فنرى بأن فرعون وظفه كثيرا في رواياته، ربما لأنه رأى بأنه الأسلوب الأنسب لنقد العادات والتقاليد المنتشرة في المجتمع القبائلي ، فجاء أسلوب السخرية للتخفيف من حدة هذا النقد .

ونلمح هذا الأسلوب من خلال ما قاله الكاتب على لسان "عامر أوقاسي" الذي رأى أمين القرية أن من واجبه إسداءه النصائح فـ « نزلت تلك النصائح على عامر كتوبيخ حاد . هناك أشخاص يعتقدون بأنه عليهم إسداء النصائح ، فيسمع لهم بداعي التهذيب ، مع التفكير بأنهم أولى بتلك النصائح...» [2] ، أضف إلى ذلك ما جاء على لسان راوي الرواية السابقة الذكر عن حسين الذي كان كثير التبجّح ، ويحب التباهي فإذا « أريد منه شيئًا ، يكفي أن يطلب ذلك منه على الملأ : إنه لا يعرف الرفض أمام الناس » . [3]كما يشير الكاتب بأسلوب ساخر إلى أن عامر أوقاسي قد اعترف منذ وصوله إلى قريته أن أبناءها سوف « تقسو عليه آراؤهم ، و لكنه كان متأكدا من مكابرته ، و أن الأمر سينتهي بأن يفرض نفسه عليهم ، فهو يعلم أن الأساس هو أن تكون غنيا ، أو أن تتظاهر بذلك »[4].

أضف إلى ذلك ما قاله الروائي ساخرا عن رأي سكان القرية في انقطاع نسل عائلة "أيت حموش" ، الذي يعتبرونه « علامة من علامات اللعنة . إذ أن انقطاع نسل العائلة يعد عقابا لها. و على جبروتها و عتوها . الكل يعلم : أن من تولى مقاليد

---

[1] المصدر السابق ، ص 165 .

[2] Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P . 34

[3] المصدر نفسه ، ص. 35

[4] المصدر نفسه ، ص 35 .

مصير القرية من الأغنياء ، أو الأقوياء قد انتهى نهاية سيئة »[1] . و ها هو يشير بسخرية أيضا إلى أصل عائلة "أيت الطاهر" الذين « يتشرفون بأعمال جد لهم كان في القديم عضوا في جماعة من اللصوص . إنه لقب شرفي لديهم يتعلقون به تعلقا لا مثيل له »[2].

ج/ توظيف المصطلحات الطبية :

و يبدو لنا أيضا تأثير أدب تشيخوف في روايات فرعون ، من خلال توظيف هذا الأخير للمصطلحات الطبية عندما قال عن العلاقة الزوجية التي تجمع بين شابحة وسليمان بأنها تشبه « ... كيسا مائيا في جسم سليم ، إنه ورم ، يتحتم بتره يوما من الأيام خوفا من أن يسمّم الجسم كله» .[3] ونرى بأن في هذه العبارة تأثير واضح لأدب تشيخوف الذي ذكر بأن مهنة الطب التي كان يزاولها قد تركت أثرًا بالغا في إنتاجه الأدبي .[4]

3/ خصوصية لغة فرعون الفنية :

وعلى الرغم من أن فرعون قد تأثر بالأدبين الفرنسي والروسي ، كما تجلت مظاهر هذا التأثير من خلال أعماله الروائية ، إلا أنه استطاع أن يضفي على لغته الفنية ما يميزها عن غيره من الكتّاب . ونرى بأن ما يميزها هو توظيفه للكلمات العربية والقبائلية ، فرواية "ابن الفقير" تضم ما يقرب ثمانية وعشرين كلمة عربية وقبائلية ، ورواية "الأرض والدم" تحتوي على حوالي اثنان وأربعون كلمة عربية وقبائلية ، ويتراجع توظيفه لهذه الكلمات في رواية "الدروب الوعرة" ليصل إلى نحو أربع عشرة كلمة فقط . ونرى بأن الكلمات العربية التي وظفها هي كلمات تخص الجانب الديني ونذكر على سبيل المثال : البركة ، المؤذّن ، المكتوب ، أما الكلمات القبائلية فهي تخص

---

[1] المصدر السابق ، ص 70 .

[2] المصدر نفسه ، ص 95 .

[3] Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P 114.

[4] ينظر : محمود سمرة ، أدباء معاصرون من الغرب ، مرجع سابق ، ص 226 .

جانب الحياة اليومية في المجتمع القبائلي ونذكر على سبيل المثال : شواري ، المشمل، الكانون .[1]

و يبدو لنا أن ما يميز لغته الفنية أيضا هو توظيفه لتقنية المقارنة بين شخصيات رواياته ، فهاهو يقارن بين "شابحة" و "حمامة" في رواية "الأرض و الدم" يقول : « كانت شابحة و حمامة منذ صغرهما لا تطيقان بعضهما إلا بصعوبة. و كانت كل منهما ند للأخرى . فحمامة كانت تعتقد دائما بأنها هي الأجمل . و الحقيقة أنها هي الأشد غيرة و الأشد غرورا . فقد كانت شابحة في الحنفية توحي بكثير من الطيبة بسبب بساطتها ، و صراحتها ، و عدم اكتراثها و مرحها . كان لها أوفياء يحرسن على مصاحبتها (...) كانت مجموعتها هي الأكثر حيوية (...) و نادرا ما كانت حمامة تنضم للمجموعة ، فقد كان لها فريقها »[2].وهذا ما نجده أيضا في رواية "الدروب الوعرة" من خلال المقارنة التي أجراها الكاتب بين "ذهبية" بطلة الرواية و "ويزة" صديقتها فيقول على لسان الراوي : « كانت ويزة وسيمة الوجه ، أقصر من ذهبية في الطول ، و لكنها أكمل منها بدنا لأنها تكبرها بسنتين أو ثلاث ، و كان ذلك يبدو واضحا من خلال أوراكها الواسعة و خصرها المكتنز لحما ، الذي أعطاها هيئة امرأة ناضجة . في حين أن ذهبية على العكس من ذلك نجد في مشيتها و حركاتها و صوتها ، شيئا من العفوية الممزوجة بالطيش و كأنها ما تزال طفلة . و عندما نراهما تمران جنبا إلى جنب، لا يمكننا أن نقول إلا أن : ذهبية هي الأكثر جمالا ببشرتها الناصعة البياض ، و بقدها الفارع الطول ، غير أن ويزة لا تقل عنها ، فهي المثال الحي للفتاة السليمة المتوازنة المنفتحة على الحياة (...) »[3].

و ها هو فرعون يقارن بين "عامر أنعامر" بطل الرواية السابقة الذكر و"مقران"، فيقول على لسان عامر « كنت جميلا ، بينما كان هو قصير القامة و نحيل، كنت منفتحا بينما هو خبيث و منطو على نفسه . كنت أحتل دائما المراكز الأولى في

---

[1] و لمعرفة معاني الكلمات القبائلية التي وظفها فرعون في رواياته راجع : Djoher Amhis-Ouksel , Dune rive à l’autre , une lecture de « la terre et le sang » et « Les chemins qui montent” de Mouloud Feraoun , Casbah Edition , Algerie , 2009 , p 100.

[2] Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P 184-185 .

[3] Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent , o.p.c , P 59-60 .

حين أنه كان غبي .كنت دائما متمردا على التقاليد أما هو فقد عرفته دائما محترما للطقوس الدينية ، و للقبات ، و للمرابطين على غرار ما يفعل جميع أقاربه »[1].

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره ، نرى بأن ما يميز أيضا لغة فرعون الفنية ، هو توظيفه للأمثال والحكم الشعبية القديمة بنسب متفاوتة في رواياته ، نذكر منها ما ذكره الكاتب على لسان راوي رواية "الأرض والدم" « "من يزرع الخير يحصده" أو "من يطلب الله لن يخيب"» .[2]كما نذكر أيضا المثل الذي يشير الكاتب من خلاله إلى رأي عائلة "أوحموش" في عامر أوقاسي الذي قام بقتل خاله رابح « إن الذي يربي أبناء الأخوة كالذي يروض ثعابين لنهش رقبته »[3].و ها هو يقول على لسان إحدى شخصيات الرواية السابقة الذكر « إن الله أحسن صنعا عندما حرم الحمار من القرنين »[4] .

أضف إلى ذلك ما جاء على لسان حمامة عن استحالة إخفاء الحقيقة « تغطي الشمس بالغربال » .[5] و نورد أيضا في نفس الصدد « اللهم احفظ أسرارنا ، و تستر على عشاق زوجاتنا »[6]

كما يبدو لنا بأن توظيف فرعون للحكم والأمثال لم يتوقف عند هذا الحد ، حيث قام باختيار عنوان "الدروب الوعرة" من المثل القبائلي الذي يقول « إذا ما قصدت الأربعاء ناث ييراثن فالدروب إليها عديدة . ولكن مهما اخترت الطريق ... فالدروب كلها وعرة »[7].

و تجدر بنا الإشارة إلى أن ما يميز اللغة الفنية لفرعون هو توظيفه للأساطير الشعبية، و هذا ما نلمحه من خلال ما جاء على لسان المرابط "الشيخ محفوظ"، الذي ذكر بأن في القديم ، كان هناك شيخ حكيم و زاهد قد وهبه الله ذكاء حادا، كان يعلم

---

[1] المصدر السابق ، ص150–151 .

[2] Mouloud Feraoun , La terre et le sang, o.p.c , P 129 .

[3] المصدر نفسه ، ص 71 .

[4] Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P . 72

[5] المصدر نفسه ، ص 188.

[6] المصدر نفسه ، ص . 194

[7] Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent, o.p.c , P 03 .

الأطفال ، لذلك كان كل الناس يحبونه و يقدرونه . و هذا ما جعل سلطان هذه البلاد يغار منه .

وذات يوم استدعى السلطان ذلك الشيخ ، و طلب منه أن يعلم القران لجمل صغير ، و أمهله ثلاث سنوات من أجل إتمام هذه المهمة ، و إن انتهت هذه المهلة و الشيخ لم يتم هذه المهمة فإن مصيره سيكون الموت « فعاد الشيخ حزينا يلعن علمه و حكمته (...) فالتقى بدرويش مثلي ، رجلا عاديا غليظا ، يرتدي أثوابا رثة و يعيش من الأعشاب و جذورها ، و يفضل صحبة الحيوانات المتوحشة على صحبة البشر ، فطلب منه الشيخ أن ينصحه . فقال له الدرويش : " أيها الرجل المتعلم لقد أعماك علمك . فصرت جبانا قصير النظر . أيمكنك أن تعلم ما يقدره العلي القدير ؟ الخوف من الله وحده ، و ليس من السلطان الفاني . اذهب و اقبل الطالب الذي اقترحه عليك . ومن الآن إلى غاية ثلاث سنوات : يمكن أن تموت أنت (...) أو يموت الجمل (...) و إذا دقت ساعة السلطان فإنك تصبح مالكا للجمل و أغنى حالا مما أنت عليه الآن." و هذا ما وقع . لم يمض زمن حتى مات السلطان و ما من أحد فكر في المطالبة بالجمل »[1]. تبدو لنا هذه الأسطورة بمثابة عبرة للمتعجلين الذين يريدون أن يتدخلوا فيما لا يجب التدخل فيه ، عوض أن يعيشوا بسلام و يتركوا هذه الأمور للعليم القدير. وبذلك تكون هذه الأسطورة تحوي حكمة بالغة مفادها " الإيمان بالغيب و الرضا بقضاء الله و قدره" .

V/ **تأثير التيار الواقعي :**

يرى الباحث إبراهيم الكيلاني أن الأعمال الروائية للكاتب مولود فرعون هي « دراسة إجتماعية واقعية لعادات القبائل البربرية وتقاليدها وأساطيرها التي تلقاها في البلدان ذات الرواسب البدائية التي تعيش على هامش الحياة الحضرية » . [2]

يبدو لنا أمرا طبيعيا أن يتأثر فرعون بالتيار الواقعي الذي تبناه كبار كتاب القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر ، هذا التيار الذي يهتم بالطبقة الدنيا وطبقة

---

[1] Mouloud Feraoun , La terre et le sang, o.p.c, P 79-80 .

[2] إبراهيم الكيلاني ، أدباء من الجزائر دراسة تحليلية عن كبار أدباء الجزائر المعاصرين ، مرجع سابق ، ص 92

العمال ، أضف إلى ذلك رفضه الإغراق في الخيال ، وسعيه إلى تصوير الواقع ، ومحاولة تفسير مظاهره .

كما أنّ تبني فرعون للتيار الواقعي ، يمكّنه من تحقيق غايته من إبداعه الأدبي وهي أن يصور بدقة تقاليد وظروف معيشة سكان منطقة القبائل ، التي ينتمي إليها ، كما رصدها وعاشها هو نفسه . وليس كما يراها الكتاب الإستعماريون من برجهم العاجي ، لأنه لا سبيل للأجنبي لأن يفهم قوانين ذلك المجتمع المقفل الذي يتكون من « سلسلة من الحلقات الضيقة تحبس الأفراد ضمن عائلات ، ثم ضمن قروبات، مما يجعل القرية كلها قفصا يتململ فيه الأفراد يتكتلون ويرصد بعضهم بعضا (...) فالقروبة تعدّ وحدة إجتماعية وجغرافية معًا . نفس الأقارب يسكنون نفس الطريق، والعائلات مستقرة إلى الأبد في نفس الحي . وإذا حدث أن هاجرت عائلة إلى الجزائر، فمن النادر أن يسمح لعائلة غريبة أن تحل محلها في القرية . فهم يتعارفون فيما بينهم، ويشكلون كلا متكاملا ، وأحكامهم على بعضهم جاهزة منذ أجيال (...) يتعاونون، يتآزرون ، ولكنّهم يراقبون بعضهم ، ويتحاسدون ، ويتباغضون ». [1]

ويبقى مولود فرعون في أعماله الروائية مرتبطا بالواقع بكل أبعاده ، فكان هذا الأخير مادته الخام وشغله الأول وشاغله في جميع الحالات .

1/ <u>موضوعة الفقر</u> :

ولقد كان الفقر من أهم الموضوعات الواقعية التي تناولها في رواياته ، وهو كما نعلم مشكلة إجتماعية عانى منها الكاتب نفسه ، لذلك تمكّن من الكشف عن مظاهرها في منطقة القبائل .

فها هو في رواية "ابن الفقير" وما لعنوانها من مدلول بالغ الأهمية ، يصوّر لنا مظاهر البؤس الذي يعاني منه الفقراء الذين يشكّلون الغالبية الساحقة من سكان قرية "تيزي" فــ « العائلات الفقيرة تعيش عيشة الأغنياء عند الإمكان أو تتحيّن الفرصة لتلك المعيشة ، الفقير لا يملك أرضا أو يملك قطعة صغيرة بما يشغل نفسه عند البطالة ، لا توجد في مسكنه إلا غرفة واحدة ويتقاسم الفناء مع جيران فقراء مثله (...) يمكن للفقير أن يملك حيوانات مثل الغني غير أنها حيوانات لم

Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P 91-92 . [1]

يشتريها بل استودعت عنده وعندما يبيعها يأخذ جزءً من أرباحها وبإمكانه أن يعمل بالأجر اليومي إنه يعمل كي يعيش أحسن » .[1]

وما يكون من هذا الفقير إلا أن يتعلّم الإنتظار ويتجمّل بالصبر . وإلى فئة الفقراء ينتمي الإنسان الذي تربطه بالجوع علاقة قديمة ، فيكون الحل بالنسبة إليه بسيط إذ « ينبغي الإقلال شيئًا فشيئًا من كمية البلبول أو الرغيف ، وخلط الكثير من النخالة مع الدقيق ، وتخزين البلوط في موسمه (...) وهناك أيام الصوم (...) فهي ترضي الرسول وتظهر الصائم كإنسان تقي . إن المتعوّدين على الحرمان يعرفون جيدا بأن تحمّل الجوع أمر هين : فهو يفقد صاحبه الشهية تدريجيا ، ويجعله في حالة سوء تغذية، لكنه لا يتألم أكثر من المتخم . بالفعل ما هي إلا مسألة درجات (...) فقير ينتهي به الأمر دائما إلى الإقتناع بأن الفقر ليس عيبا ».[2]

2/ <u>موضوعة الهجرة</u> :

على الرغم من أن الفقر لا يعتبر عيبا في المجتمع القبائلي ، إلا أن فرعون يشير إلى أنه كان سببا مباشرًا في هجرة القبائليين إلى فرنسا ، هؤلاء القبائليون الذين وقفوا عاجزين أمام ما خلفه هذا المشكل من جوع وبؤس وحرمان ، إلا أن « الأكثر إقداما منهم وحدهم الذين تجرؤوا على عبور البحر ، رغم علمهم بأنهم يواجهون مجازفة كبيرة لقبولهم فكرة اللعنة الأبدية بسبب عيشتهم في البلاد المسيحية (...) وعند عودتهم كانوا يعودون بكثير من النقود خلافا لغيرهم (...) ويحفزون ذويهم بذلك إلى مصاحبتهم إلى هذا العالم الجديد (...) فكرة الذهاب إلى فرنسا لم تنتشر إلا شيئاً فشيئًا . وذلك لدى الفئة الأكثر جرأة وهم الشباب الذين تلقوا تعليما في المدرسة الفرنسية . ومع ذلك يجب أن يجدوا بعض المتمرسين العائدين الذين يتكفلون باصطحابهم إلى هناك » [3] ، ونلمح ضمنيا من خلال الفقرة السابقة الذكر ، أن فكرة الهجرة والعيش في بلاد المسيحيين الذين يعرفون عند القبائليين بالكفار قد أخذت وقتا كبيرا إلى أن تم قبولها في هذا المجتمع القبائلي الجبائلي ، المعروف بتمسكه الشديد

---

[1] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre, o.p.c. , P 18-19 .
[2] Mouloud Feraoun , La terre et le sang, o.p.c , P 22 .
[3] Mouloud Feraoun , La terre et le sang, o.p.c , P 43

بالدين الإسلامي، والمقيد بعادات وتقاليد لا يسهل على الفرد القبائلي تجاوزها بسهولة. لهذا كان أكثرهم جرأة هم الذين بادروا بالهجرة إلى فرنسا .

كما يصور لنا فرعون لوحات واقعية عن معيشة العمال القبائليين الذين هاجروا إلى فرنسا ، حيث كانت سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى « سنوات رخاء لا نضير له بالنسبة للقبائليين ، فكانوا يقبلون في العمل بسهولة تامة ، ولم يعودوا عرضة للإقصاء وكانت أجورهم تتضاعف مرة تلو الأخرى . أما الباعة المتجولون منهم ، فأولئك الذين اختاروا الأعمال المريبة فقد نجحوا بسرعة ».[1]

3/**موضوعة الأرض** :

على الرغم من رخاء المعيشة في بلاد المستعمِر ، إلا أن المهاجر القبائلي يشعر بحنين مبهم يجعله يغادر فرنسا ، مستجيبا إلى نداء الأرض الذي كان قويا ، فلم يعد هناك شيء ذا أهمية غير وجوده في أرض أجداده ، وعيشه بين ذويه . فتكون أولى أولوياته هي أن يعمل على احتلال مكانته بين قومه ، تلك المكانة التي يعتبرها حقه الطبيعي والشرعي وهذا ما يشير إلية الكاتب على لسان رمضان إحدى شخصيات الرواية السابقة الذكر « إن أرضنا ليست قبيحة . نخرج منها ، ونعود إليها . المسألة بسيطة . إنها تحب أبناءها . وعندما ينسونها طويلا تناديهم »[2]، وهكذا نلمح ضمنيا بأن العلاقة التي تربط القبائلي بالأرض علاقة مميزة جدًّا ، فهو يرى بأن أرضه « متواضعة. تحب بسرية وتعطي بسرية . وتعرف أصحابها بسرعة . أولئك الذين خلقوا لها وخلقت لهم (...) إن جمالها ، يجب اكتشافه ، وذلك لن يكون إلا بحبها» .[3]

و يجدر بنا الإشارة إلى أن الأعمال التي يقوم بها القبائليون في الأرض كثيرة و هذا ما نلمحه من خلال ما يقوله الكاتب على لسان راوي رواية "ابن

---

[1] المصدر السابق ، ص 60

[2] Mouloud Feraoun , La terre et le sang, o.p.c. , P105

[3] المصدر نفسه ، ص 146.

الفقير" عن الفلاحين الذين « يباشرون أعمالا أخرى غير حراسة حيواناتهم، إنهم يحرسون الملكيات ، و يبحثون عن الحطب ، و يجمعون الزيتون أو التين حسب الفصول [1]». أما عن عملية جني هؤلاء الفلاحون القبائليون للزيتون فيقول الكاتب « أثناء موسم الزيتون (...) تنقض الطيور و الزرزور بالآلاف على شجرات الزيتون ، الرجال يسرعون في نفض الزيتون ، النساء تجمعه و الحمير تحمله »[2].

4/ فئة الحرفيين :

يبدو لنا بأن مظاهر تأثير التيار الواقعي في روايات فرعون ، لا تقتصر فقط على اهتمامه بفئة الفقراء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا في المجتمع القبائلي ، وإنما تتجلى مظاهر تأثيره أيضا في اهتمام الكاتب بالحرف اليدوية في هذه المنطقة .

فها هو يصور لنا بكل دقة حرفة صناعة الفخار التي تمارسها خالتا فورولو في رواية "ابن الفقير" « العمل بالطين يبدأ في الربيع ، باية وخالتي تذهبان لإحضاره في قفف بعيدًا عن القرية بعدة كيلومترات . الطين يجفف تحت الشمس ثم يهرّس ويحول إلى مسحوق ، بهذا المسحوق المخلوط بالماء خالتي تصنعان عجينة ، تملآن جرّات، العجينة تصير متينة في ظرف يومين . حينئذ يجب عجنها بشدة وخلطها بشذرات ماعون قديم، حبات تراب ناضج مضافة إلى طين جديد تشكل عجينة لا تتشقّق ثم يكون قد حان وقت قولبتها (...) تأخذ كمية جديدة من العجين (...) ثم بواسطة المكشطة تسطح ، تمدد، تملس، ترقق الطين وتزيل الزوائد ، الجوانب تتصاعد شيئًا فشيئًا ، القدر أو الجرة تتشكل، اليد اليمنى تقبض المكشطة ، وتشكل الداخل ، اليد اليسرى تراقب الخارج الذي تلامس باستمرار كي تلزمه أن يأخذ شكلا »[3] ، وعندما تجف هذه الأواني ، تقوم الحرفيتان بتزيينها وزخرفتها . وأنسب فصل لعملية الإنضاج يكون فصل الصيف ، حيث تعتبر الحرفيتان يوم عملية الإنضاج « يوما كبيرا يحدد مسبقا بحذر كبير (...) أحسن الإنضاجات تتم يوم الثلاثاء أو الأربعاء المهم أن تكون

---

[1] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre ,o.p.c , P 117 .

[2] المصدر نفسه ، ص 118.

[3] Mouloud Feraoun , Le fils du pauvre, o.p.c , p 50 – 51 .

الظروف المناخية مناسبة : يلزم سماء صافية وجو جاف ، نسمة بسيطة قد تحدث أضرارًا لأن العملية تتم في الهواء الطلق خارج القرية » [1] ، ونلمح ضمنيا من خلال هذا الوصف الموضوعي لعملية صناعة الفخار بأن الكاتب يكنّ كل التقدير والإحترام لهؤلاء الحرفيين ، الذين بعملهم هذا يساهمون في الحفاظ على كنز من كنوز التراث الشعبي القبائلي .

5/نقد العادات و التقاليد :

كما نجد مظاهر تأثير التيار الواقعي في روايات فرعون ، في نقد هذا الأخير لبعض عادات القبائليين واعتقاداتهم القائمة على الغيبيات ، والتماس روح الأجداد الذين ماتوا، وعبادة الأولياء الصالحين والإيمان بالتنجيم وغيرها من المظاهر اليومية التي تضفي على أعماله الروائية « صفة وثيقة اجتماعية قيمة تكشف عن أسرار هؤلاء القوم».[2]

*** علاج العقم** :

يشير فرعون إلى أن في اعتقاد القبائليين ، أنه يجب على الزوجين اللذين لم يرزقا بالأولاد أن « يتقيدا بكثير من الإحتياطات : الإعتذار إلى الأقارب الذين نسوهم سابقا ، زيارة الموتى ، التصدق بالأكل على أرواحهم رغبة في مباركتهم ، زيارة القبات الذائعة الصيت ، ووهبها القرابين ووعدها بأهم منها مستقبلا ، وكل شعيرة من تلك الشعائر كانت تتم بتذلل كبير ».[3]

---

[1] المصدر السابق ، ص53 .

[2] إبراهيم الكيلاني ، أدباء من الجزائر دراسة تحليلية عن كبار أدباء الجزائر المعاصرين ،مرجع سابق ، ص 93-94.

[3] Mouloud Feraoun , La terre et le sang, o.p.c , P 117.

* **الغيبة** :

أما عن ظاهرة الغيبة ، فيقول الكاتب على لسان راوي رواية "الأرض والدم" «لا أسرار عندنا (...) هناك قرون استشعار غريبة تعلم القرية بأكملها ، التي يأخذ سكانها في الوشوشة ثم في الغيبة والطعن من الخلف ، ثم في النقد والتغامز (...) لدينا من النقد منابع لا تنضب وهو لا يكلفنا شيئا ، هناك أشخاص يجدون في ذلك غبطة كبيرة، المؤسف حقا هو أنه غالبا ما تأتي الإشاعات العمومية متأخرة لتصلح الضرر الذي وقع. وفي هذه الحالة يمكننا تخيل ما نشاء» [1]، ويشير فرعون إلى أن القبائليين يعلمون بأن هناك عقاب على الغيبة ، وهذا العقاب يتمثل في أن يحمل المغتاب على كتفيه أوزار وخطايا الشخص الذي اغتابه ، لذلك فغالبا ما ينهي المغتاب كلامه بدعاء الله أن لا يضع على عاتقه ذنوب الشخص الذي اغتابه ، وهذا الدعاء « يسمح بجميع أنواع الوشي والنميمة والإغتياب » .[2]

* **الإيمان بالتنجيم** :

كما أن الكاتب يشير أيضا إلى ظاهرة الإيمان بالتنجيم المنتشرة إلى حد كبير بين القبائليين ، ذلك لاعتقادهم بأن المنجم ــ الذي يكون غالبا من المرابطين ــ بركته كبيرة، ويعلم ما في القلوب ، وهم بذلك يكنون له احتراما وتقديرا كبيرين يقتربان من التقديس . وهذا ما يتبيّن لنا من خلال تصوير الكاتب الموضوعي لمهنة المرابط الذي يأخذ «البيضة بين أصابعه ، ويحدق فيها مليا (...) تأخذ شفتا المرابط في الإرتجاج السريع ، وتغوص عيناه في البيضة كما لو أنه يتأمل مشاهد مثيرة ، وتتتالى حبات المسبحة الواحدة بعد الأخرى بين الأصابع الخيطية التي تمسكها. يبدو أن روحا غريبة

---

[1] المصدر السابق ، ص 125 .

[2] Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P 126

قد تسرّبت إلى الجلسة. وأخذت ترفرف فوقهم برفق وسكينة.لقد أصبحوا على استعداد لتقبل المعجزات » .[1]

و تجدر بنا الإشارة إلى أن فرعون قد تناول جميع تفاصيل الحياة الإجتماعية القبائلية حتى أنه يشير إلى تسمية الأبناء عند هؤلاء القوم على لسان عامر نعامر«اسم الوالد عندنا يخالف دائما اسم ولده.للأب اسمه الشخصي الذي يعرف به وللابن اسم آخر.على العموم، فإن هذا الأخير يأخذ اسم جده أو أحد أعمامه أو إخوته ممّن ماتوا ».[2]

أضف إلى ذلك ما يقوله الروائي عن معيشة عامر أوقاسي و زوجته ماري اللذان ينتميان إلى الطبقة البرجوازية في المجتمع القبائلي « يحي البرجوازيين القبائليين الصغيرين ، صاحبا الكسكس اليومي ، وحساء لحم العجول الأسبوعي.ذلكما اللذان يحتسيان فناجين القهوة كل صباح ، وينتظران الأعياد دون حيرة،و الشتاء دون فزع . ذلكما الكسولان الكبيران اللذان يعيشان في جنة ، و اللذان يؤجران العمال لحقلهما ، و يكتريان من تحمل لهما الماء ، و يشتريان الحطب بدلا من قطع شجرة ».[3]

وعلى ضوء ما سبق ذكره ، تتجلى لنا مظاهر تأثير التيار الواقعي في روايات مولود فرعون ، من خلال تركيزه على الطبقة الدنيا في المجتمع القبائلي ، وكذلك اهتمامه بالعمال المهاجرين والحرفيين ، أضف إلى ذلك تصوير الكاتب الواقعي والدقيق لعادات وتقاليد قومه .

---

1. المصدر السابق ، ص 77 .

2. Mouloud Feraoun , Les chemins qui montent , o.p.c, P 91 .

3. Mouloud Feraoun , La terre et le sang , o.p.c , P150 .

خاتمة

إن الدراسة الأدبية المقارنة سواء سلكت سبيل المدرسة الفرنسية أو نهج المدرسة الأمريكية فإن من الضروري أن تتحرى مدى أصالة الكاتب في تأثره بالأجانب ، و أن تراعي الطبيعة الحضارية و الأدبية للمتلقي و أن تخدم تراث أمته و كذا أدبها .

وفقد تناولنا في المدخل التاثير الادبي محاولين تحديد مفهومه في الخطابين النقديين العربي و الغربي بالاضافة الى محاولة ضبط حدود عملية التاثير الادبي،وتوصلنا الى ان التأثير ممارسة ثقافية لا تخلو من التعقيد لكونها تتطلب أطرافا و لها حدود هم المؤثر و المتأثر و الوسيط بينهما الذين يتسمون بالتعدد ، و التنوع ، الأمر الذي يجعل هذه الممارسة مغرية ، و مثيرة للجدل على صعيد المساءلة الأدبية .

و لعل أهم إشكالية واجهت دارسي الأدب المقارن الخصوصية التي شهدتها بعض الآداب بسبب الخروج باللغة عما هو سائد و مألوف على مستوى الهوية اللغوية للأدب القومي . كأن نجد أديبا جزائريا يكتب باللغة الفرنسية ، فمقارنة نصوصه بنصوص من الأدب الفرنسي تنحرف بالمقارنة كمجال معرفي في الأدب المقارن إلى الموازنة كإجراء منهجي .

أما ما اختلف من النصوص من حيث اللغة فجاز إقامة مقارنة فيما بينها شريطة ثبوت صلة تاريخية فيما بينها ، و بين مؤيد و معارض مضت الدراسات الأدبية المقارنة نحو الاكتمال بتعدد الآراء ، و ظهور محاولات للتوفيق ، و لسد ثغرات الاختلاف بين مدارس الأدب المقارن قدر الإمكان فيما يتعلق بطبيعة الدرس المقارن.اختلاف يمكن رده إلى عدم الاتفاق في تحديد الهوية الأدبية للنصوص المكتوبة بلغة أجنبية عن الأدب الذي تنتمي إليه ، ومن ذلك الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية الذي سبق لنا الإشارة إليه .

و هكذا انتقلنا الى الفصل الاول الذي تناولنا فيه الادب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية اثناء الاحتلال محاولين تحديد الضروف التي ساعدت على ظهوره و تطوره مع الاشارة الى بعض القضايا التي اثيرت حوله والتي كان من اهمها اشكالية الهوية و الانتماء ، و توصلنا الى أن هذا الأدب قد استطاع أن ينتزع هويته الجزائرية ، و انتمائه العربي عن جدارة بالنظر إلى هوية المضمون المعالج و كذلك الظروف السياسية ، الاجتماعية ، الثقافية التي أدت إلى ظهوره ، وإرساء قواعده وبلورة معانيه

و مفاهيمه . فكان على الكاتب الجزائري أن يواجه ثقافة أجنبية عنه وهي ثقافة عدوه ، و في نفس الوقت لا مفر له من تبنيها ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى كان عليه أن يعبر عن واقعه السياسي و الاجتماعي الذي كان يمر بأهم مرحلة من مراحل تحوله .

و قد خاض كتاب هذا الأدب غمار تجارب أدبية مثيرة للتساؤل فيما يتعلق بالاحتكاك بالآداب الأجنبية ، و التأثر بها خاصة الآداب : الفرنسي و الأمريكي و الروسي ، و قد انعكس ذلك على مستوى المضامين المطروحة ، و كذا لغة الكتابة .

أمافي الفصل الثاني فقد تناولنا الكاتب الجزائري "مولود فرعون"محاولين تقصي اهم مصادر التاثير الاجنبي في حياته ، فسلطنا الضوء على نشأته ، وطبيعة التعليم الذي تلقاه في المدارس الفرنسية ،و المهنة التي مارسها و الاعمال الادبية التي اصدرها ،و اهم الرحلات التي قام بها و الشخصيات الأجنبية التى صادقها،والنصوص الأدبية الفرنسية و الروسية التي اطلع عليها . ثم حاولنا في الفصل الثالث تقصى انعكاس هذه التاثيرات الاجنبية في اعماله الروائية .وهكذا توصلنا الى ان التاثير الاجنبي لم يفرض حضوره في حياة "مولود فرعون" كانسان فقط ، و إنما أيضا في كتاباته الأدبية ككاتب ، حيث ساهمت البيئة الجزائرية المفرنسة بالقوة زمن الاحتلال الفرنسي للجزائر في بناء و تشكيل شخصيته على الشاكلة التي وصفناها ، إلا أن هذه الشخصية لم تنقطع عن التأمل و التفكير في الوضع الثقافي الذي عاشته البلاد ، و عاشه فرعون بدوره كفرد من أفراد المجتمع الجزائري قبل أن يكون كاتبا و مفكرا .

ومن ثمار تأثره بالأدب العالمي النزعة الإنسانية التي كانت الشغل الشاغل في كتاباته ، و ما عمق صلته بالأجنبي أكثر فأكثر تلك العلاقات الجيدة التي جمعته بالكتاب الأوروبيين الذين ولدوا بشمال إفريقيا على اختلاف توجهاتهم الفنية و تياراتهم الفكرية أمثال " إيمانويل روبلس " و " ألبير كامو " .

كما أتيحت له الفرصة للتعرف عن قرب على البيئة الغربية من خلال رحلاته إلى بلدان أجنبية كفرنسا و اليونان .و هذا ما لمحناه من خلال توظيفه لذلك الكم الهائل من الأوصاف للأماكن و البناء العمراني ، و ذكر لأسماء المدن و الشوارع الفرنسية المختلفة ، أضف إلى ذلك الحديث عن وسائل النقل المتنوعة و شبكات الطرق

المعبدة،و غيرها من مظاهر المجتمع الفرنسي المتحضر ، و المتفتح علميا و ثقافيا ، هذه المظاهر التي استطاعت أن تؤثر في هذا الكاتب ، نتيجة احتكاكه المباشر بها .

ومن العوامل التي ساهمت في بلورة تجربة فرعون الأدبية مطالعته الجادة لإصدارات الأدبين الفرنسي و الروسي ، مدفوعا إلى ذلك بحب الاكتشاف ، و الرغبة الشديدة في الإفادة قدر الإمكان من تجارب إنسانية مختلفة في مجال الأدب و الفكر .

كل ذلك ساهم في تشكل نظرته التأملية العميقة للعالم ، و تحديد موقفه من الأجنبي من منظور إنساني لا منظور ثنائية الأنا و الآخر .

وهكذا ارتقى اتصال فرعون بالثقافة الأجنبية عامة ، و الفرنسية خاصة إلى مستوى التأثير الأدبي الفعلي الذي يعد و بحق مظهرا من مظاهر حوار الثقافات ، و يستحق أن يدرس في سياق ذلك .

المصادر و المراجع

1 قائمة المصادر و المراجع العربية و المترجمة إلى العربية:

أ **الكتب :**

1- المناصرة عز الدين ، بيان الأدب المقارن إشكاليات الحدود، أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح والمنهج، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، د.ت.

2- الهويات و التعددية اللغوي، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م، الطبعة 1.

3- الخطيبي عبد الكبير ، الرواية المغربية ، ترجمة: محمد برادة ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، المطابع الفرنسية و المغربية، الرباط، 1971، د.ع.ط.

4- الأعرج واسيني ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

5- مجمع النصوص الغائبة أنطولوجيا الرواية الجزائرية التأسيسية، محنة التأسيس، مطبعة النخلة، دار النشر، الفضاء الحر، الجزائر، 2007، د.ع.ط .

6- الطمار بن عمرو محمد ، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت.

7- الطمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، د.ع.ط .

8- الأشرف مصطفى ، الجزائر الأمة و المجتمع ، ترجمة : حنفي بن عيسى ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، د.ع.ط .

9- الكيلاني إبراهيم ، أدباء من الجزائر، دراسة تحليلية عن كبار أدباء الجزائر المعاصرين، دار المعارف بمصر، القاهرة، مصر، 1958، د.ع.ط .

10- المعوش سالم، الأدب وحوار الحضارات ، دار النهضة العربية، الويدانية، بيروت، لبنان، 2007، الطبعة الأولى.

11- الجندي أنور ، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، 1965م ، د.ع.ط.

12- العربي إسماعيل ، من روائع الأدب العالمي الاتجاهات الأدبية الحديثة في إفريقيا وأوروبا وآسيا، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.

13- العشماوي زكي محمد ، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، د.ع.ط .

14- المعوش سالم،الأدب و حوار الحضارات(المنهج و المصطلح و النماذج)، دار النهضة العربية ، لبنان ، 2007 ، الطبعة الأولى .

15- العرود ياسين أحمد ، محاضرات في الأدب المقارن ،المركز القومي للنشر، الأردن ، 2007 ، د.ع.ط .

16- التو نجي محمد ، الآداب المقارنة ، دار الجيل ، بيروت ،1995 ، الطبعة الأولى .

17- بوشحيط محمد ، الكتابة لخطة وعي، مقالات نقدية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، د.ت.

18- باغورة الصديق محمد ، مقالات في الأدب الجزائري القديم و الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة ، النشر، و التوزيع و الترجمة، القبة، الجزائر، 2007، د.ع.ط.

19- بامية أديب عايدة،تطور الأدب القصصي الجزائري1925- 1967،ترجمة :محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

20- بوزواوي محمد ، معجم الأدباء والعلماء المعاصرين (معجم يتناول أعلام العرب في الأدب والشريعة من 1798 إلى 2009)، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر العاصمة، د.ت.

21- بعلي حنفاوي ، أثر الأدب الأمريكي في الراية الجزائرية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، د.ت.

22- بوباكير عبد العزيز ، الأدب الجزائري في مرآة إستشراقية ، دار القصبة للنشر، الجزائر ، 2002 ، د.ع.ط .

23- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989 (الجزء الثاني)، دار المعرفة، الجزائر، 2006، د.ع.ط .

24- بن قينة عمر ، دراسات في القصة الجزائرية(القصيرة والطويلة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، د.ع.ط .

25 - صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام... قضايا... ومواقف)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،.1993

26- باجو دانييل هنري ، الأدب العام والمقارن ، ترجمة . غسان السيد ، منشورات إتحاد الكتاب العرب،.1997

27- برونيل بيير ، بيشوا كلود ، روسو أندريه ميشيل ، ما الأدب المقارن؟، ترجمة: غسان السيد ، منشورات دار علاء الدين، مكتبة الأسد، د.ت.

28- هلال غنيمي محمد ، في النقد التطبيقي والمقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،2003، د.ع.ط .

29 - الأدب المقارن ، دار العودة، بيروت، 1983،الطبعة الثالثة .

30- حاجم إسماعيل ، الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، 2007 ، د.ع.ط .

31- حمادي عبد الله ، مساءلات في الفكر و الأدب، محاضرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، د.ع.ط .

32- حماميد حسينة ، المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962، منشورات الحبر، الجزائر،2007 ،الطبعة الأولى .

33 - طه ندا ، الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

34- كفافي عبد السلام محمد ، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1971، الطبعة الأولى.

35- منور أحمد ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، د.ع.ط .

36- ملامح أدبية، دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل للنشر و التوزيع، 2008، د.ع.ط .

37- مرتاض عبد المالك ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، النهضة الفكرية، النهضة الصحفية، النهضة التاريخية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، الطبعة الثانية .

38- ميمي ألبير ، صوت المستعمر، ترجمة: سطوف ميشال ، منشورات ANEP ، 2007، د.ع.ط .

39- مصطفى الصاوي الجو يني، في الأدب العالمي، الجزء الأول، الأدب المقارن- المسرح ، منشأة المعارف جلال حزي وشركاه، 2002، د.ع.ط .

40- مرزوق علي حلمي ، الرومانسية *الواقعية النقدية* الواقعية الاشتراكية أصولها الفنية والأيديولوجية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،2004، د.ع.ط .

41- مكي أحمد الطاهر ، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه ، مكتبة الآداب ، القاهرة،2002م، الطبعة الرابعة .

42- نسيب يوسف ، مولود فرعون حياته و أعماله، تر: بن عيسى حنفي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت .

43- سعد الله أبو القاسم ، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1988، د.ع.ط .

44- دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الآداب، 1977، الطبعة الثانية(مزيدة) .

45- هموم حضارية ، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و الترجمة و التوزيع، الجزائر، 1993، الطبعة الأولى .

46- تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، د.ع.ط .

47- مجادلة الآخر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006م، الطبعة الأولى .

48- سعدي إبراهيم ، عودة إلى مسألة الرواية و الهوية، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، مطبعة اقتياح ، الجزائر، 2004، د.ع.ط .

49- سلوم داود ، الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003م، الطبعة الأولى .

50- سمرة محمود ، أدباء معاصرون من الغرب، مطابع حداد الحديثة، الجعيتاوي، د.ت .

51- علوش سعيد ، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي (دراسة مقارنة) ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، 1986، الطبعة الأولى .

52- عيلان نسيمة، من اجل مفهوم عربي للأدب المقارن ، أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح والمنهج.

53- عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا ، دراسة تحليلية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 ، الطبعة الثانية .

54- عبود عبده ، الأدب المقارن مشكلات وآفاق ، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1999، د.ع.ط .

55- فؤاد شاكر، حصاد القرن العشرين الإبداعية(9) ، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،2005، الطبعة الأولى .

56- فان تيغم بول ،الأدب المقارن ، ترجمة: الحسامي مصباح سامي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، د.ع.ط .

57- قاسم محمد ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، د.ع.ط .

58- ركيبي عبد الله ، الفرانكفونية مشرقا و مغربا، شركة دار الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، د.ت .

59- تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، تونس ، 1978، د.ع.ط .

60- حوارات صريحة مع صاحبة الجلالة، تمتد أكثر من 30 سنة داخل الوطن و خارجه، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر،2000، د.ع.ط .

61- ركيبي خليفة عبد الله ، القصة الجزائرية القصيرة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس،1977م، الطبعة الثالثة .
62- شرف عبد العزيز ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل، بيروت، 1991م ، الطبعة الأولى .
63- شكري غالي، أدب المقاومة، مكتبة الدراسات الأدبية 52، مطابع دار المعارف، القاهرة، مصر،1970، د.ع.ط .
64- شلبي عبد العاطي ، فنون الأدب الحديث (بين الأدب الغربي والأدب العربي) ، الأزارطة ، إسكندرية، 2005، الطبعة الأولى .
65- خضر محمد سعاد ، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1967، د.ع.ط .
66- غويار ماريوس فرنسوا ، الأدب المقارن، ترجمة: هنري زغيب ، منشورات عويدات ، لبنان ،1978 ، الطبعة الأولى .

ب- <u>الدوريات :</u>

67- الأعرج واسيني ، حوار، واسيني الأعرج أجراس من ذهب، الثقافة، العدد 10، دورية ثقافية، إبداعية تصدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
68- بن عيسى حنفي ، الرواية الجزائرية المعاصرة، الثقافة تصدرها وزارة الإعلام و الثقافة بالجزائر، السنة الثانية 2، العدد 08-09، 1392هـ، 1972.
69- بكري الطاهر ، إشكالية الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية و مسألة اللغة، التبيين، فصلية تصدر عن الجاحظية، العدد الفصلي الأول، شتاء 1990، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990.
70- سبتي يوسف، من الأمس إلى الغد، التبيين فصيلة تصدر عن الجاحظية، العدد الفصل الأول، شتاء 1990، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990.
71- سعد الله أبو القاسم ، الشرق والغرب في ثقافة الجزائر الحديثة، الثقافة، دورية ثقافية إبداعية، تصدر عن وزارة الثقافة، العدد 09، الجزائر، 2007.

ج- <u>الرسائل الجامعية</u> :

72- صغور أحلام ، واقع الدراسات في المغرب العربي ، رسالة دكتوراه (مخطوطة) ، جامعة وهران ، 2009/2008 .

73- توزان عبد القادر ، الجزائر في أدب ألبير كامو ، رسالة ماجستير (مخطوطة)، جامعة بغداد ، كلية الآداب .

د- <u>الكتب الجماعية</u> :

74- موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، رئيس المشروع: أ.د/ بلقاسمي بوعلام ، الأعضاء: د/ خليفي عبد القادر ، د/ قورصو مليكة ، د/ ميدان فاطمة ، د/ لونيسي رابح، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، (مناسبة 45 لعيد الاستقلال والشباب).

2 قائمة المصادر و المراجع باللغة الفرنسية:

قائمة المصادر باللغة الفرنسية:

01- Camus Alber , La peste , ENAG/Edition , 2éme édition, Alger , 1995
02- Feraoun Mouloud , Journal , ENAG/Edition , Alger ,1992
03-Jours de Kabylie , ENAG EDITION , Alger , 2002.

04 - La terre et le sang , Edition Talantikit, Algérie , 2002.
05 - L'Anniversaire, ENAG/Edition , Alger ,1992
06 - Le fils du pauvre , Points, France, 1995 .
07-Les chemins qui montent , Edition Talantikit , Bejaia, 2003.
08- Lettres à ses amis , ENAG/Edition , Alger , 1998, 2éme édition.
09- Roblès Emmanuel , Les hauteurs de la ville , Collection Méditerrané , Aux éditions du Seuil , France .

قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

أ الكتب:

10 - Akbal Mehenni , Mouloud Feraoun - Maurice Monnoyer Histoire d'une amitié, Edition El – Amel , 2009.
11 - Amhis – Ouksel Djoher , D’une rive à l’autre , une lecture de « La terre et le sang » et « Les chemins qui montent » de Mouloud Feraoun , Casbah Edition , Algérie, 2009 .
12- Arnaud Jacqueline, La littérature maghrébine de langue française, Tome I : Origines et perspectives , Publisud , France , 1986.
13 - Bencheikh Jamel Eddine , Dictionnaire de littérature de langue arabe et maghrébine francophone , Imprimerie des presses universitaires de France , Vendôme , France, 2000.
15 - Bouzar Wadi , Lectures maghrébine , essai , O.P.U. Publisud, 1984 .
16- Brahimi Denise , Langues et littératures francophones, Ellipses, Edition Marketing . s.a , paris , 2001.
17 - Brunel Pierre et Huisman Denis , La littérature française des origines à nos jours, Vuibert , Imprimerie Floch A Mayenne, 2005, 2em édition.
18- Cheurfi Achour , L' Anthologie Algérienne , Casbah Edition , Alger , 2007.
19- Déjeux Jean , Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue française, Edition karthala , France,1984.
20- La littérature algérienne contemporaine , Presses universitaires de France, France , 1975, 1er édition .

21 - La littérature maghrébine d’expression française, Presses universitaires de France, Paris, 1992, 1 ère édition .
22 - La littérature maghrébine de langue française, Edition Naaman, Canada, 1973.
23- Djeghloul Abdelkader , Lettres pour l'Algérie , Les presses de l’unité de Rouiba , ANEP , 1er trimestre ,2001.
24- Dugas Guy , L'Agitateur un roman inédit d'Emmanuel Roblès sur la guerre d'Algérie, les rencontres méditerranéennes Albert Camus, Audisio , Camus , Roblès , frères de soleil: leurs combats, Autour d'Edmond Charlot , Edisud , centre des écrivains du sud , Imprimerie France Quercy , cahors, 2003.
25- Guétarni Mohamed , Littérature de combat chez Dib , Kateb et Feraoun , Edition Dar El Gharb, Oran , 2006.
26 - Hardi Ferenc , Le roman algérien de langue française de l’entre deux guerres discours idéologique et quête identitaire, L’harmattan, France, 2005.
27- Lacheraf Mostefa , Littérature de combat, Essais d'introduction: études et préfaces, Edition Bouchène , Alger , 1991.
28- Ltti Eliane , La littérature française en 50 romans , Ellipses/ Edition Marketing , Paris, 1995.
29- Mahé Alain , Violence et littérature coloniale au Maghreb , Littératures et temps colonial , Edisud , France, 1999 .
30 - Ndiaye Christiane , Introduction au littératures francophones AFRIQUE . CARAIBE . MAGHREB , Les Presses de l’université de Montréal .
31- Noiraye Jacques, Littératures francophones , 1- Le Maghreb , Belin Sup Lettres , Paris.
32 - Ploquin Françoise , Laurent Hermeline , Dominique Rolland , Littérature française , Les textes essentiels , collection n° 06, I.M.E 25 110 Baume- les-Dames , France , 2005, Edition n° 03.
33 - schöpfel Mariannick , Les écrivains francophones du Maghreb , Les Presses de Normandie, France, 2000 .
34 - souhekal Rabah , le roman algérien de langue française (1950- 1990) , Thématique , Edition Publisud , paris, 2003.
35 - Zlitni Fitouri Sonia et Salha Habib , La Réception du texte maghrébin de langue française , Les presses des imprimeries réunies Group Cérès Production , Tunisie , 2004 .

ب الدوريات:

36 - Benedict Vauthier , Expressions maghrébines, revues, édition du Tell , Blida , Algérie , Décembre , 2004
37 - Feraoun Rachid parle de son père , Interview , L'IvrescQ , Magazine littéraire, Edité par la SARL , Alger, n5, 2010.

ج الكتب الجماعية :

38 - Anthologie du roman maghrébin de langue française, presenté par: Memmi Albert , Choix de textes par : Déjeux Jean , Notices par : Memmi Germaine , Nathan, France, 1987.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة